عندما غاب الرأي

مراجعات لحادثة الغزو وما حل من دمار

عبدالله خلف

الكويت ١٩٩٨



عندما غاب الرأي

مراجعات لحادثة الغزو وما حل من دمار

عندما غاب الرأي

مراجعات لحادثة الغزو وما حلّ من دمار

عبدالله خلف

الكويت ١٩٩٨





مقدمة

نهضت الكويت عن بكرة أبيها للتصدي للعدوان العراقي ودحض مفترياته في معركة لما تضع بعد أوزارها، وكانت الكلمة الصادقة والقلم الحر من أمضى أسلحة المعركة التي خاضتها الكويت دفاعا عن حقها وردا لسهام العدو الطائشة إلى نحره.

ويتصدى هذا الكتاب لمقولات النظام وفكره الواهي ودعاواه الباطلة، ليجلو وجه الحقيقة مستمدا براهينه الساطعة وحججه الدامغة من أحداث التاريخ ووقائعه التي لا يملك النظام العراقي إزاءها تنصلا أو إنكارا.

وقد عالج الكاتب موضوعاته بحس المواطن المخلص وروح الباحث المنصف، ويراع الأديب المبدع، ووثق أحداثا ووقائع وحفظها للتاريخ شاهد صدق على جرائم ارتكبها النظام العراقي إبان العدوان، حيث عايش الأحداث على أرض الوطن ساعة فساعة على امتداد أيام الاحتلال البغيض.

وقد ضرب الكاتب بسهم وافر في نقض البنيان الفكري للنظام العراقي، وتعقب مقولاته المفتراة التي حاول أن يصنع منها ستارا يحجب جرائمه عن أن تراها عين التاريخ الباصرة، أو ترصدها أقلام الأحرار الباحثين عن الحقيقة.

واستطاع بأسلوبه المعبر وكلماته المنتقاة أن يصور الواقع والأحداث ويجسدها ويبعث فيها الحياة وينقل القارئ إلى بؤرة الحدث المتوهجة، ويجعله يعيش الأحداث بوجدانه وشعوره وعقله وفكره.

وإنا لنشكر للكاتب جهده وحرصه على تعقب مقولات العدو وتفنيدها ونهنئه على ما أصاب من توفيق، وقد عودنا من قبل فيما كتب وأبدع على مستوى من الفكر المستنير واللغة المعبرة والبيان الساطع ولا يزال يثري ميدان الأدب والفكر بكل جديد.

وقد قال الكاتب كلمته للتاريخ لتكون بين يدي الأجيال القادمة شاهد عدل وصدق.

أ. د. عبد الله يوسف الغنيم

رئيس مركز البحوث والدراسات الكويتية

عندما غاب الرأي

غياب الرأي يترك فراغا ينفذ منه المستبدون والطغاة ، ويتسلقون إلى أعلى المراتب ، عندها يلوحون بشعاراتهم ، في وسائل الإعلام المختلفة وفي الطرقات وعلى الجدران والساحات ، فيفرغون الوهم في أذهان العامة ، ويتدافعون إلى الطرقات بجنون ، تاركين أعمالهم وأرزاقهم لتأليه سيدهم ، وتتأخر دولهم وتفتقر فيزداد ذلهم ، وتهان أنفسهم ، فتولد المهانة فيهم الاستصغار ، فتصغر في أعينهم حالهم وشخصياتهم ، فيتوقف النبوغ وتتوارى العبقريات ، فإما أن تخنع وتسكت على مضض أو تهاجر إلى أي مكان في الأرض .

ولا تجد أحدا من أهل الأرض ولا دوابها ولا طيرها يرغب في ترك مواضعه إلا كرها وحسرة . . القوة والعلم والمال إن لم يكن بينها رأي فلا تترك أثرا لبناء وزرع ، ولا تقدر على تشييد حضارة . قال المتنبي :

الرأي قبل شجاعة الشجعان   هو أول وهي المحل الثاني

وهكذا هو الرأي مقدم على الشجاعة ، وهي إذا لم تصدر عن عقل أتت على صاحبها فأورثته الدمار والوبال . . خير الرأي ما كان صفوة الآراء عن إجماع وشورى ، وهو الرأي العام في الدولة ، وتتفق عليه أمم وشعوب إن كان نيرا صادقا . . ومن ثّم نتمنى لكل شعب مظلوم أن تعاد له حرية الرأي ليسير إلى سبل المجد ، وعندها يكون مطاعا وآمنا ومحبا لأهله وجيرانه .

هذه مراجعات مختارة عبرت عنها في أوقات متفرقة بعد أن فوجئنا بأسباب الغدر والظلم فاستعنا بذوي الرأي والمشورة عند الأشقاء والأصحاب . . وحتى المال الذي يسخره البعض للمؤامرات والعدوان وضعناه في سبل الخير والحرية والسلم لإنقاذ شعب فوجئ بظلم شرس من شعب أحبه وتبادل معه الود والتعاون في شتى

مجالات الحياة ، وفي وشائج رحم ونسب ودين وقومية . والشعوب قادرة على تمهيد كل السبل وإزالة ما تساقط عليها من عوائق وشوائب . عندها تصفو النفوس وتطهر .

قال الله تعالى : ﴿**إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم . . .**﴾ . (الرعد : ١١)

صدق الله العظيم

المؤلف

جزاء سنمار

نعم ! هكذا كان جزاء الكويت ، جزاء سنمار المهندس الرومي الأصل الذي بنى للنعمان في الجاهلية قصرا منيفا عرف بقصر «الخورنق» ، وكان النعمان معجبا بالقصر ،ومن أسرار البناء أن دل هذا المهندس النعمان على أجرة لو أزيلت لسقط القصر كله ، ولما تأكد أن أحدا لا يعرف أمر هذه الآجرة إلا هو قذف به من أعلى القصر حتى يضمن المتعة لنفسه دون غيره . أعجب الطاغية بالقصر الكويتي ، فأوغر صدور جنده ، وحمل إعلامه الأكاذيب وقال ما قال عن الكويت ، حتى قلب صنيعها الجميل وتضحيتها إلى أقاويل كاذبة ، أنكر كل عون ، وحملنا سقوط عملته في الأسواق العالمية ،واتهمنا إعلامه باللصوصية ، وقال عنا إننا شعب مريض لا يستحق الحياة ، وردد أوهام ادعاءاته ،حتى أن جنده هالهم ما شاهدوه من أهل الكويت في صبرهم واعتكافهم في المساجد والتزامهم بفرائض الدين الإسلامي .

وكانت كلمات الإعجاب تتسرب بهمس خافت من البعض كلما انفرد المواطن الكويتي بهم وعند توصيله لأحدهم بالسيارة من مكان إلى مكان ،بينما تهملهم سياراتهم العابرة دون الالتفات لأحد من المشاة .

أعود إلى سيرة تدمير القصر المتمثل في الآجرة التي أسرّها سنمار في أذن النعمان وظهرت بعد ذلك في الوثائق والخرائط عندما تركها جنده ساعة الهلع والفرار ، لقد توزع رجال الاستخبارات بصفة طلاب معرفة وكسب خبرات في الوزارات والمؤسسات الحكومية والأهلية من قبل ، ورحب بهم أشقاؤهم الكويتيون وقدموا لهم صفوة تجاربهم وأسرار منشآتهم ، وعندما وقعت الواقعة جاء خراب القصر من مكامن الخطر وفي صميم الأهداف وأكثر الأعمال إجراما هو ردم البئر التي يستسقي منها أهل الكويت ومن على أرضهم من أشقاء وأصدقاء ، وكل شئ حي من الطير والحيوان والزرع ، لقد تجسمت هذه المأساة في خطاب الرئيس بوش الذي عالج الكارثة

بأحسن تدبير عندما قال : «إن الكويت تحترق بيد الطاغية الذي أحرق الضرع والزرع» فسارع في تحذيره الأخير ولو حصل الآثم على فسحة من الأجل لزاد في الدمار والخراب ولأجهز على الآخرين وهذه مشيئة الله سبحانه الذي أعمى بصيرته في إعلان قرار الانسحاب ، فخرج جنده تحت جنح الظلام مذعورين هلعين تتضارب سياراتهم وتتقارع عُددهم فتساقطت بين محترقة ومدمرة قبل أن يأتيهم العقاب من فوق رؤوسهم . ولحق الدمار بأرضهم قبل أن يحملوا إليها باقي المسروقات التي أثقلت كواهلهم .

واهتز عرش الطاغية الذي حمل كل شعار من قومي وبعثي وإسلامي وتجاوبت معه رعاع الشوارع العربية ومجالس الشعوب الصورية الشبيهة بالسيرك الذي يصول فيه ويجول المروض حامل السوط ، وترتفع له صيحات المعجبين وتعلوها صرخات الأطفال الحادة وصفيرهم المدوي ، فاستجاب لإعلامه إعلامات واهية ، وما أن انجلى الموقف في تمخض أم المعارك حتى انتحبوا وذكروا بعض أقوالهم وأدركوا أن فلسطين ليست عن طريق الجنوب حيث الكويت ، ولا على أنقاضها التي أطربت البعض ، وقال قائل : إنه عارض الاحتلال ألف مرة ،قالها انعطافا لتحوله الفكري ، أما مقولته الأولى فكانت : لماذا هبت الدنيا للكويت دون غيرها أذلك لما عندها وعند الخليج من مال؟ .

وخفت صوت المجالس الصورية وكأن على رؤوس أصحابها الطير ،طرب بعضهم للنكبة وأصابهم الوجوم عندما فرح العالم بأسره للتحرير .

وأعود إلى الطاغية الذي قصده رجالات العالم وما استجاب لنصيحة أحد ، ومن تلك النصائح قول «بريموكوف» مبعوث الرئيس السوفييتي : إن إصراركم على عدم الانسحاب ، ومخالفتكم لمجلس الأمن سوف يهدم كل ما بنيتم من إعمار في بلادكم وتسبب الدمار لنفسك ، واعتبر صدام ذلك توسل المتورطين ، وكان هذا الجهد الروسي تنازلا وصفحا عن أقوال المهيب واتهام إعلامه في أن الاتحاد السوفييتي أخذ رشوة من أمريكا ودول الخليج ،حتى وقف مع الطرف الآخر .

وبعد أن وقعت الواقعة ، عاد «بريمومكوف» في أثناء القصف الجوي لينقذ ما يمكن انقاذه ولسحب فتيل الانفجار الأكبر ، فقادوه إلى مواضع الدمار ،فقال نعم وكيف حسبتم عاقبة الحرب ، نحن جربناها وذقنا أشد منها في زوال مدننا ، نصحناكم فلم تستبينوا النصح ،فما زاده ذلك إلا تجبرا وعنادا لأن مستشاره سعد الدين الشاذلي قال له إن الحرب البرية سوف تطول وتدمر كل الحراب المشهرة ضده ،كما أكد له أول ما أسدى إليه النصح أنه سيكسب الجولة عدة شهور إذا كان هو البادئ في القتال ، ثم جاء صنوه مستبشرا إن الحرب البرية المرتقبة والتي ترتجف منها القوات المتحالفة ستطول إلى ست سنوات بمقابلة فيها الكلمات الإنجليزية أكثر من العربية ـ حتى تكاثرت الظباء على خراش فما يدري خراش ما يصيد ، المشكلة أنهما خططا لمعارك حربية وليس لهما من أمر الحرب إلا أزياء ونياشين ورتب ، وذهب نصح الناصحين هباء منثورا وكان الدمار الذي حذر منه القاصي والداني ،فدمرت بغداد مرة أخرى ومدن العراق الأخرى كما دمرت الكويت وحل الوبال على الشعبين من أجل رتبة زائفة وجنون فرد ،وإعلام متخلف ،وكان ذلك إثر حجج حيكت على عجل وألغيت المواثيق ، وغلقت أبواب الحكمة والرأي حتى يأتي على فريسته على حين غرة ، فوقع غدره متناسيا تلك المواقف والتضحيات وأعمال الأشقاء لأشقائهم في البلد الجار .

ومع كل هذا سوف يعود بإذن الله للعراق دار السلام سلامها وأمنها ويعود لها بناة المجد رجال الفكر الفارون والمتوارون عن الأنظار خشية الظلم ، ويعود الخير .

أما نحن الذين وقع علينا الظلم يجب أن لا نظلم أحدا بجريرة الآخر ، خاصة الذين عاشوا في كنفنا وولد أبناؤهم مع أولادنا ،هناك من سقط منهم مع الشهداء ، وتربص مع المقاومة في أشد الأوقات وأضناها .

***

هكذا توقف الزمن في بلادي؟

نعم ،توقف الزمن منذ فجر الثاني من شهر أغسطس ١٩٩٠ في بلادي ،بعد أن بدد سكون تلك الأمسية دوي أسلحة الغدر ، وفزع الناس حيارى من هول الفاجعة ، وعمل الغدر المجرد من أخلاق الحضارة والإنسانية في الناس فتكا عشوائيا دون هوادة ، ولما أفاق من سكرته زاد من فتكه وطيشه نهبا وقتلا ودمارا ، وكان ذلك الغدر يتصبب حقدا وينم عن كراهية دفينة خلقها في عشرين عاما حزب تسمى بالبعث العربي ولكن أعماله الإجرامية البشعة لا تتفق وشيم العرب وأخلاقهم ، لا في الجاهلية ولا في عهود الإسلام ، كان في الجاهلية أزمنة يتوقف فيها القتال ويلجم الحق القانوني والعرفي شهوة القتال ويوجب القصاص وأخذ الحق من القاتل ، وكان لهذه الأزمنة أشهر حرم تغمد فيها السيوف لحقن الدم ،وهجمة تتار البعث جاءت في مساء العاشر من محرم ،اليوم الذي شهد الفجيعه الكبرى في تاريخ العراق .

نعم كان في الجاهلية خلق يميز الأزمنة وترفع فيه السيوف ، وجاء تتار البعث دون خلق يميز الزمان ، بل جاءوا إلى بلادنا ليوقفوا الزمان المنتج للفكر والثقافة ، وداسوا المعرفة وتوقفت عجلة الحضارة ،لقد دخلت مكتبةوتلفت لأجد مجلات وإصدارات تحمل تاريخ شهر أغطسطس ١٩٩٠ ، حتى المجلات الخارجية من أقطارنا العربية كانت متوقفة عند هذا الزمن ، فقلت لصاحب المكتبة ، وهو رجل مسن : ألا من جديد بعد هذا التاريخ؟ فهز رأسه نافيا !

فقلت : لقد توقف الزمن عند ٢ أغسطس ،فهزه هذا التعبير وقال نعم ،حتى أدوات القرطاسية الجامدة من أقلام وقراطيس التي لا تحمل تاريخا هي من ذلك اليوم ،فلا أحد يشتري منها شيئا ،توقف مع هذا الزمن القلم ولم يعد في حاجة إلى القرطاس . ،وان أردت أن أبرهن لك فهذه (فواتير) الشراء تحمل تاريخا جامدا ، وعدت إلى هذه المكتبة وإلى غيرها فلم أجد الفكر الذي كان في الكويت ، توقفت

مجلة العربي ، وعالم المعرفة ، وعالم الفكر ، والبيان والمجلات الدورية والصحف اليومية السبع ونزعت آلات الطباعة وسرق الحبر والورق .

نعم ،توقف الزمن وعاد إلى الوراء ، مكتبات سلبت ودمرت فأخذت سبيا إلى أسواق النخاسة في العراق ، المكتبة المركزية للدولة ، مكتبة قصر المؤتمرات ، المكتبات العامة ، مكتبة رابطة الأدباء ، مكتبات البحث العلمي والجامعة ، مكتبة كلية الطب المتقدمة وفق أرقى المكتبات الطبية في العالم ، كان يحملها الحمالون السودانيون وتتساقط من ثقلها فتدوسه الأقدام ،وبعد أن أخذت تنوء بهم أثقالها ، صعَّدوا الشاحنة على الرصيف وأخذوا يقذفون الكتب من النوافذ العالية إليها ، وهذه رواية دكتورة كويتية روتها وهي محروقة الفؤاد على تلك الكتب الثمينة الغالية التي سرقت ، وليتها سرقت بيد تعرف قدرها ، وسرقت المكتبات الصوتية والمرئية من الإذاعة والتلفزيون ،وساعدهم في ذلك (أبو رغال) الذي ائتمنه القوم على مفاتيح أسرار الدولة ، فذهب فرحا طربا شامتا ، وسلم ذخائر البلاد المادية والفكرية بئس الأخ (أبو رغال) وهل تعود بعد ذلك ثقة بابنهم فتسلم له مفاتيح أسرار الدولة فتكون الأم الآمنة بعد اليوم على ذويها وخيانة أبي رغال منتشرة في كل أبناء البشر وكل أمة فهذا تجده فينا كما تجده في سائر الأمم ، ولا يصم أمته بل يحمل وزر نفسه ولا تزر وازرة وزر أخرى .

***

إعادة بناء الكويت بدون شعارات

بنيت الكويت بدون صور وشعارات ، منذ أن كانت قرية منزوية على شاطئ الخليج العربي يعيش شعبها حياة الضنك وقسوة الحياة ،حتى ركبوا أهوال البحار والمحيطات ،وذهبوا إلى الأسواق العالمية لتسويق اللؤلؤ في الهند وفرنسا وسويسرا ، وكان شعار هذه القرية ثم هذه الإمارة ، إخلاص أناسها وشرف معاملتهم ، حتى استثمروا أموالهم في بعض البلاد العربية والهند ،وتقدمت البلاد مع المؤشرات الحضارية وتدفق النفط ، وتحولت إلى دولة عصرية ارتبطت مع دول العالم بالمنظمات والمؤسسات الدولية ،وبلغ الشعب أشواطا في ميادين الثقافة والتعليم ،ونال مع ضرورات الحياة جوانب عديدة من الرفاهية وترف العيش وتعلمنا مع الإعلام الخير والشر معا دون أن نعي ضر شره .

تأثرنا بالشعارات العربية من دول الانقلابات والثورات التي كنا نرى فيها القدوة والمثال الأكبر ،وبلغ الأمر فينا أن انبهرنا بزينة الشعارات التي كانت تئن منها شعوب تلك الدول ، كنا نراها من بعيد بارقة تبهر الأنظار وسلاحا لهدم صروح الاستعمار والصهيونية ، فزدنا الشعارات بالصور والملصقات والأعلام . حتى ان الأعلام والرايات جعلناها أردية تكسي العمارات والمباني العالية لكي ترى من الجو والبر والبحر بالعين المجردة .

نحن الذين تشبثنا بأرض الوطن خلال الاحتلال الغاشم ورأينا الأهوال التي أنزلها جند الطاغية والظلم الذي كان سوط عذاب لكل مقيم ارتبط بهذه الأرض رغم سهولة طريق الهرب . وكثرة الهاربين حتى صار ترك الوطن مبالغة وإسرافا .

ولو استجبنا نحن القلة الصابرين وهربنا لما كان للحق حجة بعد تلك الواقعة ، ولو خلت البلاد من كل أهلها لاتخذ الطاغية ذلك حجة بان هذا الشعب لا ارتباط له بهذه الأرض ،وزاد في ظلمه وقسوته وطيشه حتى يكون له هذه الحجة ، ولكن هذا الشعب الصابر أثبت بطولته وأغلق على الطاغية باب الشر .

وتحت هذه المعاناة تمثلت لنا صور الطاغية في كل لباس ظهر به من العربي والأفرنجي والعسكري ، ولطخ في كل حدار الملصقات والشعارات الكاذبة .

ودنست الجدران وتلوثت المدينة والطرقات حتى أصابنا الاحباط والكراهية من الصور والشعارات ،وأحسسنا الألم الذي كان يئن منه الشعب العراقي الواعي المدرك والذي دعته الظروف القاسية أن يهاجر إلى الشرق والغرب وللظروف نفسها ترك بعض الكوتيين دارهم؟هربا من هذا الكابوس الإعلامي ،هذه الشعارات لا تجدها في دول الحضارة في أوروبا وأمريكا ولا الدول المتقدمة لا تجد هذه الشعارات لها جوا تتناسل وتتكاثر فيه إلا في بعض الدول الشرقية المتخلفة .

نحن بعد تلك المعاناة علينا أن نعيد النظر في شعاراتنا السمعية والمطبوعة والمرئية والملصقات الجدارية وتلك الملصقات التي تعبث بها الرياح وتمزقها الأيام ، نحن نلاقي الأذن الصاغية من مسؤولينا بعد أن نوقف اندفاع المنافقين والدجالين ،والذين بنوا لهم مجد المناصب حتى صاروا وكلاء ومدراء وأكثر من ذلك ،هؤلاء طاقم قيادة متعثرة ، يجب أن يبعدوا عن طريق بناء الكويت الجديد ، قلت إننا نلاقي الأذن الواعية من مسؤولينا ومثالنا في صاحب السمو الشيخ جابر الأحمد الذي طالما أنب ومنع من يجاهر بنفاقه ويصدح بمجاملة مكشوفة ويأتي بمدح مباشر ،والشيخ جابر هو الذي غير السلام الأميري إلى السلام الوطني ،وهو الذي رفض أن تستمر العملة في عهده لتحمل صورته ،فغير العملة رغم حداثتها حتى يمنع تداول صورته ،وشخص مثل هذا لا يطيق النفاق ولا يحب الشعارات إنه رجل حيي خجول وسيرحب بالصف القادم من بناة الوطن المخلصين ويرى فيهم صدق الإخلاص .

***

خريطة نادرة ذات أهمية كبرى
رسمتها جامعة بغداد قبل نصف قرن

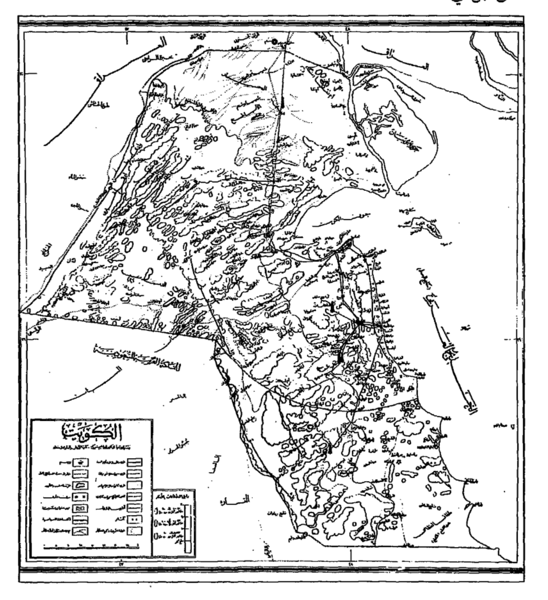
هذه الخريطة هي وثيقة مهمة حيث تبين الحدود الكويتية الشمالية قبل أن تزحف عليها العراق وتستقطع بعض الأجزاء منها ، وهي الحدود التي اتفق عليها الطرفان الكويتي والعراقي في اتفاقية ١٩٣٢ ، حيث تقترب الحدود من صفوان والخط الشمالي كما هو في الخريطة كان محدبا وعندما زحفت العراق صار هذا الخط مقعرا حيث دخلت العراق ما يقارب النصف كيلومتر من جهة صفوان نحو الجنوب .

هذه الخريطة تشهد بما أقرته الدولتان في ٢٩/ ٧/ ١٩١٣ واعترفت بهذه الحدود حتى الاستقلال ، وعرفت الدول حدود الكويت الشمالية بهذا الوضع ، وخاصة تركيا وبريطانيا منذ أن تأسست الكويت في القرن السابع عشر ، وقبل أن تنال العراق استقلالها ويكتمل كيانها السياسي الموحد بأكثر من قرنين من الزمان .

وأهمية هذه الخريطة السياسية والتاريخية كونها صادرة من أرفع جهة علمية في العراق من جامعة بغداد ، لقد وضعها الدكتور إبراهيم شوكة وهو أستاذ متخصص في كلية العلوم في بغداد وراجعت وحققت الخريطة لجنة من معارف الكويت في مطلع عقد الخمسينيات وهذه الخريطة رسمت قبل إنشاء خط العبدلي والمركز المعروف ، وما يتخذه العراق من حجة أن الجوازات كانت تراقب في المطلاع ، فإن الجوازات بالمقابل في العراق كانت تراقب في الدخول والخروج بمركز في الزبير وهذا لا يعني أن الحدود كانت عند الزبير ، هذه الخريطة هي قريبة كل القرب من الخريطة المرسومة والتي أنجزت أخيرا من لجنة ترسيم الحدود وهي جهة مستقلة أنشأها الأمين العام للأمم المتحدة تنفيذا لقرار مجلس الأمن الدولي رقم ٦٨٧ بند رقم ٣ وصدر التقرير لهذه اللجنة في ٢/ ١٥/ ١٩٩١ وبوثيقة مرقمة بـ ٢٢٥٨/ س ، وتشكلت هذه اللجنة كما علمنا من السادة مختار كسوما «أندونيسي» رئيسا والسيد إيان بروك «سويدي» والسيد

وليم روبنسون «نيوزيلندي» والسيد رياض القيسي من العراق والدكتور طارق الرزوقي من الكويت .

هذه الخريطة قدمتها إلى مركز البحوث والدراسات الكويتية وسلمتها للدكتور عبد الله الغنيم فضمنها الأطلس الكبير الذي صدر مؤخرا وأشاد بأهميتها ، ولم تظهر من قبل في الصحافة .



الكويت والعراق بين استقلالين

أعلنت انجلترا استقلال الكويت في نوفمبر ١٩١٤ ، كما أعلنت بعد ذلك عن استقلال مصر في السنة نفسها ، في شهر ديسمبر ١٩١٤ ،وأعلنت استقلال العراق بعد ستة عشر عاما وذلك في معاهدة ١٩٣٠ لنيل الاستقلال في مفاوضات بدأت في إبريل وعقد لها في حزيران (يونيو) على أن تكون نافذة المفعول عند دخول العراق عصبة الأمم سنة ١٩٣٢ .

وأكد هذه الاتفاقية (المعاهدة) المجلس النيابي العراقي في السادس عشر من تشرين الأول سنة ١٩٣٠ . وهذه المعاهدة ألغت الانتداب البريطاني ، وجعل الممثل البريطاني بدرجة سفير ومنح السفير البريطاني امتياز التقدم على ممثلي باقي الدول .

أما الممثل العراقي فقد كان بدرجة وزير مفوض وليس بدرجة سفير حتى حين .

وفي الوقت الذي كانت الكويت تتمتع بكامل حريتها الداخلية من استقلال في حكومتها وتجارتها الخارجية والداخلية ، واستقلالها في التعليم وإدارة الأمن كانت العراق غير مستقلة في شؤونها الداخلية فالتعليم كان تحت الإدارة الانجليزية والأمن حتى المخافر الصغيرة في القرى كانت تدار من شرطة الإنجليز كما كان الوضع في العهود العثمانية ،وكان أهل الكويت يديرون تجارتهم بكامل حريتهم من استخراج اللؤلؤ وهو المصدر الأهم في الدخل القومي إلى حرية تسويقه في الخليج وخاصة البحرين ، وفي الهند أو في الأقطار الأوروبية من قبل الشعب . ومع كل ذلك فإن معاهدة الاستقلال العراقية البريطانية كانت تتضمن قيودا تنم عن بقاء النفوذ البريطاني وبقيود صريحة لا تعني الاستقلال الفعلي ومن ذلك هذه المواد :

المادة الأولى :أن يسود سلم وصداقة دائمان بين العراق وبريطانيا ، ويتأسس تحالف ، وتجرى بينهما مشاورات تامة في جميع شئون السياسة الخارجية مما قد يكون له مساس بمصالحهما المشتركة .

المادة الثانية : تبادل التمثيل السياسي بين البلدين حيث جعلت الرسائل المتبادلة الممثل البريطاني بدرجة سفير ـ كما تقدم ـ كما تم منح السفير البريطاني امتياز التقدم على ممثلي باقي الدول . أي استقلال هذا؟

أما الممثل العراقي فكان في درجة أدنى ، وزير مفوض ، ولم يتغير ذلك إلا في سنة ١٩٤٦ .

المادة الثالثة : تكون بريطانيا الطرف الفعلي لأي منازعات تقع بين العراق ودولة ثالثة .

المادة الرابعة : أوجبت على كل من الحليفين السعي إلى معاونة حليفه في حالة وقوع حرب وتقديم التسهيلات لبريطانيا في حالة الحرب لاستخدام السكك الحديدية والأنهر والموانى والمطارات ووسائل المواصلات . . هذا لو قورن باستقلال الدول لايعد استقلالا في الوقت الذي كانت تتمتع به الكويت بحرية التصرف بطرقها البحرية والبرية .

وفوق هذا جعلت النص الانجليزي هو المعّول عليه وحددت هذه المعاهدة (معاهدة الاستقلال) في المادة الحادية عشرة ، مدة المعاهدة بخمس وعشرين سنة .

وأغرب ما في المعاهدة قيام مطارات بريطانية في أراضي العراق ، وما جاء في المادة الحادية عشرة إذ يوجب على الفريقين المتعاقدين أن يقوما بعقد معاهدة جديدة ينص فيها على حفظ وحماية مواصلات الحكومة البريطانية في العراق .

أما الاتفاق المالي فقد ألزم الحكومة العراقية بشراء مخلفات الجيش البريطاني بقيمة ثلث كلفتها على أن تشهد بصحة الثمن وزارة الطيران البريطانية ، كما نص على أن الحكومة البريطانية لا تدفع إيجارا عن المطارات التي تستعملها في العراق ومن غير أية ضرائب أو رسوم .

وبقيت اتفاقية أخرى تابعة للمادة الخامسة بشأن السكك الحديدية العراقية والميناء وإدارتهما تحت السيطرة البريطانية بما في ذلك ميزانية هذين المرفقين الهامين ورواتب

الموظفين الإنجليز وهم الغالبية العظمى أن تكون مطلقة ، دون تدخل البرلمان والدولة العراقية المستقلة ،هكذا هي العراق تتشدد ولا تنصاع لمنطق العقل أو الحق حتى تترك بعد ذلك الخيط والمخيط بيد الغير مسلوبة الحرية والإرادة كما حدث لها بعد إصرارها على الاعتداء والاحتلال والنهب والسرقة ثم الانسحاب واختفاء المسؤولين في جحورهم والانشغال في التقتيل الجماعي . ،أما وثيقة الكويت التي صدرت في ١٩ حزيران (يونيو) ١٩٦١ فإنها إعلان رسمي لإلغاء الحماية وتأكيد الاستقلال وإتمامه .

وتبقى أهمية إعلان الإستقلال الأولى هي الركيزة التي رسخت قواعد الحرية والشخصية الكويتية المستقلة بذاتها في الحياة الاجتماعية والتجارة والتعليم والأمن الداخلي ،ولقد غفلت كتب التاريخ عن بيان أهمية هذه الوثيقة التاريخية وانشغلت بأمور شخصية وسجلات ومواقف هامشية في الوقت الذي اهتم إعلام الدول الأخرى بمواثيق الاستقلال المبكرة رغم ما فيها من الجوانب السلبية ،هذا هو استقلالنا المبكر فانظر إلى البون الشاسع بينه وبين استقلال العراق ! !

***

هكذا تابعت الإدارة الأميركية

العسكرية تطورات ما قبل الغزو[1]

المكان : الشبكة الداخلية للبنتاجون والجنرال باول أمام التلفونات والصور التلفزيونية ، وحوله الخط الأخضر المترجم للشفرة السرية لهيئة الأمن القومي في المخابرات المركزية ، والمركز القومي لمخابرات التصوير ، وأمام هذه الأجهزة «والتربيات لانج» وهو كولونيل متقاعد وكان ضابط وكالة المخابرات الحربية لشؤون الشرق الأوسط وجنوب آسيا . .

وهو المدني المسؤول عن المخابرات في البنتاجون ويتسلم المعلومات الخام فيحللها ويختصرها بما فيها التصوير الجوي المرسل من الطائرات والأقمار ، وفي ذلك اليوم ٧/١٦ رأى مدرعات عراقية طراز ٧٢ والتي تسلمها العراق من السوفييت ، وكانت معظم المعدات محمولة على عربات سكك الحديد ، كما كان الاستعداد الكبير في بداية الحرب الإيرانية ، وهذه هي معدات الحرس الجمهوري الوحدة الخطرة التي يعتبرها صدام حسين صفوة جيشه والتي بناها خصيصا لحماية صدام ونظامه في العاصمة ، حتى جعل منها قلعة يأمن جانبها أمام كل التهديدات .

وكان ذلك قبل يوم من المذكرة العراقية ، ولكن الإعلام العراقي قد مهد للتحرش الإعلامي واتهام الكويت في تجاوز حصتها في الإنتاج النفطي التي قررتها منظمة الدول المصدرة للبترول وأن العراق ينوي كشف أوراق الابتزاز والتهديد .

وتطورت الأحداث ، وعقد مؤتمر الرياض الذي مثل العراق فيه عزة إبراهيم ورأس الجانب الكويتي في سمو ولي العهد ورئيس مجل الوزراء ، ولم يسفر عن أي أتفاق

(١) عن كتاب القادة ، تأليف بوب ودورد ، بتصرف ترجمة صبحي مشرقي ، نورس خالد ، جلال عبد الكريم ، دار سفنكس للطباعة والنشر والتوزيع – انظر الباب رقم ١٧ .

نتيجة تعنت الجانب العراقي ومحاولته فرض شروط رفضها الجانب الكويتي ، وقبل أن يغادر الوفدان مدينةالرياض كانت القوات العراقية قد اجتازت الحدود إلى داخل الكويت .

ونعود إلى ما قبل ذلك بأسبوعين

قرأ الجنرال باول ملخصات المخابرات والتي أوضحت تحركات القوات العراقية ٣٥٠ ألف جندي في ثلاثة أيام ، وكانت تحليلات الجنرال كيلي ووكالات المخابرات المختلفة تقول أن صدام يبدو أنه سوف يستخدم تحرك القوات كعامل تهديد وضغط في أثناء المفاوضات ، وكان أغلب ما توقعته الكويت أن صدام سوف يستولى على حقل الشمال ، أو يتحرك كأقصى احتمال نحو جزيرتي وربة وبوبيان .

وكان صدام قد ركز نفسه كقائد ورئيس للعراق مدى الحياة كأغلب الحكام العسكريين وكما فعل نورتيجا وبعض حكام الشرق الأوسط . . لينفرد في اتخاذ كل القرارات . .

واستدعى باول نورمان شوارزكوف قائد القيادة المركزية والمسؤول عن الشرق الأوسط وجنوب آسيا ، وهذا الرجل هو خريج كلية ويست بوينت دفعة ١٩٥٦ ولاعب كرة قدم مهاجم ومتحدث مفوه ويعرف باسم الدب وطوله ٦ أقدام و ٣ بوصات ، ويشبه بالممثل كارول أو كنور في حلقات برنامج «الكل في العائلة» هذه الأوصاف جاءت في كتاب «القادة» ومن أوصافه أنه كان مرعبا كرئيس ويبدو مرعبا ومخيفا عند غضبه ورضاه ، ومشهور عنه طرده للمراسل عندما يأتونه بأخبار سيئة وسأله باول أن يقدم له «تقييما» عن القوة العراقية ، فبين له ذلك وقال إن العراق يبدو أنه سيقوم بحملة تأديبية أو ضربة محدودة ضد الكويت .

وجاءت برقية السفيرة إبريل جلاسبي لتهدئ من الموقف في ٥/ ٧/ ١٩٩٠ توضح فيها أن هناك مساحة للتفاوض بين العراق والكويت رغم أن القوات العراقية على الحدود تشير بالتأكيد بأن شيئا غريبا سيحدث .

وجاء تأكيد الرئيس مبارك من أن صدام لن يغزو الكويت ، وتأكيد من الملك حسين الذي يضيف إليه السداد المالي للتخلص من المشكلة .

وعندما تقدم الزمن إلى الأول من أغسطس دخل «لانج» نائب مدير المخابرات المركزية إلى مكتبه فوجد بعض موظفيه في انتظاره ، وقدموا له الصور الحديثة التي اقتربت فيها إلى مشارف الحدود ثلاث فرق مدرعة تتحرك على بعد ثلاثة أميال ، فرقة حمورابي وفرقتان أخريان تتخذ من الدين الاسلامي قناعا فرقة «نؤمن بالله» عند الطريق الرئيسي نحو الكويت ويفصلها عن الفرقة الاخرى ٧٥ ياردة .

وتحركت فرقة «المدينة المنورة» لتتخذ الجانب الغربي ، وهنا تحقق «لانج» أن الإصبع على الزناد وأن الاستعداد معد للهجوم . . فوضع تقريره السري للبنتاجون .

باول : الشرطة العراقية كافية

وينتهي النهار الأول من أغسطس ويأتي ليل حالك السواد يبث نذره في أجواء تلك الليلة الساكنة ، جيوش ميدانية رهيبة تتحرك لتنقض على الكويت ، واستغرق باول في التفكير :

يا الهي ـ الكويت ! ! إن العراق يمكنه أن يرسل شرطته ليستولي عليها . لم كل هذه القوات؟ !

ـ تشيني : كل ما يفعله صدام لإخافة الكويتيين وماذا لو عملها وافترس هذا الجيش المرعب ذلك الحمل الضعيف؟

ـ شوارزكوف ينوّه بالتصرف السريع الذي بين يديه ، خطة عمليات القيادة المركزية رقم ٩٠ ـ١٠٠٢ .

وهي خطة سرية جدا لتحريك ١٠٠,٠٠٠ جندي من القوات البرية ولم يعد باول يصدق أن صدام حسين يناور واقترح أن يقوم تشيني بتبليغ التحذير إلى البيت الأبيض لتسخين الرئيس بوش . .

وفي الساعة ٩ مساء جاء الخبر السيىء ، تلقى تشيني مكالمة في منزله من الأدميرال أوينز بأن القوات العراقية قد عبرت الحدود في طريقها إلى داخل الكويت والدبابات تتسابق جنوبا وشرقا في اتجاه مدينة الكويت ، وانتشر الخبر كالنار في الهشيم ، دخل العراق الكويت في خلال ثلاث ساعات ونصف دون إنذار ، وبخداع رسمي كذب فيه صدام على الرئيس حسني مبارك ، وادعى الملك حسين أن ذلك حقيقة لا يريد صدام منها الغزو ، وكان أول عمل خطير اتخذته الولايات المتحدة في تلك الليلة في أثناء الساعات الأولى من نهار الكويت الكئيب ،هو الأمر بتجميد الأموال لمنع صدام من الاستيلاء على مبلغ الـ ١٠٠ بليون دولار وهي جملة الاستثمارات الكويتية .

وفي الصباح كان اجتماع هيئة الأمن القومي واقترح سنونو بأنه يجب وقف طرق بيع البترول الكويتي في الأسواق الحرة . . وتحركت الكويت برجالها في الداخل رافضين الاستسلام كظاهرة فريدة في التاريخ لم يتقدم أحد لتأييد الاحتلال ، والتف المرابطون إلى بعضهم رافضين أي بديل لأميرهم ورمزهم الوطني ، فإن جميع المرابطين في الكويت أبوا أن يطلقوا كلمة واحدة ترضخ للتهديد والتعذيب والقتل .

كثير من الشهداء استرخصوا بأرواحهم حتى لا تخرج منهم كلمة يستفيد منها الإعلام العراقي .

لم يتفوه أحد لا الأطفال ولا النساء ولا المرضى ولا كبير ولا صغير بكلمة تفيد الاستسلام والرضوخ أو الترحيب بالغزاة .وهذا سبب انهيار النظام العراقي وبطشه واتباعه لكل الوسائل الوحشية والإهانات وجرح النفوس والاعتداءات الخلقية وهتك الأعراض ،لتستمر كلمة الرفض .

وانتشر العصيان لا دوام ولا عمل ، ولا طاعة للمغتصب ولولا هذا الصمود وعصيان أهله لصارت الورقة في يد صدام أقوى من ذلك .

وتحرك الكويتيون في الخارج لمخاطبة الرأي العام الدولي ، واتصل أمير البلاد بقادة العالم ،وموقف سمو ولي العهد رئيس مجلس الوزراء ابتداء من قمة القاهرة في نهاية

الأسبوع الأول للغزو ،وتحركه في الدول الأخرى وكذلك المؤتمر الشعبي في جدة حيث مبايعة الشعب الكبرى ، والقسم على إنقاذ البلاد ، وجهود خادم الحرمين الملك فهد الذي جعل أرضه تربة طيبة لتنطلق منها قوى التحالف الصديقة ،بل فتح أرضه وسماءه وبحاره من أجل الكويت ، والشعب السعودي الطيب الذي وقف وقفة الأخ لأخيه ،ودول مجلس التعاون بحكامها وشعوبها . ثم الدول الصديقة وعلى رأسها الرجل الكبير الرئيس بوش الذي شاءت الاقدار أن يكون هو في سدة الحكم بخبرته وقوة شخصيته كما أخذت بيده تلك المرأة القوية تاتشر للقيام بحملة تأديبية للجيش التتري الأهوج الذي قبلت أخلاقياته العسكرية أن يسحق بلدا صغيرا آمنا بكل وحشية ، وهكذا حتى مكن الله هذه الدول من القيام بأكبر حملة تأديبية يضرب بها جيش ويطرد شر طردة من هذا البلد الآمن المسالم .

***

الساعات الأخيرة التي حملت نذر الغزو

كان الوقت يزداد تأزما ، والمتوقعون للانفجار كانوا في معظم الدول إلا الكويت كانت ترى ذلك سحابة صيف عابرة ، «والتر بي لانج» نائب مدير المخابرات المركزية يترقب الصور الحية من الأقمار في صباح يوم الأربعاء حيث كان في مكتبه من الساعة السادسة صباحا يوم الأربعاء الأول من أغسطس ، قدم له الموظفون الذين كانوا في انتظاره أحدث الصور التي وصلت منذ لحظات .

ويرى عبر الأقمار ثلاث فرق مدرعة تتحرك على بعد ثلاثة أميال نحو الحدود الكويتية ،لقد كان شيئا مثيرا للدهشة أنها ليست بمناورة عسكرية ، لقد دنت فرقة «حمورابي» نحو الحدود ، ووضعها هو وضع انقضاض على الحمامة الوديعة التي لاتريد أن تلتفت إلى مصدر الخطر الذي تسمع هديره .

وفرقة أخرى اسمها «نؤمن بالله» تضور الاسم وكيف هو استغلال للشعار الديني ، وفرقة ثالثة «المدينة المنورة» ، أيضا مستغلين بذلك أقدس شعار .

بالقرب من المحاور الرئيسية على الطريق السريع الذي مهدته الكويت ليكون موطنا سهلا للاخوة العراقيين وهم يحملون حوائجهم المدنية والعسكرية من موانى الكويت الجنوبية والشمالية واستحدث الطريق السابع ليرتبط بطريق الجهراء لأجل ذلك ، وللوقوف بجانب الشقيق في حربه التي دامت ثمانية أعوام[(1)].

والصور التي يراها «والتر لانج» زاحفة نحو حدود الكويت تتقارب إلى بعضها بمسافة ٥٠ إلى ٧٥ ياردة .

وتحركت المدفعية الثقيلة خلف الدبابات على خطوط امتدت إلى أميال ، واتخذ قادة المدرعات مراكز الميدان خلف الخطوط وفي وسط كل فرقة ، وتحقق لدى «والتر لانج» أن هذا الهجوم الساحق الذي سوف يتم بعد ساعات على الكويت أنه دون إنذار مسبق ، والصور الحية تعلن عن نواياها السيئة ،وكان «لانج» يرى ذلك ، وصورها

(١) أنظر كتاب القادرة ، الباب رقم ١٧ ، ص ١٦٤ .

بالبندقية المحشوة المصوبة نحو رأس الكويت ووضع الإصبع على الزناد ، ويلاحظ العضلات في الإصبع تضغط أكثر فأكثر ،وكان هذا يحدث في حركة بطيئة أمام عينيه ،والكويت في هذه الفترة تغط في مقيل ظهر الأربعاء الأول من أغسطس ، والمشهد لم يكن عند غرفة عمليات المشاهدة في البنتاغون ، بل كانت الدول المرتبطة مع عشرات الأقمار الصناعية ترى ذلك .

ولما علمت الكويت في الساعات الأخيرة . . قالت إننا نعرف إلى أي حد سيزحفون عندها نتصرف ، ولم يكن أي تأهب عسكري ، ولا تصعيد في الطوارئ ،وربما لحكمة أرادها الله لكي لا يفني الجيش الكويتي وشعبه الصغير أمام الجحافل المدمرة وعدم تكافؤ الطرفين .

وأوضحت الصور في عمليات المشاهدة عند المخابرات المركزية وهيئة الأمن القومي أن العراق في صباح الأول من أغسطس وظهيرته حسب التوقيت المحلي قد حرك ٨٠ طائرة هليوكبتر من مواقعها لتكون على الحدود في وضع هجوم جو أرض .

وكتب «لانج» تقريرا شديد السرعة جدا يصف فيه الوضع ويتوقع هجوما في هذه الليلة أو الصباح التالي ووضع تقريرا سريا أمام كل القيادات العليا في البنتاغون .

وساد الاضطراب ، إنها ستكون ليلة ليلاء لفريق الشرق الأوسط بالبنتاجون فتواصل الليل بالنهار .

باول وتوقعاته :

وفي ذلك الصباح الذي يعقبنا فيه توقيت واشنطن بثماني ساعات في اليوم الأول من أغسطس قرأ باول رئيس الأركان تقرير المخابرات المركزية الذي يقول بأن كل الشواهد تشير إلى أن صدام حسين سوف يغزو الكويت .

وعرف باول أن الموقف في غاية الخطورة ، وأن حرارة البركان تكاد تكون تحت قدم كل فرد في الكويت وما حولها . ويقول (بوب وودور) كاتب «القادة» لقد تحاشت المخابرات المركزية أن تطلق صرخة الذئب كثيرا .

ومع هذا فلقد تحقق (باول) بأن الطريقة الوحيدة للتأكد من النوايا مازالت في عقل صدام وتفكيره ونواياه ولعل ذلك تصعيد في أقصى مدى ، لتحذير الكويت لكي تخضع لابتزاز العراق ، وإلا فلتقبل الطوفان .

واستطرد باول قائلا وهو يتساءل بذهول :

يا إلهي كل هذه القوة للكويت؟ إن العراق يمكنه أن يرسل شرطته المحلية ليستولي عليها .

وفي ذلك الصباح تحدث شوارزكوف مع قادة الأركان وتحدث مع تشيني وأعطاهم تقريرا عن مواقع ١٠٠,٠٠٠ من القوات العراقية وقال : إن القوات متمركزة على أهبة الانقضاض وهي تعطي صدام كثيرا من الاختيارات وليس فقط الهجوم .

وقال تشيني إن ما يقوم به صدام هو تحضير للغزو وليس إخافة الكويت فقط ، ويصعب التفريق الآن والفصل ، وخاصة أن الكويت لم تبد رأيا لمساعدة أو تدخل وحتى لو جاء طلبها الآن فلا مجال للتفريق بين الاثنين ،وكان تصديق المناورة قبل أيام ، وقبل أن يحرك صدام كل هذه القوات أما الآن فالقوات على أهبة الانقضاض . هذه هي الساعات الأخيرة قبل الغزو التي حركها الأشقاء بغدر وخسة واستغلوا مسميات إسلامية (المدينة المنورة) ، و(نؤمن بالله) وغيرها للخداع الإعلامي . ثم كان الغزو والغدر وخرق العهود .

***

لكي لا تكون الكارثة شخصا (أ)

ثلاثة حشود عسكرية أقيمت على حدود الكويت للانقضاض عليها وابتلاعها لقمة سائغة :

* تعلقنا بالملك غازي فحشد قواته في ١٩٣٩ .
* واحتضنا الزعيم قاسم فحشد قواته في ١٩٦١ .
* وهمنا في صدام حبا ، فحشد قواته في ١٩٩٠ ونفذ المؤامرة .

الحشد الأول كان من الملك عازي الذي تعلقنا به ورفعناه فوق هاماتنا دون تبصر من خلال نظرة خاطئة أججتها المظاهرات وردح الشوارع والنداءات المطالبة بتأييد الألمان ضد الإنجليز .

غازي الذي كشفت الحقائق انه كان مثل صدام في استهتاره وحماقته وكان نزقا ومراهقا وسكيرا أقام له خمس إذاعات خاصة لكي ينتقل بينها بصوته بإعلان لا مثيل له في التاريخ بالتهريج ، لقد دفع بقواته نحو الحدود واعتمد على عنصر المباغتة ، هكذا زين لهذا الملك الشاب أن يدفع بجيشه وقواته إلى الكويت ،وأرادها ضربة قطاع الطرق ، فلم يحط وزراءه علما ، ولم يفاتحهم ، فأمر نائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية ومتصرف البصرة علي محمود الشيخ بأن يتهيأ لضم الكويت إلى العراق وأوعز إلى رئيس أركان الجيش الفريق «حسين فوزي» بقيادة الجيش إلى الكويت فورا[1] .

ورفض بعض المسؤولين في العراق هذه الحملة فاعتذر وزير الداخلية ناجي شوكت الذي كان رئيسا للوزراء بالنيابة عن نوري السعيد لغيابه في لندن في ١٤ كانون الثاني ٣٩ واعتذر رئيس الأركان ، قائلاً له : إن البدالة في البصرة متعطلة لا تعمل وتعذر الاتصال ، وفي الليلة الثانية كرر الاعتذار في صعوبة

(١) كتاب غازي – الدكتور لطفي جعفر فرج ١٩٨٧ ص ٢٢٤ .

الاتصال الهاتفي فجن جنون الملك غازي وأخذ يهدد ويتوعد ، أما ناجي شوكت فإنه يقول في مذكراته(١) .

وفي إحدى الليالي المعروفة قرر احتلال الكويت فأصدر أوامره إلى رئيس الأركان بتنفيذ الأمر بالاحتلال وفي الوقت نفسه اتصل بمتصرف لواء البصرة هاتفيا وطلب إليه أن يسند قطاعات الجيش العراقي المرابطة في البصرة لاحتلال الكويت .

وفي اليوم الثاني ذهب ناجي شوكت رئيس الوزراء بالوكالة إلى البلاط الملكي فوجد في غرفة رئيس الديوان رشيد عالي الكيلاني كلا من وزير الدفاع طه الهاشمي ووكيل رئيس أركان الجيش ، فبادره طه بالكلام قائلا :

إن الملك اتصل برئيس الأركان وأمره باحتلال الكويت وطلب من متصرف البصرة تيسير هذا . . وأضاف طه إلى كلامه هذا : ولكننا لم ننفذ الأمر لعلمنا انه صدر في الأمسيات المعروفة «وكان يقصد في إحدى أمسيات السكر والغياب عن الوعي» .

جاء الملك إلى الديوان ثائرا يتساءل عن تنفيذ الخطة هل تمت؟

ناجي : أنا نائب رئيس الوزراء ولا أستطيع ان أعمل شيئا خطيرا مثل هذا حتى يحضر الباشا .

الملك : ولكن هذه إرادة ملكية ، وبكل انفعال وغضب .

ناجي : إن كنت مصرا على ما أمرت فإني سأبرق إلى لندن حالا ليعود الرئيس نوري السعيد .

ولكن من واجبي أن ألفت نظر جلالتك إلى نقطتين مهمتين في هذا الموضوع : أولاهما :أنه ليس من المصلحة أن يستدعى نوري باشا من لندن لانه قائم بمهمة خطيرة لأجل القضية الفلسطينية ،والثانية :أن في الإمكان احتلال الكويت خلال ٢٤ ساعة ، ولكن هل تعتقد جلالتك أن كلا من بريطانيا وإيران والسعودية سيقفون مكتوفي

(١) «سيرة وذكريات» ـ ثمانين عاما ١٨٩٤ ـ ١٩٧٤ ناجي شوكت ص ٣٤١ .

الأيدي ويرحبون بهذا العمل الجسيم «الغزو»؟ إنهم سينقمون علينا أشد نقمة ، فهل جلالتك مستعد لمحاربة ثلاث دول في آن واحد؟

فقال الملك : طيب ننتظر عودة نوري .

ويقول إنه عاد إلى الموجودين وأخبرهم بالتأجيل فارتاح الجميع ، وانتهت القضية بسلام .

وكان الملك هاويا في أمور المراسلات اللاسلكية فعمل له إذاعة منافسة لإذاعة بغداد لكي تكون حسب تصرفه الشخصي يذيع كل المواد بصوته دون ان يصرح باسمه إلا في الأمور السياسية المادحة للألمان والمهاجمة للإنجليز والمطالبة بضم الكويت ،خلال مخاطبته لشعب الكويت من الراديو مباشرة ،وزار الشيخ أحمد الجابر حاكم الكويت العراق سنة ١٩٣٥ وكرر الزيارة في ١٩٣٦ والتقي بالملك لكي يهدئ الأمور ،وعاد الشيخ أحمد دون أن يتوصل إلى حل الوفاق مع الملك ، وتخطى الملك نصائح أصدقائه وقرر تبني دعوة ضم الكويت بالقوة ،واندفع إلى إذاعته الخاصة في قصر الزهور وبدأها بإذاعة واحدة في ١٩٣٦ وبث فيها الأغاني والأخبار والروايات العالمية والمحاضرات العسكرية وإعادة بعض فقرات إذاعة بغداد ثم أمر بنصب إذاعة ثانية في ٢٠ كانون الثاني ١٩٣٧ ، ثم جرى نصب إذاعة ثالثة في ٢٠ نيسان ١٩٣٨ بقوة تعادل المحطتين السابقتين ثم حصل لها على موجة دولية من اتحاد البث اللاسلكي في سويسرا حتى غدا صوت الملك المذيع مسموعا في الأقطار العربية المجاورة وفي عام ١٩٣٩ صار له خمس محطات يتنقل من واحدة إلى أخرى يذيع ويقدم الفقرات والتعليقات ، ويروي يونس بحري في مذكراته أنه هو الذي جلب محطة إذاعة قصر الزهور كهدية من هتلر الزعيم الألماني وحملها على ظهر شاحنة بطريق البر حتى أوقف الشاحنة عند القصر فدخل على الملك يقدم له الهدية ،وصعد إرساله الموجه لضم الكويت وإثارة المواطنين فيها ، وهكذا انشغل الملك في تهريجه الشخصي

بإذاعـاته الخـمس يردد بصـوته الأناشـيـد والقـراءات والتـعليـقـات وتقـديم فقـرات الأغـاني[1] . والذين عـارضـوا الاحـتلال من رجـالـه هم نـوري السـعـيـد وناجي شوكت والمدفعي .

أمـا الذين اندفـعوا أكـثـر من الملك لضـم الكويت فـإن أشـدهـم هو رشـيـد عـالي الكيـلاني رئيس الديوان الملكي الذي تولى هذا المنصب في ١٩ كانون الثاني ١٩٣٩ ، وقـيـل إن نوري السعـيـد قـد شـجع الملك بدافع الانـتـقـام منه ليلقى حـتـفه من تـهـوره هذا . وبات شيـئا متوقعـا أن يفاجئ الملك الناس بـاحتلال الكويت ولارتبـاط الكويت بمعاهدة مع الإنجليز فقد سارع السفير البـريطاني واتصل بغازي في ٨ آذار ١٩٣٩ وقام الملك بإبلاغـه أنه سيتـرك التـفكيـر بغـزو الكويت وانه ليس له أية خطة في ذلك ،وقـال مـرافق الملك «سـامي عـبـدالقـادر» إنه مـجـرد تظاهر وخـدعـة من الملك لصـرف أنظار الانجليز ولكي ينقض على الكويت فجأة ،تماما كـما ادعى صدام كـذبا أنه لا ينوي غزو الكويت وفي لقـاء آخر مع السفـير البـريطاني ، حذره السفـير قـائلا «إن إحداث الضـرر أسـهل من إصـلاحـه» وكـان ذلك فـي ١٥ آذار ١٩٣٩ وطلب منه إصـلاح الأمـور مع الكويت ومـهادنة شيـخهـا ،وقال السفير له إن بـريطانيا لا تسـمح بمثل هذا التـدخل في الشـؤون الداخليـة للكـويت مـهـمـا كـان الهـدف ، وعلى الملك أن يراعـي المعـاهدة البريطانيـة الكويتيـة ،ومن الأصوب أن يلتفت العـراق إلى تنظيم أموره بدلا من مـحاولة الاعتداء على الكويت في مغامرة سوف تلحق الدمار بالعراق وأهله .

***

(١) كتاب غازي – الدكتور لطفي جعفر ص ٢٢٠ – ٢٢٥ .

لكي لا تكون الكارثة شخصا (ب)

منذ أن سقطت بغداد في زمن المستعصم بالله (٦٥٦هـ - ١٢٥٨م) آخر الخلفاء العباسيين لم يشهد العراق له حكما عربيا مستقلا ، ودام حكم الأجنبي قرابة سبعة قرون ، من الحكم العثماني والفارسي حتى جاء الإنجليز لهم بحاكم من الجزيرة العربية هو الملك الهاشمي فيصل بن الحسين . وكان الأمير عبدالله والأمير زيد هما اللذان يتردد اسماهما كثيرا لتولي عرش العراق . وكان ولي عهد الحجاز هو الأمير علي وكان فيصل مرشحا لعرش الدولة العربية في الشام وذلك لما قرر المؤتمر العربي في دمشق تتويج فيصل على عرش سوريا ، وقرر العراقيون الموجودون في الشام بتاريخ ٨ مارس سنة ١٩٢٠ تتويج الأمير عبدالله ملكا على العراق ، ولكن المملكة العربية في الشام لم يكتب لها البقاء واضطر الملك فيصل في آخر يوليو إلى تركها في أعقاب معركة «ميسلون» وسقوط سوريا بيد الفرنسيين .

ثم جاء التأييد من «ارنولد ولسون» في برقية جوابية أرسلها إلى وزير الخارجية البريطانية الذي كان قد سأل ولسون أن يبدي رأيه في فيصل بعد ما حدث في سوريا فبين ولسون الأسباب التي حملته على ترشيح فيصل لإمارة العراق بالنظر لما يتمتع به من مواهب عظيمة[١] .

و قد رشح لهذا المنصب العديد من العراقيين والعرب وكان السيد طالب النقيب من أبرزهم ، وكان النقيب يمني نفسه أن يكون أميرا لإمارة عربية تشمل البصرة وما جاورها على غرار إمارة الشيخ خزعل أمير عربستان وعلى غرار الكويت كإمارتين مستقلتين ، واتصل بالبريطانيين لكي يضمنوا له هذا المطمح ، ولكنهم صرفوا الأنظار عنه لأنه اندفع إلى الأتراك في آخر عهدهم وبطش بأهل البصرة وظلمهم ، وصار يبذل المال لمنع الملك فيصل مستغلا منصبه كوزير للداخلية في الحكومة المؤقتة .

---

(١) كتاب (العراق بين الاحتلال والاستقلال) د . عبد الرحمن البزاز ص ١٢١ - ١٣٨ .

ولما زاد نشاطه أمرت الحكومة البريطانية بنفيه إلى جزيرة سيلان ثم السماح له بالذهاب إلى مصر ولم يعد إلى العراق إلا في سنة ١٩٢٥[١] . وكان المرشح الثاني عبدالرحمن الكيلاني نقيب أشراف بغداد ورئيس الوزراء في الحكومة المؤقتة ، والمرشح الثالث هو عبدالهادي باشا العمري علما أن السير أرنولد ولسن كان قد رشحه في المرة الأولى سنة ١٩٢٠ . ومن المرشحين «برهان الدين» نجل آخر سلاطين آل عثمان ، لشعبيته في المناطق الشمالية . ومن المرشحين لحكم العراق «أغاخان» رغم قلة مناصريه ، ورشح الشيخ عبدالله الخزعل ابن شيخ المحمرة لسخائه وصلته بالشعب العراقي في الجنوب ، وتم ترشيح الأمير فيصل لعرش العراق نهائيا في مؤتمر القاهرة الذي عقد برئاسة ونستون تشرشل وزير المستعمرات آنذاك في ١٢ مارس ١٩٢١ ، وحضر مندوبا عن العراق السير برسي كوكس وسكرتيرة الشؤون الأجنبية المس بيل ، ووزير الدفاع جعفر العسكري ووزير المالية اليهودي ساسون حسقيل والجنرال هلدن وعدد من المستشارين البريطانيين .

وجاء في برقية المستر تشرشل في منتصف أغسطس لدار الاعتماد يطلب فيها من الأمير الذي سيتوج ملكا لزوم الاعتراف في خطبة التتويج صراحة بأن السلطات الفعلية في العراق تبقى في دار الاعتماد ، واعتباره ملكا مرتبطا ببريطانيا بمعاهدة تحالف . . وجاء يوم التتويج في ٢٣ أغسطس ١٩٢١ في ساحة «السراي» فجلس الملك وكان المندوب السامي عن يمينه والقائد العام للجيش البريطاني عن شماله ، وتم التصويت في هذه الساحة من المدعوين وأعضاء الوفود فجاءت النتيجة ٩٦٪ من مجموع الناخبين ورفض من الشعب الاشتراك أهل السليمانية فقط[٢] .

هذا هو النظام الذي كان يندفع إليه بعض المثقفين على أنه عربي حر ، وجاء منعطف سياسي آخر بعد فيصل ليتحول من الانجليز رغم أن السلطة بكاملها كانت للانجليز ، عبر إعلام موجه من الملك غازي لمناصرة الألمان ضد الإنجليز ودعوة الشباب العربي لمناصرته ، ولم يكن نداؤه من منطلق الحرية والاستقلالية ولكن بتحرك إعلامي من الألمان الذين مدوا خط برلين الحديدي ، وقدموا هدية للملك وهي إذاعة قصر الزهور ،

***

(١) ، (٢) كتاب (العراق بين الاحتلال والاستقلال) د . عبد الرحمن البزاز ص ١٢١ - ١٣٨ .

لكي لا تكون الكارثة شخصا (جـ)

طبعت جامعة البصرة كتابا عنوانه «تاريخ الخليج العربي المعاصر» سنة ١٩٨٤ من تأليف نخبة من الأساتذة في كلية الآداب والتربية بالجامعة المذكورة وهم د . مصطفى النجار ، ود . حسن محمد القهواتي ، ود . علي مراد ، ود . علاء موسي نورس ، ود . صالح محمد العابد وهؤلاء الأساتذة عايشوا قضايا الأحداث السياسية والتاريخية في المنطقة أكثر من غيرهم وهم أعلم بحقائق الأمور ، من القادة العسكريين ، ودعاة العسكرية الذين لبسوا الملابس العسكرية كالممثلين على المسارح أمثال صدام حسين ، هذا الكتاب على سبيل المثال ليس فيه أية إشارة تعارض الواقع التاريخي لاستقلال الكويت ، بل يتعقب الكتاب نشأة الإمارة حرة إلى أن تم لها الاستقلال ، وذلك بأسلوب منهجي يتقصى الحقائق بأمانة علمية فلا تجد ادعاءات عبدالكريم قاسم الذي أراد أن يعوض باعتدائه على الكويت الأوراق السياسية التي فقدها فطالب بالكويت ، وكذلك صدام الذي خرج من حربه مع إيران خاسرا كل شيء ، فأراد تعويض خسائره على حساب جيرانه وساوم في طلبه ولما عز الطلب فاجأ العالم بحقه الوهمي ، ثم قام بالغزو الغادر دون إنذار ،هذا الكتاب يدحض كل ادعاءاته وهو صادر من إحدى الجامعات العراقية المهمة ونخبة من الأساتذة .

نشأة الكويت

جاء في الفصل المخصص عن الكويت «ض ١٣١» حديث عن نشأة الكويت وهذه أهم نقاط الموضوع : «قدم شيوخ الكويت واتباعهم من نجد وسكنوا بالقرب من أم قصر إلى جوار خور عبدالله ردحا من الزمن ثم إلى خليج بوبيان ، وفي عام ١٧٥٦ على وجه التقريب استطاع أحد أفراد آل الصباح أن يتزعم مجموعة من قبائل العتوب والعوازم والرشايدة وبني خالد والعجمان والدواسر وعنزة وبلغ عددهم أربعة آلاف نسمة تقريبا وأن يشكل أول إمارة في الكويت في الجهة الجنوبية الشرقية من ساحل القرين الذي يعتبر أوسع خليج في منطقة الخليج العربي حيث يمتد ٢٥ ميلا من الشرق إلى الغرب و١٣ ميلا من الشمال إلى الجنوب .

وأصبحت هذه الإمارة البحرية بمرور الزمن مركزا طبيعيا لتجارة شمال شرق الجزيرة العربية ومنها كانت تتجه يوميا القوافل المحملة بمختلف البضائع إلى نجد وحائل ، فضلا عن ذلك أصبحت هي المورد لمختلف بضائع التهريب بالدرجة الأولى من الأسلحة النارية التي كانت تنقل عن طريق الزبير لبيعها على القبائل التي تسكن العراق كما أن بعض تجارها كانوا يعملون في تهريب ما تمنعه السلطات العثمانية في البصرة مثل الخيل إبان الحروب ، والحبوب في فترات الأزمات الاقتصادية وبفضل مهارة أهلها في بناء السفن الشراعية ، تلك الحرفة التي تعلموها من بناة السفن في مسقط وأخذوا يصنعون سنويا حوالي ٢٠ ـ ٢٥ سفينة وارتفعت إلى ١٢٠ سفينة» .

والمتتبع لهذا النص يلاحظ أن العرض التاريخي سليم يوافق الحقائق كما تقول وقائع تاريخ المنطقة والكويت «قدم شيوخ الكويت واتباعهم من نجد وسكنوا بالقرب من أم قصر وأقاموا ردحا من الزمن . . .» أي لم يستأذنوا حكام العراق الأتراك ولم تكن هناك معارضة من أحد فتكون حسب هذه الواقعة التاريخية وهذه الشهادة من استيطانهم في أم قصر ردحا من الزمن وليس بالمدة القصيرة دون ان يعترضهم أحد ، هذه تؤكد حقهم في امتلاك هذا الموطن حسب الأعراف والمواثيق ثم إلى خليج بوبيان في ١٧٥٦ واستمرت الإقامة هنا أي على جون الكويت بين خليج بوبيان .

ولم يشر هذا السفر التاريخي إلا إلى حقيقة تاريخية ولم يقل إن بوبيان الجزيرة والخليج من الأرض العراقية أو لها السيادة عليهما كما هو في الادعاءات الإعلامية التي مهدت للغزو الآثم .

دلائل على استقلالية الكويت

وتحدد هذه الوثيقة الموطن الأول للكويتيين وأن هذه الإمارة البحرية صارت ـ بمرور الزمن ـ وليس لفترة عارضة ، مركزا طبيعيا لتجارة شمال شرق الجزيرة العربية ، وليس للعراق بل منطقة حرة تتاجر وتسوق للجزيرة العربية سواء من شرائها البضائع من العراق للجزيرة العربية أو بالعكس ، و«تجارها كانوا يعملون في تهريب ما تمنعه

السلطات العثمانية» وهذا يدل كل الدلالة على استقلالية الكويت عن السلطة العثمانية لانها كانت تمنع هذه التجارة «فيقوم الكويتيون بتهريبها لبيعها على القبائل التي تسكن العراق» رغما عن الأنظمة والقوانين التركية إذن السلطات العثمانية كانت حدا سياسيا ، وبيع الكويتيين السلاح والخيول لأهل القبائل داخل العراق هو حد سياسي آخر ، ولو لم تكن هناك حدود ورقابة حكومية عثمانية تمنع ذلك لما كان هذا الفصل وهذا المنع الذي يشهد باستقلالية الكويت وحريتها في تجارتها وعروبة حكومتها في الوقت الذي كانت العراق مستعمرة تركية وواحدة من الولايات العثمانية قبل أن تكون تحت الحماية البريطانية فيما بعد ، وكانت الكويت حرة في إدارة البلاد سياسيا وتجاريا ، وبلغت كامل الازدهار التجاري من هذه الحرية في الوقت الذي كانت السلطة العثمانية تقيد التجارة في العراق وتسلب حرية الاقتصاد والمال وكانت الكويت عونا لشعب العراق كلما حصلت أزمة في السلع الضرورية كالسكر والشاي والقمح .

وفي ص ١٣٢ يقول الكتاب (انه في بعض السنين بلغ عدد السفن التي اشتركت في الغوص على اللؤلؤ أو تاجرت في بيعه ٨٠٠ سفينة من مختلف الأحجام منها الشوعي والسنبوك والبتيل والجالبوت والبوم وكان بعضها يتسع لـ«٦٠ ـ ٧٠» شخصا في حين كان صغيرها لا يتسع سوى لخمسة أشخاص كما قيل إن عدد سفن أهل الكويت بلغ ٢٠٠٠ رغم البيئة القاسية للكويت واستطاع أهلها تطوير مجتمعهم بالشكل الذي يتغلبون فيه على تلك البيئة وغدا عدد بحارتها في أوائل القرن العشرين حوالي أربعة آلاف ملاح بالإضافة إلى مدينة الكويت التي وصفها (ادموف) في أوائل القرن العشرين بالنظافة مقارنة مع بقية مدن الخليج والشوارع الواسعة والأسواق المزدهرة بمختلف أنواع السلع وخاصة الأسلحة النارية ، وكانت هناك الجهرة وكاظمة الواقعتان في النهاية الغربية من خليج الكويت على طريق البصرة الكويت التجاري) .

هذا الوصف التاريخي يتحدث بجلاء عن دولة الكويت ، نشأت حرة في الوقت الذي كانت العراق تحت احتلال يقيد سياستها الداخلية كالتجارة والخارجية بينما

ترفل جارة لها بحرية الحدود الآمنة وحرية الحركة التجارية وتصف مجال حركتها وتسويق التجارة من العراق إلى الجزيرة العربية .

ونعود إلى المشكلة بين العراق والكويت وهي ليست من صنع شخص ، بل إنه نظام ومنهج خاطئ ومغالطات تاريخية مصطنعة تخالف وقائع التاريخ الحقيقية ، وأمانة المعرفة ، وقلنا في بداية الستينيات إن المشكلة تتعلق بشخص وإن زالت ثم يعلق الآن كثير من المتبعين للمشكلة بأنها متعلقة بصدام تزول إن زال هو عن الوجود والحقيقة غير ذلك إنها نبتة سوء لابد من أن تجتث من أصولها وجذورها ليستقيم الواقع حسب حقيقة التاريخ وأمانة الكلمة الراسخة .

***

لكي لا تكون الكارثة شخصا (د)

كما أوردنا من قبل أن الملك غازي أراد أن يباغت الكويت بغزو عسكري ، وأراد أن تكون الخطة محاطة بسرية متناهية فلم يحط وزراءه بالموضوع وفكر ليلا وأصدر أوامره لولا مماطلة جعفر المدفعي ، وناجي شوكت ، ونوري السعيد ثم الانجليز الذين أنذروه من عاقبة تهوره حتى تخلصوا منه بوساطة جماعته وهو سادر في غيه ولم تنفعه الوساطات والتدخلات الدولية . وبعد واحد وعشرين عاما كان نظام جديد فاستبشر الناس خيرا ، ولكن عملت التصفيات الجسدية صنوفا من الوسائل البشعة التي طويت مع عصور التخلف ولم يعد لها وجود حتى في مجاهل افريقيا ، ظهرت في شوارع بغداد عملية سحل الجسوم البشرية بعد ربطها في السيارات حتى تتساقط أوصالها ، بين فرحة العامة وطربهم لهذه المشاهد الإجرامية القذرة ، وقامت ثورات في كل مكان في الشرق والغرب وحتى الدول الافريقية الوسطى والجنوبية ولكن لم يعهد الإنسان وحشية كما سطرت في تاريخ الثورة العراقية .

أعود إلى كتاب «تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر» الذي ألفه نخبة من أساتذة جامعة البصرة وطبع عام ١٩٨٤ ، والمؤلفون هم د . مصطفى النجار ود . حسين القهوائي ود . خليل علي مراد ود علاء نورس ود . صالح العابد ،وهؤلاء يدحضون ادعاءات قاسم السابقة وادعاءات صدام اللاحقة ، ويسطرون في هذا الكتاب الحقائق العلمية التي تؤكد استقلال الكويت حتى في الفترة التي اعتبرت الكويت ونجد والاحساء وقطر في نطاق الدولة العثمانية .

وأرادت السلطة العثمانية التي كانت تحكم العراق أن تقوم الكويت مقابل دخولها في هذا النطاق بحماية الحدود العثمانية السياسية من قطاع الطرق في الصحراء ، وسيرت مكافأة مالية لقاء قيام الكويت بحماية العراق من خطر البدو وقطاع الطرق ويقول الكتاب في «ص ١٣٣» :

«من الناحية السياسية كان شيخ الكويت مواليا للدولة العثمانية ـ ولم يخضع لها سياسياً ، وكان يتقاضى منها سنويا حوالي ١٥٠ «كارة» تمر باسم النَّطارة ، والنطاره

عربية اللفظ وتعني الحراسة ـ أي تحرس حدود العراق وتوفر لها الأمن وهذا يدل على استقلالها» ويمضي قائلا : «وذلك لمنع تجاوزات العشائر البدوية على البصرة في موسم تجارة التمور الذي غالبا ما يمتد من شهر أغسطس إلى أكتوبر من كل عام ، ويأخذون على عاتقهم مساعدة السلطة العثمانية في البصرة لإحلال الأمن والقضاء على ما يعرقل التجارة في شط العرب ورأس الخليج العربي .

وإليكم برهانا آخر أكثر بيانا وإيضاحا (وقد حاول نامق باشا والي بغداد « ١٨٦١ ـ ١٨٦٧» أن يغري شيوخ الكويت ويخضعهم للسلطة العثمانية المباشرة إلا أنهم لم يرضخوا للمحاولات التي أرادت فرض الضرائب عليهم وظلوا يتمتعون باستقلالهم ويرفعون أعلامهم الخاصة على سفنهم وأحيانا كانوا يرفعون الأعلام العثمانية والهولندية والبريطانية تبعا لما توفره تلك الأعلام من امتيازات) ص ١٣٣ ـ ١٣٤ من الكتاب المذكور .

***

الغزو الوحشي والمقارنة

مصر بلد العلم والعلماء والحضارة جعلت بداية دخولها في النهضة الحضارية الحديثة نهاية القرن الثامن عشر ، عندما نزل القائد الفرنسي نابليون بونابرت على الشواطيء المصرية ، ودخل مصر بحملته العسكرية ، أي بغزوته العسكرية لأنه دخلها عنوة ،وكان ذلك من سنة ١٧٩٨ إلى ١٨٠١م وذلك قبل قرنين من الزمان من الغزو العراقي للكويت ،ولكن شتان بين غزو حضاري وغزو همجي ، حملة نابليون صارت قبس إشعاع حضاري ، وجسرا لنقل حضارة فرنسا ، وكان مع الحملة العسكرية حملة علمية فيها طائفة من العلماء والصناع ، أخذوا في تأسيس المعاهد العلمية ، وأنشأوا في القاهرة مدرستين وجريدتين فرنسيتين ومسرحا للتمثيل ومجمعا علميا مصريا وأقاموا المصانع والمعامل للورق والأقمشة . وبنوا أماكن للارصاد الفلكية والنقش والرسم والتصوير ، وشقوا شارعا حديثا هو «الدرب الجديد» ومكتبة عامة للمطالعة للكتب العربية والغربية ،ومختبرا علميا ،وتوسعت دائرة علوم الآداب بعد أن كانت مقتصرة على العلوم الفقهية ، وألفوا الديوان الخصوصي .

والأهم من ذلك إدخالهم المطبعة العربية التي أحدثت انقلابا فكريا لمصر والدول العربية وأنشأوا ديوانا للقضاء بين المسلمين ،وكان في الحملة مجموعة من علماء الآثار الذين اهتموا بالدراسة والبحث العلمي حتى اكتشفوا إنجازا علميا عظيما هو اكتشاف حجر رشيد بلغاته الثلاث الهيروغلوفية والديموطيقية واليونانية وكان اكتشافه سنة ١٧٩٩ وبه عرفت أسرار الهيروغلوفية والديموطيقية ،هذه الانجازات الحضارية قبل مائتي سنة حققها إنسان الحضارة .

ماذا حقق بعد قرنين غزاة العراق للكويت في آخر القرن العشرين؟ ولو حصلت نواقص وتجاوزات في الحملة الفرنسية قبل قرنين لكان العذر في تخلف الإنسان في

ذاك الزمان ولكن كان العكس حيث كان القبس الإشعاعي الحضاري ، هذه غزوة وتلك غزوة .

وقس على ذلك ما أدخله الغرب في غزواته لبلاد كثيرة ،بجانب منافعه الخاصة به وسلبياته له جوانب إيجابية حضارية لا ينكرها التاريخ .

ويبقي الحديث عن الوحدة العربية الشاملة ، التي ستبقى مؤجلة حتى يتقدم الإنسان العربي ويلحق بركب الحضارة الإنسانية ، ويعود الإحساس بالإخاء الصادق ، وليكن التوافق العربي في وحدات متجانسة كما هو بيننا وبين الأخوة في الخليج العربي ، والوحدة المغاربية في شمال إفريقيا .

ووحدات أخرى إن اتفقت في أجيال قادمة .

الدول الأوروبية واجهت وحدات قهرية مع نابليون بونابرت ففشلت وانقسمت إلى حدودها السابقة .

ووحد هتلر اوروبا بالقوة والتدمير والخراب ، فهدمت هذه الوحدة القهرية وجاء عهد التقارب وارتفاع منسوب الحضارة حتى صارت الدول ذات العداء الأزلي تتسابق للبناء الحضاري كفرنسا وإنجلترا فوحدت صناعتها في «الكونكورد» معجزة الطيران . وفي النفق العظيم الذي قهر البحر ، وفي تقارب أوروبي اقتصادي وبرلماني . وتغيرت النفوس فغير الله هؤلاء الأقوام فعم السلام بينها ،وسعت إلى بناء مستقبل الإنسان الأفضل وإن صرنا بعد حين من الدهر إخوة متحضرين فأهلا بالوحدة .

ولكن المسيرة عند البعض عكسية لا تبشر بوصول مبكر لعقود وأجيال قادمة .

وكان الله في عوننا ، قال الله تعالى : **﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾** الرعد :١٣ .

***

إشارات مهمة في «سيرة وذكريات» ناجي شوكت

التاريخ يؤكد استقلالية الكويت ويكذب المزاعم العراقية

كانت العلاقات بين الحكومتين العراقية والسعودية تواجه أزمة سياسية بسبب الغارات الحدودية المستمرة بين البلدين في المواقع الصحراوية على الحدود ، وقد جرت مراسلات مطولة بين البلدين ومخابرات مطولة بين العراق ونجد لتنقية الجو وإحلال الود والصفاء بين القطرين المتجاورين ، وبذلت المساعي الحميدة ، لذا فقد تقرر أن يكون هناك اجتماع كبير في مؤتمر سياسي في بلد محايد ، يحضره ممثلون عن الحكومتين العراقية والسعودية لوضع أسس المقترحات التي سيجري البحث فيها ، وتم اختيار إمارة الكويت ، كما اختير ناجي شوكت ليترأس الوفد العراقي ليكون ذلك اجتماعا تمهيديا يعقبه اجتماع كبير بين الملكين عبدالعزيز بن سعود وفيصل بن حسين .

يقول ناجي شوكت :

(غادرت بغداد في التاسع من فبراير ١٩٣٠ في طريقي إلى إمارة الكويت مصطحبا معي المدير العام لوزارة الداخلية وهو السيد خليل إسماعيل ليقوم بمهام السكرتارية ، وعدت في السادس عشر من هذا الشهر بعد أن اتفقت مع مندوبي الملك عبدالعزيز وهم السادة حافظ وهبة وفؤاد حمزة وإبراهيم المعمر ، وكانت اجتماعاتنا تعقد في دار خصصتها لنا حكومة الكويت المضيفة للمؤتمر) .

وهذا يدل دلالة واضحة على استقلال الكويت حتى إنها اختيرت لتكون بلدا محايدا مستقلا لتحتضن هذا المؤتمر لفض نزاع بين دولتين جارتين .

كما كانت الضيافة في دار السيد حامد النقيب لسكنانا وتأمين واجبات الضيافة مدة إقامتنا .

ويمضى ناجي شوكت في سرد هذه الوقائع التاريخية المهمة في مذكراته (١) وما بعدها ، فيقول وهو يصف الكويت كوثيقة تاريخية تدل على استقلال هذا البلد : «لم تكن الكويت في العشرينات والثلاثينات مثلما هي اليوم من حيث السعة والانتظام وحسن العمارات والمؤسسات وأسلوب الحكم ،كانت الكويت قرية كبيرة دورها مبنية باللبن ،إلا ما ندر ، وكانت للشيخ دار لا بأس بها . كما كانت للمقيم البريطاني دار مبنية بالطابوق مع عدد من الدور الحديثة العائدة لبعض المتمولين والتجار . وكان شيخ الكويت وحاكمها في السنة التي قصدتها في مهمتي موضوع البحث هو الشيخ أحمد الجابر الصباح والد الشيخ جابر الأحمد ولي عهد الكويت الحالي «وقت صدور الكتاب في عام ١٩٧٥» إذ لم تكن الطائرات قد استعملت في مثل هذه السفريات ـ سنة المؤتمر ١٩٣٠ ـ وكان السفر إليها بالسيارة ، ولما اجتزنا الحدود وجدنا المرحوم الشيخ أحمد الجابر الصباح قد خرج لإستقبالنا بنفسه راكبا سيارته ويصحبه حارسان مسلحان من حرسه الخاص ، فرحب بنا أجمل ترحيب وتمنى لنا طيب الإقامة في حلنا وترحالنا ، ودعا لنا بالتوفيق في مهمتنا وأن يوفق المؤتمر إلى النجاح ، فشكرته على لطفه وتكرمه باستقبالنا بذاته الكريمة ،وقد أقام لنا في اليوم الثاني لوصولنا مأدبة عشاء خاصة كانت معدة لاثنى عشر شخصا .

هذه هي الكويت التي زرتها قبل ٤٥ عاما فأين هي اليوم من تلك الأيام؟ لقد أقيمت فيها العمارات الشاهقة والقصور الأنيقة والفنادق الضخمة والأسواق العصرية والمعامل والحوانيت وغير ذلك من معالم الحضارة المادية ، وكان الفضل في ذلك لعائدات النفط التي استغلها الكويتيون استغلالا حسنا وأمنوا بوساطتها المستقبل الحسن لأجيالهم الصاعدة . .» .

---

(١) سيرة وذكريات ص ٦٤٢ .

ويبدو أن المؤلف قد زار الكويت سنة ١٩٧٥ وتذكر سنة المؤتمر قبل ٤٥ سنة ولكن العبارة جاءت استرسالا مع موضوع المؤتمر القديم . ثم يشير إلى حادثة حصلت له في اليوم الثاني لحضوره إلى الكويت في سنة ١٩٣٠ حيث قابله الكابتن كلوب الذي كان يومئذ مديرا للصحراء العراقية الجنوبية ومشاورا لمتصرفيه لواء الديوانية ، فقصد مقابلتي قائلا : إنه سمع بوصولي إلى الكويت فأحب أن يغتنم هذه الفرصة لزيارتي ليعرض ما لديه من معلومات وقضايا تتعلق بالبادية الجنوبية التي هي تحت إدارته . فاستمعت إلى مشكلات الصحراء وقاطنيها من البدو والعشائر ، فشكرته على زيارته وإيضاحاته . وطلبت منه أن يترك الكويت ويعود إلى العراق حتى لا يفسر أنه قد اشترك في المؤتمر المنعقد في الكويت والرامي إلى اجتماع الملكين .

ويمضي قائلا : :(أما رغبتك في أن تحظى بضيافة السيد حامد النقيب فاني أود أن تتركها إلى فرصة أخرى بعد ختام المؤتمر . فلم يسعه إلا أن غادر الكويت فأراحني وأراح نفسه) . وهكذا نرى أن الانجليز لا يمكن أن يتركوا الأمور تجري على رسلها ما لم يكن لهم فيها يد أو ضلع . لقد استقطعت هذ الاشارات المهمة من الكتاب الكبير(١) للوقوف على المواضع التاريخية التي يتحدث عنها كاتب وسياسي كبير في العراق ويثبت من خلالها استقلالية الكويت التي تكذب ادعاءات نظام طاغية العراق الطامعة في البلاد ، وكيف كانت موضع تقدير سياسي حتى تتخذ موطنا محايدا مستقلا لعقد مؤتمر مهم فيها للصلح بين جارتين مهمتين في وقت سياسي صعب يحتاج إلى استحكام المشورة العادلة والحكمة الصائبة .

***

(١) سيرة وذكريات : ناجي شوكت .

الحزب والتسلق للسلطة (أ)

بعض الدول بنت مجدها الحضاري في جيل واحد وانتقلت من التخلف إلى طليعة الدول المتحضرة في هذا الزمن ،ودولة فقدت مكاسبها الحضارية ومثلها وقيمها الروحية وأخلاقها في ثلاثة عقود زمنية ،جاءت منظمة البعث لتقتفي مسار النظام الشيوعي في خلق قادة وعسكريين ووزراء وحكام من سقاط الناس ، المؤهل هو الشراسة وحسن استخدام السلاح وأدوات التعذيب . في العهد الملكي كان الوزراء ينتقون من خريجي الجامعات العالمية العالية كالسربون وكامبردج ، أما هذا الحزب فقد جعل قادته يحملون سلاحا يحوي الشراسة والحقد والفراغ الروحي والبطش وبدون أي شهادة ، ولكنه يرتقي إلى أعلى مراتب العسكرية والوزارةوالدبلوماسية .

صدام حسين ليس من العسكر ولكنه حمل رتبة فيلد مارشال وزاد عليها المهيب الركن ،سكت على ذلك العسكريون والمدنيون وسكتنا نحن ولم نتكلم في الوقت الذي ترفض ذلك حتى الدول المتخلفة .

ناظم كزار أراد أن يصل إلى قمة الهرم ، فما كان منه إلا أن يثبت لقائده أنه أشرس واحد في العراق من منطلق واحد وهو معتقل التعذيب بعد أن أسقط الحزب قيمة المعاهد العلمية والجامعات وحملة الرتب العسكرية . لما دخل هيئة التحقيق أراد أن يلفت نظر قائده ويفزع الشعب العراقي فذهب ناظم إلى شارع الرشيد وحمل تابوتا على رأسه لمقر التحقيق وسأل عن أصلب المعتقلين وأشدهم بأسا وقوة فأحضر له ذلك القوي الممتنع عن الاعتراف ، فربطه كالجثة المحنطة ، وأدخله التابوت وسمره حتى أحكم غلقه ، وجاء بمنشار وقطعه إلى نصفين من الوسط حتى صار هذا الحي نصفين كل نصف في جزء من التابوت . وكانت هذه شهادة لناظم كزار لكي يكبر في عين قادة البعث فيرفعوه إلى رتبة لواء ومدير للأمن العام وهو طالب المعهد الصناعي بعد الابتدائية وقزم متناه في القصر يدعوه خصومه ورفاقه «بجوك النداف» .

هكذا صار هذا العاطل عن العمل الذي لم يجد ورشة أو كراجا يعمل به فرفعه النظام فوق العمداء والعقداء في الجيش والشرطة .

وسوف نشير إلى بقية الهيكل الهرمي في بغداد وكيف ارتقى الأقزام هذا الهرم العالي . وبعد أن أبعدوا وأسقطوا حملة الشهادات العسكرية والمدنية ، وشتتوا العلماء ، فأدنوا أحقر الناس وأقلهم علما وخلقا ، وصار هذا يتصيد ذوي الرتب والشهادات ويقوم بإعدامهم . . حتى صار الوزراء والسفراء في عهد نظام البعث إما عمالا أو صناعا ،أو يستقطب أحدا بعد سلخه من أهله وعشيرته ليكون عدو أهله في مهام التنظيم السري .

وإذا استعرضت سفراء العراق في الكويت لوجدت فيهم من أصحاب هذه المؤهلات : عبدالجبار غني الدوري عامل فني في السكك الحديدية .المهم أنه خير من يجيد التعذيب في سراديب السفارة في الكويت وسوف نأتي على ذكر الآخرين .

ويتسلم هذا النوع من الحرفيين ذهب الوجه الحضاري العراقي الذي كان يقف في الصدارة بين الدول العربية الكبرى . وكنا نرى فيه الأمل لمسيرة عربية نحو التقدم الحضاري ،ونرى في جيشه الأمل الكبير نحو تحرير الأرض العربية من المغتصبين .

وما أن تسلط الحزب على نظام هذه الدولة حتى تفتتت القاعدة الحضارية ذات الجذور الراسخة في التاريخ وعلت عليها بناءات واهية تهددها رياح الزمن من كل اتجاه وصوب وانتزاع الناس من الأرض حتى ذهب خيرها ، بعد أن جادت في حضارتها السابقة بنتاجاتها وأطعمت أمما وشعوبا ، هذه حضارة الغرب أساس اعتمادها على الزراعة ، والزراعة تخلق الصناعة وتأخذ بيد الإنسان نحو الحضارة والتقدم .

***

الحزب والتسلق للسلطة (ب)

نشأت دولة البعث في العراق على رتب وهمية لرجال النظام ، وهذه الرتب هي درجات الارتقاء في سلم الحزب ،ومن نالها صار قياديا مدنيا أو عسكريا على السواء ،وإن كان جنديا فهو فوق قائده العسكري ، وان كان سائقا أو عاملا فهو فوق أستاذ الجامعة ومديرها وفوق كل المسؤولين وان شاء صار سفيرا أو وزيرا . كما كان في إرهاصات ثورة أكتوبر ١٩١٧ الشيوعية في الاتحاد السوفييتي ، فاعتلاء السلطة كان للحداد والإسكافي والعامل وسائق التراكتور . وهكذا في بغداد فإن خريج المعهد الصناعي بدل أن يعمل في كراج أو ورشة فنية صار لواء عسكريا يدير أمن العراق .

وكما أشار السيد العلوي إلى عينة من دبلوماسيي الحزب فذكر أن شلة من المضمدين والعمال والمستخدمين صاروا سفراء[١] .

فهذا نبيل نجم التكريتي : كان مستخدما صحيا وعمله مضمد في قرية ، صار سفيرا في القاهرة ليواجه أكبر عاصمة عربية مزدحمة برجال العلم والعلماء والمفكرين القاهرة بلد المعاهد والجامعات وصروح الفكر ، هذا هو الذي يرسل إليها ! .

عاصم التكريتي : معلم مدرسة ابتدائية صار سفيرا في الكويت أثناء الغزو ، وتأمل التناقض ادعاء صارخ بضم الكويت ، واحتسابها محافظة ويأتون بسفير جديد لإدارة السرقات والسلب ،ويستمر العمل بالسفارة إلى أن هرب من بها عند التحرير .

غافل التكريتي معلم مدرسة سفيرا في موسكو .

إسماعيل حمودي التكريتي مضيف أرضي في الخطوط الجوية سفيرا في أنقره .

فاضل صلفيح تكريتي الأم سفيرا في الهند .

نوري التكريتي معلم مدرسة سفيرا في باريس ثم إلى بلد أوروبي آخر .

ولاحظ هنا «تكرتة ! الدبلوماسية وكأن تكريت معهد لتخريج السفراء والدبلوماسيين .

---

(١) دولة المنظمة السرية : الأستاذ حسن العلوي .

صباح حوراني مستخدم في محطة وقود ، أي عامل يتناول خرطوم البنزين ويزود السيارات .

هذا العامل عين سفيرا في طرابلس في الجمهورية الليبية .

عبد الجبار غني الدوري كان عاملا فنيا في السكة الحديدية عين سفيرا في بون ثم في الكويت .

خيري الراوي موظف في مشغل خياطة صار سفيرا في اليمن . ياسين جبوري شرطي في هيئة التعذيب صار سفيرا في مسقط .

وكما بدأ بالمضمد ختم قائمته بمضمد آخر هو أنور عبد الرزاق الذي صار سفيرا في أسبانيا . . كان العراق ينظر إلى دول الخليج العربي على أنها متخلفة والحقيقة أن شوطا حضاريا بيننا وبينه لا يدركه إلا في أجيال بعد تطهير العراق من دنس البعث وجيشه . وهكذا عندما جاء البعث في العراق وتسلق بعض أعضائه السلطة فحملوا على المثقفين والعلماء إلا من سار على إمرتهم ليكون الجاهل هو المدير لأموره لا علمه ولا ثقافته . . فذهب الوزراء الرواد أصحاب الشهادات العالية التي نالوها من أرفع الجامعات الأوروبية والأميركية ،ليكون الوزراء بعد الثورة وخاصة بعد أن تسلم الحزب أمر العراق من المشاغبين وأصحاب الجنايات والسوابق ،ولم يقتصر الأمر على القيادات المدنية بل شملت المؤسسة العسكرية فظهرت رتب وأزياء عسكرية على عصابات ليس لها في العلوم العسكرية ومدارسها شيء ، كما ارتدى صدام أرفع الرتب هو وصحبه وقاد الجيوش ووزع النياشين والرتب ، وعزل من أراد من القادة وقتل وأعدم حتى صارت العراق في الدرك الأدنى من التخلف والفقر والضياع الاجتماعي ، وانهيار في الأمن فعمت البلاد شريعة الغاب لتكون الرفعة للأسوأ والأدنى .

***

الحزب والتسلق للسلطة (جـ)

يقول الكاتب العراقي الأستاذ حسن العلوي :«لقد أكلت الفأرة قطها السمين» مثالا لمنظمة الحزب الذي أطاح بالجيش العراقي وظهرت من الحزب رتب وألقاب عسكرية والفرصة دائما للسفاح وان كان قزما أو أميا وإن نال مرتبة الحزب شاء له أن يكون قائدا مدنيا يحتل أي مركز في الخارجية ، أو الداخلية ، أو الجيش » .[١] جرى لمنظمة التحرير الفلسطينية عندما لبس عرفات الأثواب العسكرية المختلفة حتى القبعة الروسية العسكرية رفعها على رأسه وجعل الشعار العسكري فوقها ، وهو الذي يهب الرتب العسكرية للعمال هكذا هو الارتقاء في البعث العراقي رغم الخطى الحضارية التي سارها العراق في الأزمنة السابقة وجاء البعث ليمحو كل أثر حضاري وصار الجندي تتريا همجيا بعد أن نزعت عنه المثل الإنسانية واصطنع أتباعا سماهم رجال دين بعد أن بطش بالعلماء المخلصين ونحاهم عن مراكز القيادة والدعوة إلى الله .

وجاء الحزب في أول خطوة إلحادية فمنع الأسماء المألوفة في الإسلام ، والتي تكون العبودية فيها لله كالاسم المركب لاسم الجلالة حتى صارت الأسماء هكذا . . حميد ، عزيز ، غني بدل عبد الحميد وعبد العزيز وعبد الغني كما هو عبد الجبار غني الدوري عامل السكة الحديد الذي رقي لبطشه فصار سفيرا في بون وفي الكويت كما ذكرنا في حديثنا السابق .

ونمضي في الأسماء لنرى ، غفور ، وكريم ، ورزاق ، ورحيم ورحمن ، بدون (عبد) وهكذا أراد الحزب فكان الذي أراد بعد أن نكلوا برجال الدين ورجال الفكر .

وضاع الجيش العراقي الانضباطي بعد أن تسلق عليه الضباط المدنيون أمثال صدام حسين والعمال الأجراء ،وأخذ الحزب يغتال كل قائد عسكري لا يمجد الحزب وزبانيته ، وأخذت المنح المالية المغرية تخرس الباقين والسيارات والخدم الجنود في

---

(١) دولة المنظمة السرية : حسن العلوي .

المنازل والسوق كل ذلك هجن الجيش العراقي ، وظهر في الجيش طبالون وشعراء المديح ، وعازفو الربابة (وكان إخوتنا وزملاؤنا ينظرون إلى هذا السيرك بكل إعجاب وكل يتمنى لو رقص في سوق المربد ثملا أو متثاملا لنيل شهادة حسن السلوك من زبانية صدام وربما يسعده الحظ فينال من صدام نظرة أو سلاما عابرا وهذا حظ كبير .

وكانت المنح المالية توزع بسخاء على الفنانين والأدباء بالإضافة إلى حسن الاستقبال والحفاوة البالغة وكذلك الساعات المحلاة بصورة القائد المناضل كان العطاء الإعلامي في الكويت كما كان في خارجها من الدول العربية ، هذه أبعاد السراب والخدع السياسية التي جذبت لها الاعلام الفكري والثقافي وكان التيار في اتجاه واحد يجرف معه المنجرفين وبقيت رموز سياسية وأدبية بعيدا عن هذا التيار ، فلم يذهب أصحابها لسوق المربد ولا التجمعات الموسمية التي يتم اختيار المدعوين لها بوساطة السفارة العراقية وتزكيهم للذهاب وكسب الود هناك) .

***

الحزب والتسلق للسلطة (د)

قيل عن عفلق الكثير ابتداء من اسمه الشاذ المقرف الذي جاء معناه في لسان العرب واحتراما للقراء الكرام أرفع عنه القلم ،وكان الشيخ علي الطنطاوي يفصح في ذكره أيام الاستياء السوري منه ومهاجمة الشعب السوري له في المحافل الوطنية المختلفة .

وقيل إنه مستشرق فرنسي ،وقيل إنه غير معروف النسب ، كما قيل إنه تزوج إبنة «غولدا مائير» رئيسة الوزراء الإسرائيلية السابقة .

وقيل إنه نال وسام الفاتيكان من البابا الذي قال له «إنك عملت ما عجزنا عن عمله في تاريخ الحروب الصليبية» .

طرد من سوريا ليتربع على عرش العراق المتوج بتاج وهمي وخيالي ينحني له الشعب والجيش بل رئيس الجمهورية .

سأل حسن العلوي صدام عندما كان لصيقا به ويتمنى أن ينال منه مركزا وفي الوقت الذي كان يتحاشى المشانق ، سأله لماذا لا تكون أمينا عاما للحزب بدلا من ميشيل عفلق؟ فأجاب : لا تكن كالسوريين الذين تنكروا له ولا كالرفاق الذين عرضوا عليَّ رغبة مماثلة ، لقد فعلها علي صالح السعدي الأمين القطري للحزب في العراق ١٩٦٣ قبل السوريين فقتل ، وتشير مراجع كثيرة إلى أن الحكم البعثي وأداته العفلقية من صنع «أبي ناجي» حسب التعبير العراقي ، ومن شاء الهلاك عليه أن يتعرض لميشيل عفلق ، ويقال إن لجنة كانت تشكل من مجموعة من الأعضاء غالبا ما يلتقون في اجتماع ولا يعرف الواحد فيهم الآخر ، وعندما كانت هذه اللجنة في طريقها لتقديم ناظم كزار لرئيس الجمهورية في منصب حزبي ورسمي لأنه الأعنف والأشرس ذهبت هذه اللجنة وفيها العضو اليماني والسوداني والسوري والعراقي بتعليمات ميشيل إلى أحد المعتقلات لمشاهدة دفعة جديدة من خريجي المخابرات والتعذيب ، ووضع في

برنامجهم أن يتناولوا وجبة الغداء في معتقل التعذيب ، وعندما اجتمعوا للغداء تقابلت الوجوه وهموا في الأكل ، وجاءهم بعد حين أحد القتلة ملوثا بالدماء ويده ملطخة بدم رطب ويابس فجلس ومد يده فتناول غداءه معهم فهالهم هذا المشهد الدموي الرهيب من هذا الشرس الذي تناول معهم الغداء دون أن يغسل يده !

حقا إنه أثار استغرابهم وفي الوقت نفسه إعجابهم فتساءلوا عنه بعد الغداء فقيل لهم إنه صدام التكريتي .

فرفعوا الأقلام لكي يستقر الترشيح على صدام وليس كزار ، فأبلغ ميشيل عفلق وصدق على ترشيحهم أنه هو الرجل المناسب لكي يتقدم ويكون نائبا فرئيسا .

فصار صدام وبقي الولاء للوثن الأكبر ميشيل عفلق .

***

الحزب والتسلق للسلطة (هـ)

في حديث عابر لحسن العلوي عن جزيرة صغيرة تتوسط الفرات ، على بعد سبعين ميلا من دخول الفرات إلى الأراضي العراقية بين جمال هذه الجزيرة وما فيها من نواعير صغيرة ذات الجرار الفخارية ، وذكر إحدى عجائبها وكيف تشذ عن أخلاق أهل العراق فيقول : «هذه الجزيرة التي لا يعرف سكانها ما كنا نعرفه في مدينتنا وبلادنا فهم لا يشتمون الأنبياء إذا غضبوا كما نفعل ولا يحتفظ قاموس اللهجة الدارجة عندهم إلا بالقليل من الشتائم والتشهير فإذا غضب أحدهم لعن الغيم والمطر . .»[1] .

هذه أخلاق أهل العراق يتلاعنون بشتم الأنبياء والرسل ، هذا الكاتب معروف في صحف العراق وخارجها ، وكان من المقربين للسلطة ، ويتساءل مستغربا كيف عثر على هذه الجزيرة الصغيرة التي لا تعرف شتم الأنبياء والرسل على غير عادة أهل العراق ،وفيهم من الرقي الأخلاقي المتمثل في اقتصار الشتم عندهم على شتم الغيم والمطر .

أما الشتائم عند أهل العراق فتتوافق عند الجاهل الأمي وأستاذ الجامعة والأديب ، يشتمون خالقهم والعياذ بالله والأنبياء والرسل هكذا عهدناهم ، وان دخل اثنان في عراك شتائمي وغلب طرف ، امرأة كانت أو رجلا ، رفع المهزوم رأسه للسماء ليشتم ربه بوقاحة وقذارة أخلاقية لا تجدها عند أي شعب آخر ،هذا هو الشعب الذي قرأنا عنه منذ مئات السنين وهذا هو كما خالطناه سبعة شهور على أرضنا نعم الشعب العراقي ، وليس كما يصور البعض بعبارات أخرى ، دخل علينا صدام ونظام صدام وجنده ،الداخل علينا هو شعب العراق بأسره لأن الجند من كل بيت في العراق الجندي والضابط وكان المفروض أن تتفاوت الأخلاقيات ويظهر فيهم الطيب من الرديء ولكن ما رأيناه شعبا متوحشا قذرا في أخلاقه وقذرا في لسانه وقذرا في أشكاله

---

(١) دولة المنظمة السرية : حسن العلوي ص ١٨٣ .

المقرفة ،حتى قلبوا البلاد مزبلة قذرة ، وما أن ذهبوا ذهب خلفهم الذباب والحشرات حيث ذهبوا لأنه لا يعيش في بيئة نظيفة وعند شعب نظيف .

ومن النماذج البشرية القذرة مساعد فني كهربائي يحمل السلم لسيده أثناء العمل ،دخل في اتحاد العمال حتى صار رئيسا لهذا الاتحاد ، ثم وزيرا للصناعة ذهب في مهمة حكومية إلى براغ وفي المساء كان يجوب النوادي الليلية حتى الفجر ، وفي ليلة لعبت الخمرة في رأسه حتى صعد إلى حلبة الرقص ليروح أمام الراقصة بنشوة المعيدي الثمل ثم سكب الويسكي على جسدها لكي يتلقاه عند قدمها ، فما كان من الراقصة إلا أن ركلته بحذائها بل أشبعته ركلا حتى سقط من الحلبة على الأرض بين أقدام رواد الملهى ، وهو يبتسم ابتسامة البلهاء الأغبياء معتقدا أنه أنجز شيئا فيه نصر كنصر سيده في بغداد في أم المعارك ـ النصر الذي لا يزال يردد في بغداد والعواصم المؤيدة لإعلام بغداد .

***

الغزو والتدابير الأخرى للتحرير (أ)

في حوالي الساعة التاسعة مساء بتوقيت واشنطن تلقى تشيني مكالمة في منزله من الأدميرال أوينز بأن القوات العراقية قد عبرت الحدود وهي في طريقها إلى داخل الكويت بالدبابات . وأن مئات من الدبابات تتسابق جنوبا وشرقا في اتجاه مدينة الكويت .

أما باول فإنه تلقى مكالمة تليفونية وقرر أن يبقى في المنزل ليعرف آخر التطورات .

وتوجه الأدميرال «دافيد جيرميا» إلى البنتاغون ليبقى هناك طوال الليل .

واستغرق باول في تفكير عميق ثم أطلق صيحة : يا إلهي الكويت إن العراق يمكنه أن يرسل شرطته المحلية ليستولي عليها ،لم كل هذه الجيوش؟ !

ومازال الاستغراب يحيط كل من أدرك الخبر ، العراق تدخل الكويت خلال ثلاث ساعات ونصف وكان موقع السفارة الأمريكية من المواقع الحرجة حيث قصر دسمان والسفارة الإنجليزية وكان الإنزال البحري قد تم قرب هذه المنطقة وأمام المستشفى الأميري . بالإضافة إلى القوات الزاحفة التي وصلت مع إشراقة اليوم الأول ،وفي الليل بينما كان معظم سكان الكويت في نومهم لا يعرفون بالحدث الجلل أمر الرئيس بوش أن يتم اجتماع رفيع المستوى وأن يوقظ المسؤولون الاقتصاديون والقانونيون ، وأمر بعقد اجتماع عاجل للنواب بوساطة سكوكروفت ، وتم الاتصال بوساطة نظام الفيديو لكي يدعو إلى التأهب للحالات الصعبة ،وفي الساعة ٢٠ ,١١ دقيقة صدر تصريح قوي يدين العدوان ودعا إلى سحب القوات العراقية دون قيد أو شرط وكان هذا قبل أي استنكار وقد سبق فيه الدول العربية كلها .

تجميد الأموال خطوة رائعة

والأهم من ذلك والأخطر أن نهض المستشارون من نومهم ليصوغوا أمر تجميد أموال العراق وممتلكاته في الولايات المتحدة ومنع أي تحويلات للمعتدي ، وبما أن الكويت قد احتلت فإنه قد وضع لها خطة لتجميد أموال الكويت بحيث لا يمكن

لصدام حسين أن يحصل على أي من المبالغ المستثمرة في أميركا وتبعتها الدول الأوروبية بقرارات مماثلة . .وروعة هذا القرار الأميركي أنه اتخذ في الليلة نفسها وكان من أذكى وأخطر القرارات التي اتخذت لصالح الكويت وطعنت المعتدي .

ويمضي كتاب القادة «لبوب وود ورد» وهو يتحدث عن أسرار صناعة القرار الأميركي لحرب الخليج عندما يتحدث عن بدايات القرارات التي اتخذت بعد احتلال الكويت . وكإجراء أول استدعي سكو كروفت في الساعات الأولى من الفجر لكي يكون همزة الوصل بين الرئاسة والمسؤولين فأبلغ البنتاغون أن الجنرال شوارزكوف موجود في البلاد وتستدعي الحاجة حضوره الاجتماع لأنه يعرف تمركز كل القوات الأميركية في الشرق الأوسط ففي الساعة ٣٠ ,٢ صباحا استدعي باول كيلي في غرفة الأزمات وأمر أن يكون شوارزكوف في مكتبه .واكتفى سكوكروفت تلك الليلة وهي الأولى على الغزو أن ينام فقط ٤٥ دقيقة ، وفي الخامسة صباحا كان عند غرفة بوش في محل إقامته . واعتمد بوش في هذه الساعة قرارات تجميد الأموال ، واجتمعت هيئة الأمن القومي الساعة ٨ صباحا .وقبل بدء الاجتماع سئل شوارزكوف بأن يزيح الستار عن خرائطه السرية وأفلامه . لأن الرئيس بوش سوف يجيب عن عدد من الأسئلة من خلال أجهزة الإعلام حيث يمكن رؤيته على التلفزيون محددا اهتماماته بالغزو . وقال بوش :إننا لا نناقش التدخل . وسأل أحد المحررين : هل تفكرون في التدخل أو إرسال القوات؟

فقال بوش :إنه لا يفكر الآن في أي عمل ، وكان تعليق سكوكروفت على ذلك إن الرئيس بوش لا يعني مايفهم حرفيا من الجملة ، وقد كان واضحا أن الوقت مبكر جدا للحكم على أي مقولة على أنها تصريح نهائي ، ولذلك قال بوش :إنه لا يوجد أي دليل على أن أي دولة أخرى في الشرق الأوسط قد هددت ، ولكنه أضاف إنه يريد أن ينتهي الغزو ويخرج المحتل من الكويت .

بلا مصالح تتوقف الحياة

وهكذا كان الغزو وأخذت أميركا موقفا مميزا في الساعات الحرجة الأولى وتحركت الدول العظمى والدول الشقيقة والصديقة التي ابتعدت عن صف التآمر والشقاق وما كان أحد بقادر على دحر الظلم وتبديد هذه القوة إلا قوة عظمى تقود قوى متحالفة تحقق نداء الرأي العام العالمي العادل . ومهما قيل من انتفاع ومصالح فإن كل إنسان لا يخرج من داره إلا لهدف الانتفاع . حتى رجل الدين والواعظ والمؤذن الذي ينادي للصلاة فإنه يسعى إلى رزقه ومصلحته الذاتية قبل كل شيء . وإن اعترض أحد على ذلك فإن حركة الحياة سوف تتوقف عند نقطة السكون في كل أمر .

لذا كانت الضربة قاصمة لظهر الجيش العراقي حتى يخرج من الكويت مذعورا لا يعرف على أي جبهة حورب ، وتقاذفت وحداته نحو الشمال لتنجو بنفسها ، تاركة الذخائر والأسلحة وما ناء بهم حمله من المسروقات التي احترقت مع المحترقين أو رميت في رمال الصحراء .

***

الغزو والتدابير الأخرى (ب)

انشغل مجلس الأمن القومي الأميركي في اجتماعاته الطارئة في اليوم الأول للغزو والمجلس الرئاسي مع مستشاري الرئيس ، واستمرت الاجتماعات الليل كله وفي الفجر التالي وفي اليوم الثاني للغزو ومن الأقوال التي طرحها باول في البنتاغون : إن نصف القوة شيء مخادع ما لم تكن القوة هائلة وكان يرثى لمن يقولون إن بالإمكان إلقاء بعض القنابل وإطلاق الصواريخ من نوع توما هوك وإبقاء الهجوم جراحيا ومحدودا .

وكان الأمير بندر في لندن عندما جاءه خبر الغزو ، فعاد إلى الولايات المتحدة ـ واشنطن ـ وأمر موظفيه أن يحضروا له محضر الاجتماع مع صدام حسين والذي احتوى على ١٨ صفحة ،فتصفحه في الطائرة فوق المحيط الأطلسي وقال : يا إلهي لقد كان يعد المسرح إذن للهجوم ، لقد طلب منا أن نتوسط لتعده أميركا وإسرائيل بالأمان وأنه لن يتعرض للهجوم ، لكي يأمن جبهة الغرب ، لعمل ما يريده بجبهة الشرق ، واستنتج الأمير بندر أنه قد تم خداعه هو والإدارة الأميركية معا .

وفي العصر رتب سكوكروفت لمجيء الأمير بندر إلى البيت الأبيض وعندما دخل الرئيس بوش بادره بقوله : هذا هو صديقكم؟ مشيرا بوضوح إلى التماسات الأمير بندر السابقة للحصول على تأكيدات أميركية لصالح صدام .

بوش : هل تتذكر؟ إن هذا هو الرجل الذي جئت إلي وقلت إنه شخص جيد !

بندر : إنها يا سيدي المياه وقد عبرت السد وأعترف أن كلا من السعوديين والأميركيين قد تم استغلالهما .

***

موقف بوش من المشكلة

وقال بوش إنه متضايق من موقف الكويت لأنها لم تطلب المساعدة من الولايات المتحدة من قبل ولا قبل نصف ساعة أو دقائق معدودة من قيام العراق بالغزو . . وختم بوش حديثه في الاجتماع موجها كلامه إلى الأمير بندر : «إنني أعطي كلمة شرف أنني سأساعدكم في هذا حتى النهاية» .

فاتصل سكوكروفت بتشيني وقال :

إن الرئيس يريد أن يساعد السعوديين فأره أفضل ما لدينا«خطة العمليات الكبرى» وصور الأقمار الصناعية بالغة السرية وكيف أن القوات العراقية تتحفز لدخول السعودية وفي البنتاغون اطلع بندر على خطط الخيارات العسكرية وفي صباح السبت ٤/ ٨/ ٩٠ اجتمعت القيادات العسكرية الكبرى في منتجع كامب ديفيد لعرض خطة العملية ٩٠ـ ١٠٠٢ مع الرئيس بوش .

وسأل (سنونو) عن حجم القوات العراقية فأجاب شوارزكوف :إن العراق يمتلك ١١٢٧ طائرة وأعدادا قليلة من الطائرات الجيدة

وقال الجنرال شارلز هورنر قائد قوات شوارزكوف ان السعودية تمتلك ٦٠ طائرة «أف ١٥» و١١٥ طائرة «أف ـ ٥» أقل تطورا ،وقال شوارزكوف إن العراق يمتلك قوة برية قوامها ٩٠٠ ألف جندي مكونة من ٦٣ فرقة منها ٨ فرق في الحرس الجمهوري وهي محور اهتمامنا ، ٥٧٤٧ دبابة منها ١٠٧٢ سوفييتية الصنع تي ـ ٧٢ معظمها في الكويت و١٠ آلاف مدرعة منها ١٦٠٠ من النوع الحديث و٣٥٠٠ قطعة مدفعية منها ٣٣٠ قطعة ذاتية الإطلاق بالإضافة إلى سلاح الكويت الذي تركه الجيش في المواقع والمخازن دون استخدام .

والخطط كانت لردع الجيش العراقي كي لا يوسع نطاق احتلاله ويشمل الأرض السعودية وقال شوارزكوف «إذا أردت أن تصنع فلا تصنع دفاعا مزيفا ولا تخلق ردعا مزيفا» وقال إن السعوديين مازالوا يتساءلون إن كنا حقيقة جادين؟ وقال : إن الكويتيين لم يتأهبوا عندما كانوا مهددين وقال سنونو : إن هناك ثلاثة أشياء يريدها العراقيون من حكومة الكويت :

أولا : الأموال ، ثانيا : التنازل عن الديون ، ثالثا : التحكم في البترول ، بالإضافة إلى امتلاك الجزيرتين ، وعن السؤال عما إذا كانت العراق صادقة في الانسحاب . .قال شوارزكوف : «لقد أرسلوا قوات خاصة كبيرة في ملابس مدنية وربما كانوا يخططون لبقاء طويل أو لترك هذه القوات من الخلف ، ويقصد إبقاءها في الكويت بعد الرحيل وهذا هو الذي حدث لقد ذهب الجيش العراقي وبقي منه الكثير في الزي المدني ـ للتخريب ولإثارة الشغب والإشاعات والتفجيرات في الكويت ـ هذه بعض من الملاحظات التي جمعها بوب وود ورد حول أسرار صناعة القرار الأميركي لحرب الخليج . ومهما قيل في الحرب فإن الولايات المتحدة وما لديها من تقنية عالية كانت الوحيدة التي تمثل رأس الحربة الصلبة التي كان بإمكانها شطر القوات العراقية وإلقاء الرعب والفزع في صفوفها والجندي العراقي عندما كان في أيام الغزو الأخيرة أخذ يسأل المارة : أصحيح قد دخل الأميركان الكويت؟ ، وكان بعض الشباب الكويتي يلقون الرعب في صدورهم وهم قادمون بسياراتهم من الجنوب إنهم قد رأوا أرتالا من القوات الأميركية في طريقهم فيرون الخوف والفزع في عيونهم وتصرفاتهم . .إذن أميركا هي صاحبة القرار الخطير وصاحبة الموقف ، والسعودية كما كانت الصدر الأرحب للكويتيين كانت أرضها ميدانا للانطلاق نحو التحرير ورحبت بكل القوات الحليفة ،وكانت المملكة العربية السعودية أرضا وسماء وبحرا لأجل القضية الكويتية والتحرير .

***

العراق والبحر (أ)

بنى العراق حضاراته حول الأنهار واعتمد في رزقه عليها ، كما اعتمد في مواصلاته عليها منذ الألف الثالث قبل الميلاد ، في عهود السومريين الأولى والأكاديين ، ثم حضارة المرحلة الثانية في الألفين الثاني والأول قبل الميلاد أيام البابليين والأشوريين ولم تدل هذه الحضارات المدونة والمرسومة والمنحوتة على ركوب أهله البحر ، وبقيت الوسائل البدائية الأولى دون أن تتطور إلى السنوات الأخيرة ، وأعني وسائل النقل النهري ، وفي متحف العلوم والصناعات الألمانية شاهدت «القفة» كأول وسيلة بشرية بدائية اتخذها الإنسان في النقل المائي ، هذا المتحف قائم بصورة دائمة في مدينة ميونخ في إقليم بافاريا ، وقد كتب بجانب «القفة» أهديت في زمن الملك فيصل الثاني وهي من الوسائل الأولى لنقل الإنسان في الأنهر .

وتسع القفة أربعة أو خمسة أشخاص ،وكنا نشاهد القفة في أنهار العراق إلى أواخر الستينيات ،وتطورت الوسائل مع التاريخ إلى (المشحوف) ثم إلى (الأبلام) الصغيرة ،ولم يعرف النقل النهري الآلي إلا في سنة ١٨٤٥ ، عندما قام بعض الإنجليز بإجراء تجارب واسعة لاتخاذ نهر الفرات وسيلة سهلة وطريقا مختصرا إلى الهند حيث قام «السير جيمس» ، بإحضار زورقين لقياس ورسم الممر النهري المتصل بالخليج ، وجمع معلومات عن العشائر القاطنة على ضفتي الفرات فوضع مخططا دقيقا للنهر وروافده ثم اعتمد الجيش البريطاني على هذا المخطط عندما احتلت بريطانيا العراق بقيادة الجنرال «ديلامين» بحملة بحرية أطلق عليها حملة "D" الحرف الأول لاسم هذا القائد ، في السادس من نوفمبر ١٩١٤ عندما احتلوا «الفاو» هذا المنفذ الاستراتيجي الخطر وبعده صارت أرض العراق لهم موطئا سهلا فدخلوا البصرة وواصلوا الزحف إلى بغداد ، وتصدت لهم حاميات عثمانية بسيطة وبعض العشائر ، واستخدم الإنجليز زوارق ذات مدافع حديثة .

ونعـود إلى تطور النقل النهري في العـراق ، وبعـد ذلك المخطط قـام (هـنري لنج) بإنشاء شـركة للنقل باسمه ، لتكون كـشركة الهند الشرقية بالنسبة إلى العراق ، وعمل في هذه الشـركة بعض أقـاربه ونشط عمل الشـركة في نهـري دجلة والفرات ، واشتـهر القـارب بهذا الاسم (لنج) حتى أطلق على كل قارب يندفع بمحرك ، ومنه شـاعت التسـمـيـة في العـراق والكويت ودول الخليج العـربي نسبـة إلى صـاحب الشـركـة الإنجليزي ، وكان هنري لنج الساعد الأيمن «لجيمس» . الذي رسم الخطوط النهرية .

واتسعت شـركة (لنج) حتى صارت من أوسع الشـركات ثراء فتوسعت في تجارة المحاريث والمكائن الزراعية والصناعية وسيطرت على كل الأسواق العراقية «انظر كتاب منشأ النفوذ البريطاني فيما بين النهرين ، للدكتور زكي صالح وضعه بالإنجليزية ثم ترجمه إلى العربية في ١٩٤٩ وجاء موضوع شركة (لنج) في صفحة ١٣١ . .» .

واستـمرت الشركة في النقل النهـري والتجارة إلى منتصف الخمسينيات ، وانتهى النقل البحري بانتهائها مع العهد الانقلابي وحكم الجيش ، وغاية الموضوع الذي أرمي إليه هو أن الشـعب العـراقي رغم مينائه الكبيـر في البـصرة ومنافذه البحـرية فإنه لم يستخدم البحر وكان يستقبل السفن الكبيرة لكي تسوق منتجاته الزراعية وتأتي إلى العراق بصـادرات دول الخليج العربي ، وقديما كـانت السـفن العـمانيـة والبحـرينيـة والفارسية هي التي ترسو في منافذ العراق البحرية وخاصة البصرة ، كما اعتمد العراق في القـرنين الماضيين على الكويت في تسـويق منتجاته الزراعية وخاصة التـمور إلى شرق إفريقيا والهند والرجوع بها محملة من هذه الأقطار النائية بالأخشاب والبهار والعطور والملابس وغيرها ،وسوف نعود إلى ذلك بالتفصيل .

* * *

العراق والبحر (ب)

العراق لا يريد منافذ بحرية تجارية ، ولكنه يسعى إلى نيل أبعاد بحرية أوسع وأشمل لكي تتسع حركة الأساطيل الحربية لديه ولتنشر الرعب والدمار في البحر وتهدد أقطار الخليج العربي ، للاستيلاء على حقوله النفطية .

الدكتور محمد فاضل الجمالي وهو أحد الفارين من الحكم العسكري والذي حكم عليه بالإعدام ، ويعد من المعارضة العراقية التي استخف بها الفرح عندما احتل خصمهم الكبير صدام الكويت ، لقد جاء في كتابه الذي صدر في أوائل عام ١٩٩٥م وسبق أن قدمت عنه دراسة مطولة في جريدة الوطن وكتاب الدكتور الجمالي هو «مأساة الخليج والهيمنة الغربية الجديدة» وتحت هذا العنوان الجانبي «المبررات العراقية لضم الكويت عسكريا» جاء هذا القول :

«حاجة العراق إلى منفذ نحو البحر المتوسط والخليج العربي ضرورية ، فالعراق بلد غني بثروته الطبيعية من معادن وأراض وأنه وبإمكاناته البشرية ليس له منفذ إلى البحر» .

والواقع أن له منافذ بحرية عديدة على الخليج يبلغ عددها ستة مواني ، وتمثل ١٧٪ من مجموع أعداد المواني المطلة على الخليج ، كما يطل العراق على الخليج بواجهة بحرية يبلغ طولها ٧٠كيلومترا يزداد طولها إلى نحو ٢٣٥ كيلومترا إذا ما أضفنا إليها طول كل من خور الزبير (٢٥كيلومترا) والمسافة بين مدخل شط العرب وميناء البصرة (١٤٥كيلومترا) كامتداد للواجهة البحرية .

أعود إلى الدكتور الجمالي حيث قال في كتابه صفحة رقم١٦ :

«لقد حاول العراق أن يحقق اتحادا مع سوريا وأن يحقق اتحادا مع الكويت لأجل البحر ولكنه لم يفلح لاعتراض بلدين شقيقين هما مصر والمملكة العربية السعودية فيما مضى ، فمصر وهي تتولى زعامة العالم العربي لا تريد أن ينافسها في البروز

والقوة بلد عربي كالعراق» ص٦٨ هذا منطق أستاذ حمل خبرة دامت سبعين عاما وكان في طليعة السياسيين العرب ومنذ أن هرب من العراق بعد حكم الإعدام الذي أفلت منه وهو أستاذ جامعي مدة ثلاثين عاما في جامعة تونس ،وهذا هو منطقه في الوحدة السياسية والاغتصاب القهري ،ثم يقول بعد ذلك :

«والسعودية كانت تخشى أن يختل توازن القوى بين البلاد العربية فيطمع العراق في الاستيلاء على جزء من بلادها . .» إذن فكرة الاحتلال والاعتداء على الجار كانت واردة كما كشفت عنها هذه السطور .

ويعقب قائلا : «الأمر الذي دل على أن التفكير القومي العربي لم يزل متخلفا عند بعض زعمائنا» ولو عدنا إلى التاريخ لرأينا أن الإمبراطورية الأموية الإسلامية قد بنت أسطولها الحربي واعتمدت فيه على البحر الأبيض المتوسط ، ولم تبنه في منافذ العراق لأن الشعب العراقي يهاب البحر ويخافه منذ القدم ، ولو كانت الحقيقة غير ذلك لاعتمد العراق على شعبه في تسويق أرزاقه في البحر ولبنى السفن الكبيرة . فلم يطور العراق «القفة» ولا «المشحوف» ولا «البلم» حتى هذا اليوم . وكما قلت في الحلقة السابقة إن التطور نشأ في العراق سنة ١٨٤٥ على يد الإنجليز في شركة «هنري لنج» للمواصلات النهرية فقط . وفي موضوع قادم سأكتب عن الحركة البحرية في العهد العباسي وكيف كانت سفن عمان والبحرين وفارس تقوم بنقل المنتجات العراقية وجلب البضائع إليها وتفريغها في ميناء البصرة ومنذ قرنين قامت الكويت بهذه المهمة . ولم يشاركها في أسطولها التجاري حتى بحار واحد من العراق ، رغم أنها استعانت بقلة من غير أهل الكويت ،ولنا عودة إلى هذا الموضوع .

***

العراق والبحر (جـ)

ارتبط العالم القديم بين الشمال الأوروبي وجنوب العالم وشرقه بطرق رئيسة ثلاثة ، طريق الصين نحو الشمال حيث بحر قزوين والأناضول ، وطريق الجنوب من الهند إلى البحر الأحمر وبلاد الشام والطريق الأوسط من الهند إلى الخليج العربي برا ثم الطريق النهري في وادي الفرات إلى موانىء الساحل الشرقي للبحر المتوسط والفرع النهري الآخر من رأس الخليج حيث تنقل أحمال السفن الكبيرة إلى القوارب النهرية في الفرع الثاني بنهر دجلة وإلى إنطاكية وحلب ثم إلى الغرب . ويحتل الخليج العربي مكانة مهمة في قلب العالم القديم حيث يربط بين قارتي آسيا وإفريقيا من ناحية الجنوب العربي ، والقارة الأوروبية من حوض الهلال الخصيب والشمال الأوروبي . ،وأطلق على الخليج العربي «باب الشرق السحري» انظر كتاب «التجارة والملاحة في الخليج العربي في العصر العباسي» تأليف الدكتور سليمان العسكري الفصل الأول . الحركة التجارية في العهد الإسلامي الأول ، وفي العهد العباسي ظهرت سفن عمان والبحرين وفارس فأخذت تجوب بحر الخليج العربي وتوصل البضائع التجارية إلى ميناء البصرة ثم تأخذها الزوارق النهرية إلى مدن العراق ، وهكذا استمرت العراق حتى في العصر الحديث معتمدة على نشاطها النهري دون أن تفكر في الإبحار بالخليج العربي أو غيره من المحيطات والبحار الأخرى . ويشير كتاب الدكتور العسكري إلى ذلك قائلا : «صارت البصرة تمثل في زمن العباسيين باب بغداد الكبير ، والمنفذ الرئيسي لإقليم العراق الحافل بالمنتجات الزراعية والصناعية ، ومركز إبحار واستقبال للسفن المحملة بكافة السلع الخاصة بالتجارة الشرقية في الخليج العربي ـ ص ٩٤ ـ فالبصرة إذن كانت مركز إبحار واستقبال ،أي تستقبل السفن الكبيرة القادمة من الخليج حيث عمان والبحرين وفارس وتبحر فيها بالزوارق النهرية إلى

بغداد ومدن العراق الأخرى ، وبقيت على ذلك حتى هذا اليوم لا تعرف البحر ولا تبحر فيه ، عدا الزوارق التي يطلق عليها «الأبلام» .

وأهل العراق يهابون البحر في كل عصورهم التاريخية ولا يقربونه والدلالة على ذلك قيام سفن الكويت في القرنين الماضيين نيابة عنهم في تسويق منتجاتهم وخاصة التمور . وتوريد ما يحتاجونه من شرق آسيا والهند كالأخشاب والبهارات والعطور والأقمشة والحديد ، وهكذا عاشت العراق تستقبل في منافذها البحرية السفن الكبيرة القادمة من الخليج وقلنا إن الزوارق العراقية «الأبلام» ما كانت تجوب الخليج بل تبحر إلى الشواطىء الملاصقة لها ، دون أن تبحر في أعماق الخليج العربي . وأهم متجاتها الزراعية هي التمور وكانت تصلنا من شط العرب بتلك القوارب العراقية الصغيرة وأخرى إيرانية بأحجام أكبر يبحر فيها من نطلق عليهم «البصارة» وهم أهل البصرة ومن الأهواز ،ولم نميزهم بعرب الأهواز إلا في السنوات الأخيرة وهم أجسر من أهل العراق على ركوب البحر ، ويمتازون عنهم في انهم يتخذون سفنا أكبر من السفن العراقية وتصنع في إيران .

وما اندفاع العراق الآن نحو البحر إلا لغايات عسكرية لامتلاك متسع مائي تسيطر فيه قواته على شمال الخليج لتمخر أساطيله عباب البحر ، ولكي يضع العراق سيطرته على الساحل الغربي الغني بالنفط العربي موضع التنفيذ .

***

هوليود صورت الغزو العراقي في ١٩٨٤
طلاس وكشك تحدثا عن الغزو قبل وقوعه بسنوات

بالإيحاء النفسي :

احتلال الكويت من قبل الجيش العراقي صور في سنة ١٩٨٤ بهوليود . وجرى تصويره في اسرائيل من بطولة «آدي مورفي» ويتحدث الفيلم عن وحشية المهاجمين من الجيش العراقي وتصرفاتهم اللاأخلاقية من النهب ، والاعتداءات الخلقية . واسم الفيلم «الدفاع الأفضل» إن الطاغية صدام عايش هذا الفيلم وتأخر في تطبيقه ست سنوات .

وأراد في ١٩٨٦ أن ينفذ الغزو وعلم به الكثير إلا نحن . وتأجل الغزو لتأرجح كفة إيران في الحرب . وعندها أشاع العالمون بالغزو أن القيامة ستحدث في الكويت ، وانطلت علينا هذه الأكذوبة وتساءلنا كيف يعتقد شعب في طليعة المثقفين العرب بهذه الخرافة . وحدثت هجرة من الكويت فترك أصحاب الوظائف الحسنة أعمالهم لكي لا يدمرهم الطوفان ، الجيش الجرار الذي سوف يجتاح الكويت في تلك السنة ١٩٨٦ .

وأتذكر من استغرابنا لظاهرة الهجرة التي لفتت الأنظار حتى كتب عنها الأستاذ الأديب عبد الرزاق البصير عندما تساءل لماذا يهجر المدرسون والموظفون المثقفون الكويت بحجة أن القيامة ستنفجر من الكويت؟ ! .

وقام أحد مشايخ المساجد في منطقة الفروانية بحملة تحريضية لكي يغادر من يستطيع لينجو بنفسه من جحيم القيامة التي سوف تقوم في الكويت دون غيرها . . صدقنا هذه الإشاعة وضحكنا على أصحابها ، والحقيقة انهم هم الذين كانوا يضحكون على طول سباتنا وغفلتنا .

لم يكن سرا :

الشيخ عبد الحميد كشك رجل ضرير يقبع في مسجد صغير في الإسكندرية قالها على جبل عرفات في سنة ١٩٨١ إن صدام مجرد أن ينتهي من حربه مع إيران سوف يبتلع السندويشة التي على يساره الكويت .

سفيرنا الأسبق في سوريا سأل العميد مصطفى طلاس بعد أن انتهت الحرب العراقية الإيرانية من سيكون الدور عليه . فأجابه إنها معروفة ستكون الضحية «الكويت» فضحك السفير وقال : ولكن العداء معكم أكثر .فأجابه : ولكنه «ما بيسترجي» يقرب منا ،واستبعد السفير كما استبعدنا جميعا أن يتم ذلك .

وقال طلاس إن سيدي خبر المسؤولين عندكم عدة مرات بنية صدام والنظام العراقي الاعتداء على الكويت .

بالإضافة إلى ذلك فإن الحكومة الإيرانية كانت تحذر من هذا الخطر الذي كان يهدد الكويت .

وعلى مستوى الأفراد العاديين ، جمعتنا جلسة في مكتب مراقب التسجيلات والمنتاج السيد علي العيد في إذاعة الكويت وجرت مشاحنة كلامية بين رئيس النقل الخارجي س .ر . وبين موظف غير كويتي كان مشحونا بعصبية في الأيام الأخيرة من شهر يوليو ١٩٩٠ فصاح هذا وهو س .ش . بعصبية فقال إذا جاء يوم السبت وهذا العقال على رأسك احلق أنا شنبي وكان اليوم هو الثلاثاء ٣١/ ٧/ ١٩٩٠ وتطالعنا دون أن نعرف مغزى هذا التهديد . وهدأ من ثورته أحد أصحابه . وفي القاهرة بعد عامين وجدته فأعاد لي المقولة وقال ألم تتذكر تهديد س .ش . لصاحبكم س .ر . وقال إن يوم السبت لا يأتي إلا وكل شيء متغير .

فقال بعد ذلك ، أنا خرجت الأربعاء وكلنا يعلم بالغزو إلا أنتم . أما الجنود العراقيون الذين كانوا يختلطون بالمواطنين أثناء الغزو فكانوا يتساءلون باستغراب كيف خفي عليكم ذلك ونحن الجنود الصغار وحتى عامة الناس في العراق كانوا يعلمون ذلك .

وفي منتصف شهر يوليو جاءنا أحد مقرئي القرآن من العراق واسمه ع .ز وسجل كالعادة وسط حفاوتنا بكل قادم من العراق وأدرك البيان العراقي والتهديد في الكويت .

سجلت له الإذاعة وقبض المقسوم وقال إن أمرا خطيرا سوف يحدث ، فقلت له ما هو؟ فقال إن مسؤولا في الجوازات في بغداد قال لي ارجع قبل نهاية هذا الشهر فربما يحدث شيء وتتأخر وينقطع بك الطريق ، فقلت له أقصى شيء سيحدث هو غلق الحدود بين العراق والكويت . فقال أنا أعتقد ذلك ولكن مأمور الجوازات لمح لي أكثر من ذلك وقد تنشب خلافات كبيرة ،وسافر بالفعل قبل الغزو بثلاثة أيام .

أفراد القوات العراقية الحاشدة على الحدود الكويتية كانوا يتحرشون بالكويتيين القادمين من العراق والداخلين إلى الكويت .

وكان موظفو الجوازات يعتدون عليهم بالشتم وتمزيق الجوازات ورميها في وجوه المسافرين .

وعاد الكثير منهم واتصلوا بالداخلية ليعرضوا عليهم الجوازات الممزقة . فوضعت الداخلية هذه الجوازات الممزقة في مظاريف وبعثت بها إلى وزارة الخارجية الكويتية . هذه بعض أعمال الشغب في الأيام المشحونة الأخيرة قبل الغزو بأيام ووزارة الخارجية كانت تهون الأمور المتصاعدة وتستصغر الأحداث ، وتستهين بالسحب الداكنة ذات العواصف والرعود وتعدها من سحب الصيف العابرة .

هل هي إيحاءات أخرى؟

صحيفة الجارديان نشرت في يوم ٥/ ٤/ ٩٤ مقالة طويلة للكاتب «ديفيد هيرس» يقول فيها :إن صدام حسين يوشك على الإقدام على ذروة مغامراته وهي مغامرة سيقدم عليها بالتأكيد ، حيث أنه يشعر بأنه لا يتمتع بالشعبية على نطاق واسع بين أوساط شعبه وأنه على شفا القيام بما وصفه الكاتب بعمل جنوني نهائي سوف يغرق بلاده وربما العالم في حالة من الفوضى .

وديفيد هيرس هذا من أشهر من كتب عن الشرق الأوسط وهو منتقد لنظام صدام وكتب عن الأكراد وعن المنشقين العراقيين والمعارضة . ومصدر هيرس لمقاله الخطر هذا ، هو أحد كبار مستشاري صدام والذي هرب أخيرا ولجأ إلى كردستان العراقية ثم إلى المؤتمر الوطني العراقي المعارض . ويتحدث عن الانفجار الاجتماعي بعد غلاء المعيشة وانهيار الدينار والبطالة الرهيبة المتفشية ، وفقدان الأمن والسرقات وانتشار الفساد والرذيلة والفجور بين أهل العراق . ويقول هيرس إن صدام سيدفع بجيشه إلى احتلال حقول النفط السعودية والخليجية .

وأذاعت محطة صوت الشعب العراقي في ٨/ ٤/ ٩٤ إنه قد تسربت أنباء يوم ٦/ ٤/ ٩٤ في أروقة البيت الأبيض وتناقلتها الصحافة الأميركية والبريطانية . عبر مراسليها مفادها ان التهديدات الصدامية الأخيرة لم تكن خالية من الصحة ونوه بعض الساسة المهتمين بشؤون العراق أن صدام كان ينوي من تهديداته الأخيرة هجوما انتحاريا جديدا يستهدف حقول النفط السعودية والخليجية ، ولكنه أجل هذه المغامرة إلى مفاوضات مجلس الأمن القادمة بعد أن عرف أن دول التحالف قد اكتشفت هذا الأمر وهذا يعني أنه أخذ يرسم نهايته بيده حسب تلك المصادر الصحفية .

الإعلام السياسي العراقي

عودنا التاريخ الحديث أن التحرك الإعلامي السياسي قد يطمس الحقائق ، بل يقضي على العديد من القضايا الصائبة ويظهر الباطل . ومقولة «توينبي» مازالت تتردد أصداؤها «إن القضية الفلسطينية قضية عادلة بيد محام فاشل» . أما المحامي الآخر الذي وقف بجانب اسرائيل وتحرك تحركا إعلاميا فإنه كسب القضية .

العراق يتحرك بكل اتجاه ويحاول أن يؤثر حتى على الدول التي أدانت اعتداءه ووقفت ضده ، إنه يتحرك ويصور البؤس الذي جلبه النظام على الشعب العراقي في العقود الثلاثة الماضية وكأنه من صنع الحصار الدولي ، وكذلك المرض والتخلف وهبوط العملة وتجويع الشعب وكأنه وليد الحصار .

الهند تدعو إلى رفع العقوبات بشكل تدريجي إثر زيارة محمد سعيد الصحاف وزير الخارجية بعد أن ادعى أن العراق نفذ قرارات مجلس الأمن .

ـ والرئيس الاندونيسي سوهارتو استقبل رئيس المجلس الوطني سعدي مهدي صالح . الذي ادعى ان العراق عمل بالشروط المطلوبة منه ، وطالب تقييم خطوات العراق دون أن يذكر المسببات لهذه العقوبات وهي الاعتداء على الكويت وعدم الاعتراف بها واعتراضه على ترسيم الحدود ، وأخذ الرهائن المدنيين والأسرى حتى الآن .

مؤتمر الصحفيين العرب في بغداد ومشاركة عدد كبير بمن فيهم بعض الصحفيين المنافقين الذين يكتبون حسب أهوائهم وأطماعهم .

وفي مصر رحب العديد من المفكرين السياسيين بدعوة سعدي مهدي صالح دون أن يسألوا كيف يذهب المعتدى عليه في وفد برلماني إلى البلد الذي دمره بالغدر والجرائم المختلفة ولم يطهر منه إلا بإجماع دولي وبقوة الحلفاء . وتناسوا كل تلك الجرائم والتي مست الوحدة العربية وأثرت على دول عديدة منها بلدهم جمهورية مصر حيث شرد المقيمون في الكويت ولاقوا الإهانات والإساءات من معاملة الجيش العراقي والرعاع الذين عاثوا في البلاد فسادا وكيف أهينوا في العراق والأردن ومن هؤلاء المؤيدين :

السيد خالد محيي الدين رئيس حزب التجمع الناصري . وكذلك الدكتور حلمي مراد نائب رئيس حزب العمل الذي رحب بهذه المبادرة وبالقيادة التاريخية للعراق المتمثلة في صدام حسين . والسيد أحمد حمروش رئيس لجنة التضامن ، والدكتور حمدي السيد عضو مجلس الشعب . والدكتور فتحي عبد الفتاح رئيس مركز الدراسات السياسية .

هذه هي مكاسب الإعلام العراقي الذي يتحرك في كل اتجاه ليغطي على جرائمه في العراق والمذابح التي ترتكب هناك وما عمله في الكويت .

وإنه مازال يكسب تأييد من انطفأت عنهم الأضواء ويرغبون في عودة الحياة لهم .

وهناك من الأدباء والصحفيين من هم على استعداد دائم لتلقي الدعوات وتذاكر السفر والاستضافة بالفنادق لقاء تصريحات التأييد ،وهناك أيضا الزيارات إلى الهند وباكستان والفلبين ومحاولات الدخول في الفراغ الناجم عن بعض خلافات الخليج العربي .

وكذلك الدول الأوروبية والآسيوية للحصول على عبارات المجاملة .

وقد تؤثر هذه الحركات وكثرتها على الكثير لعمل زفة مدوية لكي تؤثر على انعقاد جلسة مجلس الأمن القادمة .

وفي ليبيا يعقد ملتقى للقانونيين في العاصمة طرابلس تحت شعار «قوة القانون في مواجهة قانون القوة »وتناولوا رفع الحصار عن العراق دون أن يتحدثوا عن القوانين الدولية التي اخترقها العراق في احتلاله للكويت والانتهاكات العديدة . وهذا هو التحرك العراقي الذي يريد أن يغطي على جرائمه ونحن في الكويت لا يكفي أن نقول نحن أصحاب الحق وقد أيدنا العالم في معظم أقطاره ولا نتحرك في المجال الإعلامي .

***

رهائن لا أسرى ولا محتجزون

الأسير هو الجندي الذي يتمكن منه خصمه في معركة عسكرية إما لنفاد ذخيرته ، أو محاصرته في كمين أو سقوطه جريحا ، وفي سير الحروب أخلاقيات ومُثُل ، من يتقيد بها ، أحاط بشرف العسكرية وأخلاقياتها .

وينزل الأسير منزلة الضيف ويحاط بالكرم ويوفر له العلاج والغذاء العادل .

أما المدني فله حرمة ، لا يمس ولا يؤخذ أسيرا وتحترم الأموال والأشجار ولا يؤذى الحيوان .

وقد نصت على هذا القوانين العسكرية منذ أن تحضر الإنسان كما جاء في تعاليم الأديان وخاصة في الإسلام .

والمدني لا يؤخذ أسيرا بأي شكل من الأشكال . وفي الحروب الكونية والإقليمية وأهمها الحرب العالمية الأولى والثانية لم يسجل التاريخ العسكري أسرى من المدنيين . وما فعلت ذلك إلا الجماعات المتخلفة الحقيرة كما عمل الغزاة العراقيون في جمع المدنيين من المساجد والأسواق والشوارع والبيوت وأخذهم أسرى ، وأطلقوا عليهم اسم «المحتجزين» وذلك لينفي النظام المتخلف عنه صفة الجبن والحقارة فأطلق كلمة المحتجزين ، وقام إعلامنا بترديد كلمة المحتجزين والحقيقة أنهم رهائن لا أسرى ولا محجوزين ،انظر كيف تقوم قيامة العالم عندما يحجز مدني رهينة لإذلال حكومته لكي ترضخ لمطالب عسكرية وسياسية ومادية ، ونظام الرهائن أسلوب همجي متخلف لا تعرفه الدول المتحضرة ، وانتشر بين شعوب الشرق الأوسط ومع المنظمات الإرهابية وعصابات المافيا ، الكويتيون المدنيون هم رهائن ولكن لا نعرف كيف نخاطب العالم بهم . كلمـــات نرددها في بلادنا وهي من مخلفات الغزاة : السيطرة ، والفعاليات ، والمحتجزين . ،ولا نعرف كيف نخاطب العالم ، العالم الآن لا يستجيب للأغاني ولا

للأشعار ولا للخطب ،العالم يصغي إليك في أسلوب العصر ، لقد أعطى المرابطون آلاف الشهداء حتى لا بضيع الوطن وحوالي عشرة آلاف رهينة اختطفهم الغزاة . وتقوم الدنيا لرهينة ورهينتين وهذا حق لأن كل من يخطف رهينة فهو متخلف وحقير لا يعد من الإنسانية المتحضرة أو المؤمنة بدين من الأديان . أسلوب خطف الرهائن طريقة بدائية متوحشة ينبذها فكر العصر ، والأسرة العالمية المتحضرة إذن المدنيون المختطفون من الكويت في العراق هم رهائن لا أسرى ولا محتجزون ولا مفقودون .

وإعلامنا في المساجد والإذاعات والصحف وفي كل مكان يشير إلى الأسرى . الأسرى هم المجندون العسكريون ، جنودا وضباطا . أما المدنيون فهم رهائن ويجب أن نخاطب العالم باسمهم وحالهم . هل يدرك إعلامنا هذا الخطأ الجسيم . أطفالنا رهائن ، نساؤنا رهائن ، شيوخنا رهائن ، شبابنا رهائن ، كيف فهم قادة الجيش أن المدنيين أسرى ومحجوزون؟

كيف أقر القانونيون ، والمجلس الوطني والإعلام أن يكون من المدنيين أسرى ومحتجزون .أما آن لنا أن نتفهم من نكون؟ وماذا نعمل؟ . ونعرف موقعنا من العالم والأسرة العالمية المتحضرة؟ واصطلاح آخر يردده إعلامنا في مطالبته «بالمفقودين» المفقود لا يعرف مصيره واحتمال وفاته أكثر من حياته . لذا فمن الخطأ أن نطالب بمفقود . والصواب أن نطلب موجودا وهذه التسمية خطأ كبير . على الجانب الآخر رأينا كيف اختطف النظام العراقي المدنيين الغربيين من الفنادق والمصانع والطرقات والسفارات من الكويت والعراق وجعلهم دروعا بشرية ، وليتخذهم ورقة رابحة في يده فاطلق عليهم الغرب والعالم بأسره «رهائن» وبين الإعلام العالمي حجم الجرم الذي وقع عليهم ولم يطلقوا عليهم أسرى ولا محتجزين بل رهائن . وآخر الصور الحضارية ذلك الاستقبال الرهيب الذي كان في انتظار الصحفي البريطاني جون مكارثي في التاسع من أغسطس ، وكيف نقلته طائرة خاصة من دمشق إلى قاعدة «لا ينهام» البريطانية وكان في استقباله وزير الدولة البريطاني للشؤون الخارجية دوغلاس

هوغ . وبمجرد أن ذكر أنه يحمل رسالة إلى الأمين العام للأمم المتحدة ، ترك ديكويار ما لديه فتوجه هو إلى لندن ،لاستقبال الصحفي الإنجليزي «الرهينة» ورأينا كيف ارتسمت على وجه الرهينة علامات البشر والفرح لما استقبل به من حفاوة بالغة أنسته السنوات الخمس من الاختطاف والأهوال ،بينما اجتازت الدفعة الأولى من رهائننا الصحراء الكويتية الشمالية مشيا على الأقدام .

***

ذكرى يوم البؤس

كنا نعد أيام بؤسنا التي غرسها العدو الإسرائيلي عندما اعتدى على بلاد عربية وأشعل الحرب فيها ، ونحزن على الأرواح التي أزهقت والدماء التي انهمرت . وإن ذكر عدوان وغزو وتشريد شعب فلا يشار إلا لهذا العدو في كل البلاد العربية . حتى جاء الغدر والظلم من الأشقاء ليقلب أواصر المودة إلى كره وبغضاء . وما شاهدته الكويت في يوم بؤسها لم يشاهده شعب من قبل إلا من عدو آثم لا يمت بصلة رحم ولا بصلة دين ولا عرق ولا لغة . لقد اجتمع علينا في آن واحد حقد وكراهية وإجرام ورجس ، ومهما قلبت في صفحات التاريخ فإنك لا تجد لهذا الغدر مثيلا . سبي النساء وأسر المدنيين من أطفال ورجال وكهول ، وفي مشاهد مزرية ، لا يقوم بها عدو مهما بلغت به الأحقاد . ونخجل أن نضرب المثل بإسرائيل التي لم تسق في يوم رهائن ولا أسرى من المدنيين ولا حتى الدول المتخلفة ، كل هذا جاءنا من الأشقاء بعد أن أسقطوا كل إنجازات الجوار في تاريخ طويل ، وبعد أن تمازجت الأرحام وامتزجت أواصر القربى حتى في زحفهم الغادر كان هناك زيف وخداع ، وتلاعب بعبارات دينية وألفاظ فقهية لتكون أقنعة زيف وضلال .

وندع نائب مدير المخابرات المركزية الأميركية وهو يترقب الزحف قبل الانقضاض عندما توترت الأجواء ، وذلك في يوم الأربعاء الأول من أغسطس (١/ ٨/ ١٩٩٠) الساعة هي السادسة صباحا والصور الحية تدل على قرب الموقعة .

ثلاث فرق مدرعة تتحرك نحو حدود الكويت ، لقد كان شيئا مثيرا للدهشة ، ويقول «لانج» إنها مناورة عسكرية جميلة فلقد اتخذت فرقة «حمورابي» وفرقة «نؤمن بالله» وفرقة «المدينة المنورة» مواقع بالقرب من المحاور الرئيسية على طريق الكويت السريع ، ولا يفصلها عن بعضها إلا من ٥٠ إلى ٧٥ ياردة ، وكان زحفا حقيقيا نحو

الموت والدمار الخراب . والكويت مطمئنة إلى وسطاء الخير ، وفي القلوب رصيد متبق من الحب الذي ينكر الغدر والحقد ويأمل بالخير .

وتحقق لنائب مدير المخابرات المركزية «لانج» من أنه كان مخطئا في اعتقاده أنه لن يكون هناك تحذير مسبق ، إنه قد حدث وتحقق له أن الوحدات المدرعة تعلن عن نواياها كما لو كانت بندقية محشوة ومصوبة ووضع الأصبع على الزناد ، ويلاحظ العضلات في الأصبع تضغط أكثر فأكثر ، لقد كان هذا يحدث في حركة واضحة أمام عينية .

وأوضحت الصور أن العراق حرك ٨٠ طائرة هليوكوبتر نحو الحدود بطريقة كلاسيكية وفي وضع هجوم مرتقب عن قريب جدا .

وكتب «لانج» تقريرا شديد السرية وعاجلا جدا يصف الوضع ويتوقع هجوما في هذه الليلة أو في صباح الغد التالي أي يوم الخميس ٢/ ٨/ ١٩٩٠ .

وفي الصباح قرأ رئيس الأركان «باول» تقرير المخابرات المركزية الذي يقول : بأن كل الشواهد تشير إلى أن صدام سوف يغزو ، وعرف «باول» أن الموقف جد خطير وتحاشت المخابرات المركزية أن تطلق (صرخة الذئب) .

وضع «باول» يديه على رأسه مندهشا إنه جيش ميداني ذو قدرة كبيرة يستعد للانقضاض على الفريسة الوديعة .

وحضر في الصباح اجتماعا مع «تشيني» حول تحكم القوى النووية ، وحضر بعد ذلك مأدبة غداء على شرف رئيس جمهورية «توغو» الإفريقية .

وتحدث «شوارزكوف» مع قادة الأركان واعطاهم تقريرا عن مواقع ١٠٠,٠٠٠ من القوات العراقية وقال : إن القوات متمركزة بطريقة تعطي صدام كثيرا من الاختيارات وليس فقط الهجوم .

وتشيني مازال يعتقد أن ذلك التحرك لإخافة الكويت ولا بتزازها بدرجة عالية ، ولم يعد «باول» يصدق أن صدام يناور ، واقترح أن يقوم تشيني بتبليغ البيت الأبيض فإن الوقت قد حان لتسخين الرئيس بوش . فربما يصدر تحذيرا لصدام من خلال القنوات الدبلوماسية . وقال باول لتشيني يجب أن نفعل شيئا . الجنرال «كيلي» مازال يعتقد رغم الاستخبارات أن الغزو غير محتمل . وحتى الكويتيون كانوا يقولون إن صدام لن يقوم بالغزو وهذا كلام «بوب وود ورد» مؤلف كتاب القادة (ص ١٧٦) والحركة هذه فقط لنيل مكاسب مادية .

في الساعة التاسعة مساء بتوقيت واشنطن تلقى تشيني مكالمة في منزله من الأدميرال أوينز تفيد بأن القوات العراقية قد عبرت الحدود وهي في طريقها إلى داخل الكويت بالدبابات وأنها تتسابق جنوبا وشرقا في اتجاه مدينة الكويت العاصمة .

لقد دخل العراق الكويت خلال ثلاث ساعات ونصف وكانت المخابرات الحربية قد أرسلت رائدا كان يعمل بالمخابرات في سفارة أميركا بالكويت منذ عدة أيام ليقوم بإرسال برقيات المخابرات .

كان «باول» مندهشا وهو يرى كل هذا : يا إلهي كل هذه القوة لغزو الكويت؟ إنه بإمكان الشرطة العراقية احتلال الكويت ، لماذا إذن كل هذا الاستعداد؟ . وفي الرابعة صباحا ذهب سكوكروفت للنوم في مكتبه ثم استيقظ بعد ٤٥ دقيقة ، وفي الخامسة كان بباب غرفة نوم الرئيس بوش حيث أمكن التوقيع على تجميد الأموال . وكان أهم إجراء في ذلك الوقت حتى لا تستولي العراق على أموال الكويت في الخارج .

ومن ناحية أخرى بدأ الجنرال كيلي حديثه : هذه هي القصة وكيف استولى العراق على الكويت ، وكانت طبقة صوت تشيني تعكس إعجابه المهني للسرعة والدقة والتقنية العالية للعملية العراقية[١] .

(١) نقلا عن كتاب القادة بتصرف .

كما كان الرئيس القذافي معجبا بسرعة هذا الإنجاز العسكري السريع . وطرب الإخوة القاطنون بين ظهرانينا والذين شاركونا العيش عشرات السنين . وزاغت ابصارهم وتناسوا أن أكثر من ثلاثة أرباع الأسواق في الكويت لهم ، وما أن هدأت العاصفة حتى وجدوا أنفسهم خاسرين بالدرجة الأولى .

وفي عصر يوم الجمعة ٣/ ٨ رتب سكوكروفت لمجيء سمو الأمير بندر إلى البيت الأبيض ، وكان في لندن عندما جاءه خبر غزو الكويت ، وفي الحال قفل راجعا إلى الولايات المتحدة ، واجتمع بالرئيس بوش . وسأل الأمير بندر عن الموقف الأميركي والمساعدات التي يمكن أن تقدم لحل الكارثة ، وأنه يريد تأكيدا ليبلغه للملك فهد ، وألمح ساخرا إلى الطائرات اف ـ ١٥ التي أرسلها كارتر من قبل دون تسليح .

هنا قال بوش : إنني أعطي كلمة شرف سأساندكم في هذا حتى النهاية . وقف الأمير بندر وقفة الرجل الشجاع حتى تأكد له الموقف الأميركي على المستويين السياسي والعسكري . وناضل على كل موقف من أجل الكويت ، ورد على كل المشاركين في المؤامرة ، ومازال الخطاب البليغ في ذاكرة كل كويتي عندما رد على الملك حسين عندما قال : إن الكويت كيان إنجليزي . وذكره ما تكون شرق الأردن وكيف أدارها الجنرال «جلوب» . وكان الأمير بندر من أنشط السياسيين الذين دافعوا عن الكويت بتوجيهات خادم الحرمين الملك فهد بن عبدالعزيز . وفتحت المملكة أرضها وسماءها وبحارها لطرد العراق عن الكويت ، وإبعاد خطرها عن المملكة العربية السعودية ودول شبه الجزيرة العربية في الخليج العربي .

وتحركت حكومة الكويت من خلال تواجدها على أرض المملكة العربية السعودية ، فذهب سمو الأمير إلى مقر الأمم المتحدة فاستقبل بترحاب منقطع النظير لم يستقبل قبله أحد من الزعماء وألقى كلمته المأثورة امام الجمعية العامة للأمم المتحدة في دورتها الخامسة والاربعين في ٢٧/ ٩/ ٩٠ ومما قاله «لقد جئتكم اليوم حاملا رسالة

شعب أحب السلام وعمل من أجله ، ومد يد العون لكل من استحقه ، ويسعى للخير والصلح . جئتكم برسالة شعب كانت أرضه بالأمس القريب منارة للتعايش السلمي والأخاء بين الأمم وداره كانت ملتقى الشعوب الآمنة . لم يكن الاحتلال على أثر نزاع بين دولتين على جزء من الأرض بل كانت خطة مبيتة للاحتلال السافر والسطو المسلح على دولة بأكملها . إن خروج الغزاة آت لا ريب فيه بإذن الله وسنعود إلى كويتنا دار أمن وأمان وواحة أصيلة وارفة الظلال يستظل تحتها كل الطيبين الشرفاء» .

وتحرك الشيخ سعد ولي العهد رئيس مجلس الوزراء في كل محور ، وبرز شامخا في العاشر من أغسطس في القمة العربية الطارئة بالقاهرة وتحدث عن المأساة ، وعندما وجد أن بعض الأعضاء يتلقفون الكرة ويديرونها بينهم لتبديد الموقف والموضوع طالب بالكلمة فأدار الموضوع وجعله في الصورة أمام الجميع كمأساة عربية لا تحتاج أن يدير البعض عنها الوجوه ، وكان الرئيس مبارك في الموقف الصلب ، وبين للجميع كيف اتبع العراق وسائل عديدة بالكذب والخداع والمراوغة حتى وضعه هو في هذه الدائرة .عندما أخذ عهدا كاذبا من العراق أن الاعتداء لا يمكن له أن يتم ، وما أن أدار ظهره عنهم حتى وقعت الواقعة . وتحرك نائب رئيس الوزراء وزير الخارجية الشيخ صباح في المحاور العربية والدولية : من الرد على البيان العراقي إلى رسالته للجامعة العربية ورسالته إلى الأمم المتحدة وجولته حول العالم والتفاف أهل الكويت في الداخل والخارج لتأكيد الشرعية وتجديد المبايعة لأمير البلاد وحكومته والمؤتمر الشعبي في جدة في ١٣/ ١٠/ ١٩٩٠ وتحرك الكويتيون في كل مكان رافضين الاحتلال . والوقفة البطولية للصامدين الذين أعلنوا العصيان المدني وعدم التعامل مع الغزاة وإن انقطعت أرزاقهم في أجواء مكفهرة مظلمة لا يعلم بمصيرها إلا الله ، وتوثقت العلاقات بينهم في الداخل مع التشبث بالأرض والاتكال على الله ، وبذلهم الأرواح رخيصة فداء للوطن رغم قلة خبرتهم في حمل السلاح وعدم تكافؤ المواجهة ، وبرزت المقاومة واشترك فيها الرجال والنساء والأطفال وفزع الغزاة لاعمال المقاومة وتساقط الشهداء ،

وعذب الكثير ، وبدأت حملات القبض على المدنيين الذين اقتيدوا إلى معتقلات العراق . وزادت المقاومة والمقاطعة وصبر المواطنون المقيمون في البلاد حتى منّ الله عليهم بالخلاص والفرج ، وسخر لأهل الكويت أمم الأرض حتى حررت الكويت وخذل المعتدون وطردوا شر طرده وعادت الكويت .

* * *

يتساءلون . . لماذا تحتفل الكويت؟

نشرت جريدة الجمهورية العراقية يوم ٢٨/ ٢/ ١٩٩٣ مقالا تساءلت فيه قائلة :

«إنهم في منطقة الكويت . بماذا يحتفلون وعم يتحدثون؟» ، وأضافت الصحيفة إن الكويت قد حصلت على حريتها لأول مرة في تاريخها عندما انضمت إلى العراق في الثاني من آب «أغسطس» ١٩٩٠ . وقالت الصحيفة إن الكويت لم تحرر من العراق بل انفصلت عنه واحتلها المستعمرون في السادس والعشرين من شباط فبراير ١٩٩١ . الكويت في الإعلام العراقي الآن هي منطقة وسميت محافظة من قبل ، كما سميت جمهورية وضمن هذا التخبط والتهريج أدركوا أن الجمهورية لا بد لها من حدود وشخصية دولية فغيروا التسمية لأسماء عديدة .

والآن يتساءل الإعلام المنحرف الماضي في تخبطه والسادر في غيه لماذا تحتفل الكويت وعم يتحدثون؟ من الذي يصغي إلى هذا الإعلام؟ الكويت نالت حريتها في زمن الاحتلال !! .

وجاء الاستعمار لينتزع هذه الحرية منها !! .

أي حرية هي ؟ دخل الجيش غدرا تحت جنح الظلام ، دخل مرعبا مفزعا بدباباته وطائراته يقصف المناطق السكنية ويلاحق المواطنين الآمنين بأسلحته ، ثم بدأ بالسرقات من اليوم الأول ونهب المحلات والبيوت ، وإنزال المواطنين والمقيمين من سياراتهم لسرقتها بما تحتوي ، وجاءت الشاحنات المدنية والعسكرية لتنقل الأموال المنهوبة ليل نهار . الشاحنات العراقية والأردنية العملاقة تنقل المواد الغذائية ، والإنشائية ، والأثاث وشاهدنا شاحنة عملاقة في البريد ونقلوا المصانع وما حوت ، ودور الصحافة والمدارس ومباني الجامعة والمساجد . هل هذا هو التحرير وبث الحرية في البلاد؟ ! هناك في البلاد النائية من الوطن العربي وبعض الدول الإسلامية من صدق هذا الإعلام إلى حين . ومنهم من لا يزال يصغي إلى هذه الأكاذيب .

وهنا في الكويت من أخذ يردد : إن الإعلام العراقي قوي قد أثر في كثير من الناس ، الإنسان المتحضر الآن لا يسأل عن قوة البث وترديد الكذب . بل يسأل عن صدق الخبر وكذبه .

بعد التحرير ذهب المواطنون إلى المغرب العربي فوجدوا الإعلام العراقي الكاذب قد أثر فيهم وأن دخول الجيش العراقي كان استجابة للمعارضة والشعب الكويتي . . وإنهم ما زالوا يرددون شعارات «النصر» التي جاءت إلى الكويت ثم نزعها المستعمر . ! ! الأموال التي صرفت على رموز الحركات والأحزاب الدينية كان لها التأثير لأنها استغلت المساجد والخطب المنبرية بوساطة الدجالين الذين قبضوا الأموال . وكان لهذا التأثير الإعلامي صدى أخذ يردده المقيمون في الدول الأوروبية والمطرودون من ديارهم من العراق وغيره وفي الدول الإسلامية في شرق آسيا كانت الأموال التي وزعها الطاغية بتصرفه الشخصي دون رجوع إلى أحد من الشعب قد أعطت مردودا إعلاميا كاذبا فصدق الشعب أن العراق جاء لنصرة أهل الكويت ، أن الحرية قد مورست هنا ، وصدقوا التمثيليات التي كانت تهرج في طرقات الكويت . الملابس الكويتية البيضاء . والدبكات التي كان يردح بها الشامتون في شارع تونس ومجمع الرحاب وشارع عمان ، وخيطان ، كلها كانت من التمثيليات السخيفة ، وكان التلفزيون والعاملون فيه والإذاعة يعدون لهذه البرامج الكاذبة . وخرج بعد ذلك العاملون من الإذاعة والتلفزيون بسلام دون عقاب رغم خطورة الدور الذي قالوا به أثناء الإحتلال والآن انحصر الإعلام العراقي في نطاق بغداد بين ما يذاع في الإذاعة والتلفزيون وما ينطق به صدام حسين في خطب تكاد تكون يومية آخرها لقاء أذيع في ٦/ ٣/ ٩٣ حيث قال :

«لقد بقي العراقيون على أصولهم وجذورهم وموقفهم البطولي ، مناشدين الحرية ومنتصرين في منازلتهم الكبرى أم المعارك . .» وكان ذلك الحديث مع صحفي أميركي ، ومن أكاذيبه التي قالها للصحفي الأميركي :

«نحن على استعداد دائم للعمل بإيجابية وفاعلية لجعل كل منطقة الشرق الأوسط منطقة خالية من أسلحة الدمار الشامل» .

وقال أيضا في أكاذيبه : «إن العراقيين يعرفون أنهم سيعيشون حياة راقية . إن المعركة ليست وطنية قومية فحسب وإنما هي إنسانية في نتائجها . .» .

وها هو الإعلام العراقي لا يزال يكرر العبارات السمجة التي لا تحمل أي جانب من الواقع وتهيم في خيالات الوهم والكذب وتتحدث عن البطولات والانتصارات ومازالت الأوسمة توزع وكأن «أم المعارك» مازالت دائرة في ساحات القتال . حتى الشرطي الذي يقوم بقهر الناس في الأسواق وينتهك حرمة المواطنين في منازلهم يحصل على وسام استحقاق أم المعارك . ! وهكذا فإن عجلة الكذب دائرة . وينشر الوهم قهرا فارضا بثه وسماعه .

***

اضطراب أركان النظام

عادة تجند الصحافة العراقية لكي تسير وفق مؤشر واحد ، لا تحيد عنه أي صحيفة ، حتى ولو كان النقد حول خدمة من الخدمات العامة . لا يعاب أي جهاز ولا مسؤول في أي إدارة إلا إذا شاء صدام إقصاءه أو إهلاكه .

طارق عزيز الرجل القوي والذي كان مخولا بترديد عبارات السب والتجريح وإهانة السياسيين والزعماء ، وردد أيام الغزو كل عبارات صدام حسين الواهية ، وماثله في النطق والحركات وشبه الخيلاء والتطلعات الفوقية في المحافل الدولية .

في جنيف قبل الحرب بأيام قليلة أبلغه وزير الخارجية الأميركية أن يستجيبوا لنداء السلام والانسحاب بكرامة قبل أن يأتيهم العقاب المدمر ، وعرض له الرسالة الأخيرة من الرئيس بوش لكي يوصلها إلى صدام فقرأها ورماها على الطاولة وكأنه هو الآمر الناهي وما صدام إلا كبش فداء .أو ثور الحلبة الذي يحرك ويستفز لتأتي الكارثة عليه .

في مؤتمر جنيف الأخير حكم الكثيرون بأن الرجل الأقوى هو طارق عزيز المعروف بطارق حنا .

وفي الفترة الأخيرة وبتاريخ ١٨/ ٣/ ١٩٩٤ قرر مجلس الأمن الدولي تمديد العمل بالعقوبات المفروضة على العراق منذ احتلاله للكويت في صيف ١٩٩٠ ، وكان العراق يأمل أن يتحرك طارق عزيز تحركا قويا ليوقف العقوبات بعد أن استجاب لبعض المطالب وصعد لذلك إعلامه وإعلام الدول التي دارت في فلكه .

فأجرى عزيز اتصالات مكثفة في نيويورك مع مسؤولي الأمم المتحدة ، وهناك فوجىء بوفد يمثل المعارضة العراقية يتصل بالمسؤولين هناك في مقر الأمم المتحدة لحثهم على مواصلة ضغطهم على السلطات العراقية وعدم الاستجابة إلى المطالبة بتخفيف العقوبات .

مع علي العضاض

إذاعة صوت أميركا قابلت أحد أعضاء الوفد وهو السيد/ علي كاظم العضاض ، وهو عضو في المجلس الأعلى للثورة الإسلامية وسأله المذيع محمد الرشاد عن هدف اتصال المجلس مع بعض عناصر مجلس الأمن . فقال أردنا أن نوضح ما حصل في الفترة الأخيرة في مناطق الجنوب ـ في الأهواز بالذات ـ حيث قام الجيش بقيادة حسن علي المجيد بهجوم كبير استعملت فيه كل الأسلحة التدميرية ، وقام الجيش بحرق عشرات القرى وقتل في هذه الحرب العديد من النساء والأطفال ، وتهجير أعداد هائلة إلى مناطق نائية .

وبخصوص الانتهاكات حول استخدام الأسلحة الكيماوية وأن الأمم المتحدة لم يثبت لديها في تقرير ١١/ ٣/ ٩٤ . أجاب السيد العضاض : إن الكيماويات والغازات استخدمت ولكن عينات البحث كانت قرب البصرة وبعيدة عن الأحداث ، وإن الذي استخدم هو غازات وأدخنة يعرفها الشعب ، وهي سامة ومشوهة للأجسام ، وهذا النوع من الغازات لا يبقى طويلا وتتلاشى آثاره بعد فترة وجيزة وعندما ذهبوا إلى المواقع التي ذكرها لهم بعض الأفراد لم يجدوا أي أثر باق . وقالت اللجنة الدولية إنها لم تجد ولا تستبعد ذلك كما أنها لم تنف ذلك .

وقال السيد العضاض إننا جئنا هنا لكي نرفع الظلم عن شعبنا وهو الظلم الواقع عليه من النظام الحاكم ، ولقد ساهمنا في صنع القرار رقم ٧٠٦ وإجبار العراق على تطبيق القرار رقم ٧١٢ ليتيح للعراق شراء حاجياته بعد بيع النفط .

ونعود إلى طارق عزيز الذي أخذت تهتز أركانه من خلال الهجوم الإعلامي داخل العراق في ظاهرة فريدة لم تكن مألوفة من قبل وجاءت الانتقادات اللاذعة هذه المرة من صحيفة عدي صدام المسماة «بابل» حيث شنت هجوما على السياسة الخارجية

المســؤولة عن عـدم تخـفيف أو رفـع العقوبـات التـي فرضتـها الأمـم المتحدة على العراق .

وكان في السابق أي هجوم على الخارجية هو هجوم على صدام وكذلك الداخلية والجيش أما الآن فيبدوا أن النطع قد فرش ليقطع عليه رأس طارق عزيز .

* * *

ستارة الحظر

صرحت وكالة الأنباء العراقية في منتصف يوليه الماضي أن ٥٤٠ عقدا تجاريا قد أبرمت مع شركات أجنبية لتزاول أعمالها بعد فك الحصار . وهناك تاريخ منتظر هو مارس ١٩٩٥ ، وقد يكون قبل ذلك بشكل تدريجي أو بعده . وتتطلع الشركات العالمية الكبرى لبناء ما هدم أثناء الحرب التي جلبها النظام المستبد الذي خرج من حدوده طمعا في الغزو . كان الأمل في أن يبدأ البناء بعد أن تسقط حكومة بغداد ويذهب صدام ، ولكن طال مكوث هذه الحكومة ، ولم تحرك المعارضة ساكنا بعد أن تلقت الدعم وتنقلت بين عواصم بعض الأمم ، والشعب العراقي ينتظر أن يأتيه المدد من الخارج ليقلب نظام حكمه .

رهان أميركا ودول الغرب على الثورة الداخلية ضد نظام صدام لم يتحقق ولم يأت التحرك من الخارج وخضع هذا الشعب لحكم الإرهاب والطغيان ، ولم يستطع أن يغير نظام الحكم ، ويبدو أن كثرة المظالم وألوان الاستبداد قد أوهنت قواه وفتت في عضده

الشركات النفطية

هذه الشركات مازالت تتطلع إلى باطن الأرض العراقية التي تحتوي على ١٠٠ مليار برميل ويمكن إن تدفقت أن يكشف عنها غطاء سقف الإنتاج حتى تغرق السوق بالنفط وتهبط الأسعار ، ويعرض بأبخس الأثمان ، وتتأثر دول كثيرة بالكساد القادم .

لقد دخلت الشركات الغربية في تنافس شديد من أجل الفوز بعقود استثمار حقول النفط وإصلاح المنشآت المخربة .

وأفادت مصادر بترولية بأن شركات فرنسية وإيطالية وكندية وروسية وأوكرانية وأسبانية تتواجد على باب الانتظار والتنافس . وأهمها شركتا توتال والفاكسيان

الفرنسيتان حيث اهتمت الأولى باستغلال حقل عمر والثانية باستغلال حقول مجنون التي تحمل في باطنها ٣٠ مليار برميل . وتقول العراق انها أصلحت ٩٠٪ من منشآتها النفطية التي تضررت في الحرب . وتستعد العراق لتصدير ما يزيد على مليوني برميل يوميا في الوقت الحاضر .

وتشير بعض المصادر إلى أن العراق ربما يكون قد حصل على مساعدات نقدية أجنبية لإصلاح منشآته رغم تطبيق الحظر . وهذه المساعدات إن تمت فإنها قد جرت في السر بعيدا عن الأضواء الدولية . وزار المسؤولون العراقيون في الأشهر الماضية بعض العواصم الأوروبية كباريس وروما وروسيا وإلى جانب اليابان وأسبانيا وهناك دول قد تقوم بتغليب مصالحها على الاعتبارات السياسية في ضوء تعدد الإشارات الملوحة على قرب تخفيف الحظر الدولي ، وتزامن مع انقسام في رأي الدول الخمس ذات العضوية الدائمة في مجلس الأمن . إن لم يكن انقساما بالمعنى الدقيق فتغيير في لهجة الرأي حول النظر في شؤون الشعب العراقي الذي تضرر والناحية الإنسانية ، أو النظر في بعض العقوبات التي نفذها العراق ومحاولة إسدال الستار على أهم دوافع الإجرام وهو جريمة انتهاك الحدود وعدم الاعتراف بها . وأخذ الرهائن من الشوارع والمساجد والبيوت وعدم إعادتهم . ومازالت مسببات الجريمة والاعتداء قائمة إن لم تتلافى بتنفيذ كل العقوبات الدولية المتفق عليها . ليس هذا في الآفاق الغربية ، بل نسمع صداها في بلاد عربية كثيرة من المنشآت الصحفية وأقطابها حيث ينادون برفع الحصار رغم الأذى الذي لحق بعشرات الآلاف من عمالها وعديد من العاملين في الكويت والخليج العربي من أهاليهم . وتقوم العراق بإعلامها المتحرك بالمال وقد يؤثر حتى على دول عربية وقفت ضده وناصرت الحلفاء .

وعلى الرغم من تشدد الولايات المتحدة وبريطانيا فإن رئيس اللجنة الدولية المكلفة بإزالة أسلحة الدمار الشامل العراقية «رولف إيكيوس» قد حدد أخيرا ولأول مرة شهر

سبتمبر كموعد لإحاطة مجلس الأمن بامتثال العراق نهائيا للقرارات الدولية الخاصة بإزالة الترسانة العسكرية . رغم بعد المسافة الزمنية بين التصريح والتاريخ الموعود . عندها يرفع الحظر النفطي ليصدر ، بعد أن تكون الأمم المتحدة قد تأكدت من نجاح نظام المراقبة على النشاط العسكري وفقا لتقرير إيكيوس الأخير .

هنا يبرز صدام حسين بطلا كما كان يوم كانت الكويت تصفق له مع المصفقين ، عندها يعلن انتصاره في كسب التحدي ومواجهة الغرب الذي راهن بشطريه الأوروبي والأميركي على إسقاطه قبل تطبيع الحال مع حكام بغداد .

ومن الآن أبدت بغداد شروطا حيث أكد وزير النفط العراقي أن بلاده ستعطي الأولوية للشركات التي تقدمت أثناء سريان الحظر بعقودها ولتتحول الدول المعادية إلى صديقة ، وأبلغ رد تلقته العراق كان من اليابان أثناء زيارة وسام شوكت الزهاوي في الأسبوع الأخير من الشهر الماضي عندما قال له «بيروسوكي تيرادا» إن التزام العراق الكامل وغير المشروط بكل قرارات الأمم المتحدة بشأن الكويت وعددها ٢٩ قرارا أمر ضروري لإعادة السلام والاستقرار لمنطقة الخليج العربي . أفضل من أي رد ويفوق المواقف المتأرجحة بين التلميح والتصريح كل يوم في بعض صحف العالم العربي .

وهناك أنباء وردت من العواصم الأوروبية منها إذاعة لندن في ١٦/ ٧/ ٩٤ في برنامج التجارة والمال منها تصريح كارول ميرفي الصحفية المعروفة التي رجعت من بغداد ذكرت أن أعدادا غفيرة من رجال الأعمال الغربيين في بغداد . أما الأميركيون فيمنعون من الدخول بجوازاتهم فيعقدون اجتماعاتهم في الأردن مع المسؤولين العراقيين . . ومنهم من يحصل على فيزا دخول العراق في وثائق منفصلة لا تختم على جوازات السفر ، ويضغط رجال الأعمال على حكوماتهم عبر قنوات الإعلام المختلفة ، فهل يجلس وراء طاولات التفاوض غير المباشر مع الأصدقاء أحد من المقربين؟ وهل قرب موعد إسدال الستارة فعلاً عن تلك المأساة كما تردد بعض أجهزة الإعلام العالمية دون أن ينال المجرم عقابه ويعود الحق لأهله؟ !

***

«الدونمة» وحركات الانشقاق في العراق (١)

العدد ٢٥٥ التاريخ فبراير ١٩٨٠ مجلة العربي . هذا العدد ارتجت منه بغداد ، وقاطعت المجلة ومنعت دخولها وأكثر من ذلك تعقبوا هذا العدد فأزالوه من الأسواق . وغضبت بغداد وكان غضبها في ذاك الوقت مفزعا . وبيت القصيد مقالة في هذا العدد نشرت في الصفحات ٤٢-٤٩ للأستاذ محمد حرب عبد الحميد (استانبول) والعنوان هو : يهود الدونمة إلى الآن يحجون ويصومون ويدخلون المساجد . . وخلاصة الموضوع أن اليهود لم يعترفوا بعيسى عليه السلام مسيحا لذلك ظلوا ينتظرون المسيح ليأتي ليعيد إليهم دولتهم ثم ليفرض سيطرتهم على العالم - كما هو في اعتقادهم - ولتسود دولتهم العالم كله ويجبر العالم كله على التدين باليهودية . وتسبب هذا الاعتقاد في ظهور كثير ممن ادعى أنه المسيح المنتظر مثل تيوداس الروماني عام ٤٤م ، وموسى التكريتي ، وأبو عيسى الأصفهاني ثم سباتاي الأزميري ، وهو مؤسس هذه الطائفة «الدونمة» . وثائرة النظام كانت من ذكر اسم موسى التكريتي الجد الأكبر لهذه الأسرة المجهولة الغامضة التي قلبت كيان العراق والأمة العربية . ولصالح من؟ فإن كان جدهم موسى التكريتي من يهود الدونمة وادعى النبوة فإن خلفه في تكريت هم الذين تظاهروا بالإسلام لأغراضهم وأهدافهم . يقول كاتب المقالة : «عاش هؤلاء اليهود مختلفين عن المسلمين ، لكنهم يؤدون الشعائر الدينية الإسلامية الظاهرة فيصومون أحيانا ويحجون أحيانا ويدخلون المساجد والجوامع للصلاة ، وكانت لهم عاداتهم الخاصة ويحتفلون بعيد الخروف في ٢٢ مارس حيث يتساوى العدد بين النساء والرجال المتزوجين ، ثم تطفأ الأنوار ويسود الظلام ، ويمارس الجنس ، ومن يولد إثر هذه الليلة يكتسب قداسة» .

وقد تركزت جهود الدونمة في تركيا منذ الحرب العالمية الأولى في دفع عجلة التغريب في الحياة الاجتماعية التركية كمحاربة الحجاب وتشجيع سفور المرأة والمطالبة

بالمساواة بين الرجل والمرأة وقضية الاختلاط في جامعة استانبول . ومسابقة ملكة الجمال وتولى مصطفى أتاتورك مسؤولية التغيير بما فيها حذف حروف اللغة العربية واستبدال اللاتينية بها . واندسوا في شؤون إدارة البلاد في المناصب المهمة كالمالية والعسكرية وأمسكوا زمام حركة الاتحاد والترقي وحركة تركيا الفتاة والانقلاب الذي أطاح بحكم السلطان عبد الحميد وأفسحوا المجال أمام قادة الاتحاد والترقي حتى أسقطوا الإمبراطورية العثمانية الإسلامية وقادوا البلاد التركية نحو نهج علماني وهم الذين أدخلوا إيطاليا إلى ليبيا مقابل صفقات مالية قبضها «قراصو» مسؤول الاتحاد والترقي ومن أبرز العائلات اليهودية التركية عائلة القبانجي وكبار وايبكجي وتأثير هذه العائلات الغنية على تحريك الإعلام واضح وهكذا امتلكت عائلات الدونمة الغنية دور النشر الكبرى والإذاعات ووسائل الإعلام الأخرى وبرزوا في المجال الأدبي والثقافي التركي ، أما عن كيفية انتشار هذه الطائفة في الدول الإسلامية فذلك مخطط كبير استغلت فيه الصهيونية سماحة الإسلام وسهولة الدخول فيه لمجرد الادعاء بالقول ثم يتولى المسلمون تعليمهم مبادئ الإسلام .

وشجعت الدولة العثمانية على استقبال أهل الذمة والهاربين من محاكم التفتيش الكاثوليكية في أسبانيا وخاصة اليهود المضطهدين . وكانت الخطة اليهودية هي التغلغل في وسط المسلمين والدخول في المناصب الحساسة كالمراكز المالية والمناصب المهمة في الدولة للإطاحة بالدولة العثمانية وهي دولة الخلافة الإسلامية واستهدفت السلطان عبد الحميد الرجل القوي الذي وقف كالسد المنيع أمام الحركة اليهودية العالمية الهادفة إلى إنشاء وطن قومي لهم في فلسطين وتشجيع الهجرة إليها .

ومن القنوات التي نفذوا منها نحو بيت الخلافة الإسلامية ، تزويج السلطان سليمان القانوني من اليهودية (روكزيلا) من السبي الروسي والتي عرفت باسمها الرسمي (حرم السلطان) فقاربت بين السلطان وملك فرنسا ، (فرنسوا الأول) وعقدت بينهما معاهدة صداقة في سنة ١٥٥٣ ، وزوجت ابنتهما من الشاب الكرواتي

رستم باشا بعد تدبيرها قتل الصدر الأعظم إبراهيم باشا ووضعت زوج ابنتها مكانه . حتى دفعت ابنها السلطان سليم إلى السلطة إلى أن أطيح بحكم السلطان عبد الحميد الثاني . ونشطت الحركة الماسونية بعد ذلك بمحافلها الشرقية والغربية بأسماء عديدة أخرى ونظمت الماسونية بعد ذلك بمحافلها الشرقية والغربية والإسلامية بطرق مختلفة كدعاة نحو القومية وأحيانا باسم بعض دعاة الدين الإسلامي والتبشير المسيحي للنيل من الإسلام والمسيحية معا . وتفاعل مع هذه النداءات الكثير من المتعلمين والمثقفين وأعضاء في حكومات الدول الشرقية . وخدع الكثير بحركة الماسونية حتى إنك كنت تجد القياديين يفتخرون بحمل شارة الغصن و(الفرجال) على صدورهم واستبدلوا الأزياء الإفرنجية بالأزياء العربية كرفض للقديم والسعي نحو التقدمية . وانتشرت الدعوة الماسونية بجناحيها الشرقي الشيوعي والغربي حتى جرفت معها الكثير من النخبة المتعلمة في مجالات التدريس والصحافة وغيرها من المناصب الصغيرة والكبيرة ، وما أن تنكشف حركة حتى تسارع الماسونية إلى تغيير المسميات في حركات دينية وقومية في الشرق والغرب وفي أوساط الشرقيين وتجمعاتهم في الدول الغربية .

***

«الدونمة» وحركات الانشاق في العراق(٢)

عندما نشرت مجلة العربي مقال الاستاذ محمد حرب عبدالحميد حول يهود الدونمة وما أثارته العراق حينذاك من غضب حول ذكر «موسى التكريتي» فمنعت لسنوات دخول مجلة العربي إلى العراق . والتكريتي هذا هو أحد المدعين أنه المسيح المنتظر ونبي ليهود العراق في تكريت . وادعى غيره أمثال تيوداس الروماني وأبوعيسى الأصفهاني ثم سباتاي زفي الأزميري وهو مؤسس طائفة السباتائية أشهر الداعين إلى «الدونمة» . متى ظهر ساباتاي؟ لقد ولد عام ١٦٢٦م وكان والده يعمل في التجارة بين اوروبا وتركيا وهو من يهود الأسبان . في فترة من أحرج الفترات التاريخية ، الأتراك ماضون في إسقاط القلاع الأوروبية ، وها هم يحاولون المحاولة الثانية لاقتحام فيينا عاصمة النمسا الآن . ومحاكم التفتيش في أوروبا والتعصب الديني تطارد اليهود أينما كانوا وتتظاهر جماعات منهم بالدخول في المسيحية والإسلام لستر حركاتهم المشبوهة . ولقد استغل ساباتاي الاعتقاد الدائم حول ظهور المسيح المنتظر كما تتنبأ حسابات الجمل عند اليهود بأنه في سنة ١٦٤٨ سوف يأتي المسيح المنتظر ، فأخذ يعد نفسه لكي يكون هو الذي أشارت إليه النبوءة ،وجهر بذلك وكان في الثانية والعشرين من عمره وخدع المقربين منه مستغلا ذكاءه وثقافته فادعى النبوة في ١٦٤٨م ومن أقواله التي بثها في جماعته : «لا تهابوا شيئا فإن حكمكم لن يقتصر على أم الأرض بل سيتعداها إلى جميع المخلوقات في أعماق البحار ، كل هؤلاء مسخرون لكم ولرفاهيتكم» وبقي يدعو لنبوته فلم يجد حوله الاجماعة قليلة ، فشد الرحال إلى القاهرة والقدس في سنة ١٦٦٣ ولم يجد المناخ المناسب لنشر دعوته ، وخاف على نفسه من ردة الفعل الغاضبة . ولكنه وثق علاقته برافائيل جوزيف المعروف عند المصريين بيوسف جلبي وكان هذا يعمل رئيسا للصيارفة بالقاهرة ، واتفق معه لكي يمول دعوته .

ومن القاهرة ذهب إلى فلسطين وكل ما كسبه في جولته بين القاهرة والقدس هو إعلام عن تحركه من أجل الدعوة ، ولما عاد إلى أزمير في تركيا حيث مسقط رأسه انهال عليه اليهود من رودس وأدرنه وصوفيا واليونان وألمانيا وقلدته هذه الوفود تاج «ملك الملوك» وخطط العالم إلى ٣٨ ولاية وعين لكل ولاية حاكما وليحكم هو العالم كله من فلسطين ، ولقب «الابن الوحيد الأول ليهوه» وكثر أتباعه وزاد نشاطهم ، ولما استفحل خطر ساباتاي اعتقلته السلطات العثمانية لمحاكمته بما يرمي إليه لإقامة دولة في فلسطين فأصدرت الأمر بالقبض عليه ، والتحقيق معه من قبل هيئة علمية برئاسة نائب الصدر الأعظم وعضوية شيخ الإسلام وبعض العلماء الكبار . ووجهت له تهم الادعاء بالنبوة ، وشق الصف وخداع الناس والتآمر على الدولة لاستقطاع فلسطين في مؤامرة واسعة بالمشاركة مع اليهود في الخارج . ولما قرب منه الحكم بالإعدام ، أنكر كل التهم التي وجهت إليه وادعي أنه أقرب إلى الإســـلام مـــن الديانة اليهودية وأنه كان يقنع أتباعه بالدخول في الإسلام وهنا أشهر إسلامه أمام السلطان فسلم من العقوبة الكبرى .

ساباتاي اليهودي أسلم ليهدم الإسلام

ولما أيقن السلطان أنه قد ترك دينه ودخل الإسلام قربه ليكون مسؤول الأمن في القصر العثماني بوظيفة رئيس البوابين . وقال لأتباعه إنه تلقى أمرا من «يهوه» ليكون مسلما فأسلم ، وقدم لأتباعه بيانا أوضح فيه ما حدث «كيان ساباتاي القديم قد صعد إلى السماء ويأمر من يهوه لكونه المسيح ، ولكن تحت جبة وعمامة» وتظاهر معه اتباعه بالدخول في الإسلام وسموا أنفسهم «بالدونمة» ، فواصل ساباتاي دعوته الهدامة من موقعه الجديد كمسلم وكرئيس للحجاب وأمر اتباعه أن يظهروا الإسلام ويبقوا على يهوديتهم في الباطن .

وانتشر الأتباع في المدارس والمعاهد الإسلامية واختاروا من نبغ فيهم ليكون داعية من دعاة المسلمين ، وعرف منهم جماعة أطلق عليهم زعماء الماسونية ولكنهم في الظاهر هم من رواد الدعوة الإسلامية ومن أهم جمعياتهم «الاتحاد والترقي» هذه الجمعية التي سعت لإسقاط الخلافة الإسلامية العثمانية . ثم توجهوا لدعوة الاصلاح الديني والسياسي معا ، وانتشروا كدعاة بارزين في مصر وايران وأفغانستان والهند والقدس ، وألفت كتب عن الماسونية نشرها بعض من انخدع بحركاتهم حتى تبين لهم أن الماسونية دعوة يهودية تنادي بإسقاط العقائد الدينية لكي تظهر فوق أنقاضها الديانة اليهودية بعد أن تنال من المسيحية والإسلام معا . وكانت حركتهم تنشط بعد كل كارثة سياسية وكل حرب يتهم فيها الساسة والعسكر ورجال الدين بالتقصير تنشط العلمانية والماسونية في محافلها الشرقية والغربية ، وأذكر أن جمعا من المثقفين التربويين والقياديين كانوا يحملون على صدورهم شارة الماسونية بكل فخر واعتزاز ، أما رجال «الدونمة» فقد ذابوا في المجتمعات الإسلامية كرجال دين ودعاة ينادون بنشر الإسلام لكي يدب الخلاف بين طوائف المسلمين أكثر وأكثر . ثم توجهوا إلى الدول الغربية وأميركا ليندسوا بين الدعاة الحقيقيين الهادفين إلى نشر الإسلام ، لكي تتعثر دعوة الدعاة وتنتقل خلافات المسلمين إلى خارج أوطانهم . وما نعانيه الآن من فرقة وانشقاق في المذاهب والطوائف هو من غرس أعمالهم . والآن وبعد أن ذابت هذه المجموعات في الدول الإسلامية هل يأتي أحد ويشير إلى أفراد قد دخلوا الإسلام قبل ثلاثة قرون وهل تحل المشكلة؟ ماذا لو قلت الآن إن تكريت بؤرة من بؤر اليهود المغروسة منذ القرن السابع عشر ، وحفيدهم قام بإنجاز كبير في تفرقة العرب ورفع الستار أمام كبرى الهجرات الشرقية إلى إسرائيل .

***

الحديث عن الخسائر . . وإعادة البنية العسكرية

بعد مرور مايقارب ثلاثة الأعوام على انتهاء حرب الخليج مازال الإعلام الغربي يتضارب في إظهار الحقائق من حيث الدمار الشامل الذي أصاب القوات العراقية والضحايا والمقاطعة والحصار ، هناك رؤية إعلامية مؤرقة تحدثت عن الدمار الشامل وأخرى تنفي كل ذلك وتظهر برؤية مخالفة أن الخسائر كانت طفيفة ، ولم تضع حدا وسطا للرؤية الإعلامية الغربية .

وترفض وزارة الدفاع الأميركية إعطاء أي تقديرات في هذا الصدد إلا أن محللا سابقا بالوزارة قال إن عدد القتلى العراقيين في حرب الخليج كان مبالغا فيه بدرجة كبيرة ، وسبق أن أعلن مراسل صوت أميركا «ديفيد سويد» في الربيع الماضي وأذاعته صوت أميركا في ١٠/٣/١٩٩٣ ، أنه ليس هناك أي تقييم نهائي للخسائر البشرية التي تكبدها الجيش العراقي المعتدي أثناء طرده من الكويت في الهجوم الجوي ثم البري .

وجماعة حماية البيئة المعروفة باسم السلام الأخضر قدرت الخسائر البشرية العراقية بأكثر من مائة الف جندي وخمسة عشر ألف مدني .

وقدرت وكالة المخابرات التابعة لوزارة الدفاع الأميركية تلك الخسائر أيضا بحوالي مائة ألف رغم أنها اعترفت بأن ذلك الرقم قد يكون خاطئا بحوالي خمسين في المائة .

ويحتار الباحث والمتابع للإعلام الرسمي في التلاعب بالأرقام ، جون هاندين ريك المحلل السابق بوكالة المخابرات التابعة لوزارة الدفاع الأميركية يقول إن الرقم الحقيقي للخسائر البشرية العراقية في حرب الخليج يقل حتى عن أقل التقديرات إلى ماهو عشر العشر للعدد المتفق عليه ، حيث يقول إن عدد ضحايا الجنود فقط «١٥٠٠» ألف وخمسمائة .

ويقول إنه توصل إلى هذا العدد بعد تحليله إفادات من أسرى الحرب ، ووضع تقديرات وصفها بأنها غير مبالغ فيها مفادها أن جنديا واحدا قتل مقابل كل جنديين أصيبا بجراح .

ويقول هاندين ريك إن الغارات الجوية التي شنتها طائرات التحالف لم تؤد إلى وقوع إصابات كبيرة في الأرواح لأنها كانت تستهدف الدبابات والمعدات العسكرية وليس حشود القوات العراقية .

وقال إن وزارة الدفاع لم تصدر أبدا أي إحصاء رسمي لعدد القتلى والجرحى من الجنود العراقيين .

ومن جهة أخرى وأهم من ذلك أن العراق لم يصدر أي تقرير عن قتلاه لا في حربه مع إيران ولا في حرب طرده من الكويت .

إن العراق يعامل أفراده من العسكريين والمدنيين وكأنهم دون البشر .

لذا فإن المحللين الغربيين يأخذون بالأقوال الرسمية العراقية وإن ادعت أن قتلى الحرب لايتجاوزون الألف !! .

الهروب الجماعي من الجيش العراقي

وقد يكون العدد الكبير الذي تناولته التقديرات الأولية ناتجا عن الهروب الجماعي للجيش العراقي وهذا هو العذر الذي تمسكت به وزارة الدفاع الأميركية وعدم إفصاحها بالأرقام الدقيقة كما صرح بذلك السيد بوب هول المتحدث الرسمي باسم وزارة الدفاع ، والهروب العسكري قد تم نحو إيران والمملكة العربية السعودية ، والأهوار والقرى العراقية .

إعادة البناء العسكري العراقي

القوة العسكرية الكويتية نهبت من مخازنها وثكناتها من قبل الجيش العراقي ، لتبدأ الكويت بعد ذلك من نقطة الصفر في بنائها العسكري .

وبالنسبة إلى القوة العسكرية العراقية فان بناءها مستمر منذ انتهاء الحرب مباشرة ، وتقول مصادر دفاعية غربية إن القوة العراقية هي الآن في وضع أفضل بكثير مما كانت المعلومات المتوفرة تشير إليه في الماضي ، وتصل بعض التقديرات الدولية الجديدة إلى القول إن العراق تمكن من إعادة قواته المسلحة إلى حوالي ٨٠٪ من المستوى الكمي والنوعي الذي كانت عليه قبل حرب الخليج ، وهو الأمر الذي أخذ الآن يثير قدرا لايستهان به من التساؤل والقلق حول فاعلية العقوبات الدولية المفروضة منذ أن وضعت الحرب أوزارها .

إعادة بناء الترسانة

ذكر الخبير الاستراتيجي للشؤون العسكرية بهيئة الإذاعة البريطانية (نيكلوس تشايلز) أن العراق نجح في إعادة بناء جزء كبير من ترسانته العسكرية بل إن بعض هذه التقارير يذهب إلى القول إن القوة العسكرية تشكل قوتها السابقة وبنسبة ٨٠٪ وطرح الخبير هذا السؤال في برنامج «عالم الدفاع والأمن» من إذاعة لندن في ٢٢/ ٩/ ١٩٩٣ ، هل التقديرات في شأن الخسائر العراقية في الحرب كانت صورة من المبالغات أم أن الجيش العراقي تمكن من تجاوز الدمار الشامل؟ وقال «ونعتقد أن الأمر مزيج من العاملين ، فمن جهة هناك اتفاق الآن على إعادة النظر بالكثير من المعلومات والتقديرات حول خسائر الجيش العراقي والتي كانت الإحصاءات الغربية مغالية في تقديراتها» .

وقال تشايلز : إن العراقيين تمكنوا خلال الأعوام الماضية من الالتفاف على جوانب معينة من العقوبات الدولية ونجحوا بالتالي في إعادة بناء وتنظيم أجزاء لايستهان بها من قوتهم العسكرية السابقة .

وعقب الخبير : إن هذا النظام وعلى رأسه صدام حسين سيشكل خطرا قادما على المنطقة متى ماأحس أنه قد استعاد قوته الضاربة . كما أنه من الضروري القول : إن هذه

المعلومات تعكس محدوديات القوة العسكرية وكذلك المحدوديات التي تميز أنظمة المقاطعة الدولية من اقتصادية وعسكرية ، ولكن في المقابل لابد من القول إن الوسيلة المثلى للتعامل مع وضع كهذا أن تظل المراقبة الدولية التابعة للأمم المتحدة محافظة على اليقظة وأن تشدد من مراقبتها والعمل على الحيلولة دون حصول بغداد من جديد على أنواع الأسلحة الهجومية التي تشكل خطرا على المنطقة وخاصة جيران العراق . والثابت أن الظروف لم تحن بعد لرفع العقوبات عن العراق وهذا الوضع مرشح ليبقى فترة أطول من الزمن ، وعلى الكويت أن تؤمن على سلامتها بالمعاهدات الخارجية والحماية الدولية ، وإلا فإن مقولة الجنرال باول في كتاب «القادة» ماثلة إلى الأبد وهو إن العراق بإمكانه أن يحتل الكويت بشرطته المدنية ودون الأسلحة الهجومية والصواريخ !! .

***

كيف أفلتوا من العقاب؟

عندما تداعت ألمانيا نحو الانكسار في الحرب العالمية الثانية ، سلمت أمرها للمنتصرين ورضخت لشروطهم العسكرية ، بأن تبقى لهم قواعد عسكرية في أراضيها ، والأساطيل الحربية في مياهها ، والطائرات في سمائها وتوسلت بشرط واحد ألاتبقى لمحطات الإرسال الاذاعية باقية ، لأن الإذاعة هي السلاح الأمضي والأخطر فإن سكتت النيران وارتفع اللهيب الإعلامي فالخطر يبقى ماثلا أشد ضراوة يعيث بين الناس فسادا وفتنة ودمارا .

تذكرت هذه الخطورة وأنا هنا أعايش الاحتلال صامدا مع الصامدين .

عندما صحونا من هول المفاجأة وأدركنا أنها الحقيقة المرة التي مامن قبولها بد ، حقيقة فرضت علينا ، بأسباب عديدة ، الغدر والظلم والحسد ، وأسباب أخرى تحملنا وزرها سواء بالإهمال وعدم تجنب الخطر ، أم بعدم الإصغاء للمحذرين والاندفاع نحو الإعلام المخادع ، وكيف ملنا كل الميل نحو المنحدر الخطير .

هناك الكثير ممن أفلتوا من الحساب العسير وكان لابدلهم من الحساب والعقاب بجانب الثواب والجزاء ، شاهدنا ونحن تحت الاحتلال صنوفا من الظلم : إخوة تاجروا مع الغزاة ، وأشقاء حملوا السلاح علينا معهم ، وآخرين هموا بتعرية الأسرار العائلية ، والكشف عن المقاومة ومكامن الخطر المحدقة بالعدو ، كل هؤلاء كانوا أهون علينا من الذين سلموا أسرار أجهزة الإعلام للغزاة وفتحوا المغاليق الفنية لتكون لهم إذاعات ثابتة ومتنقلة ، وتكون لهم استوديوهات للبث في الإذاعة والتلفزيون . فوطّن المرابطون نفوسهم على تحمل الإهانات والضرب والتقتيل ، فكان البطش وسلاح القتل يتربص بنا في كل منعطف ، في كل طرقة باب وكل رنين من أجراس الأبواب والتلفونات وكل طلقة من الطلقات الرخيصة الطائشة والعابثة .

أنظمة الكابليهات الإذاعية في الارسال مختلفة عن التي في العراق ، والأجهزة تختلف ونظام الإرسال التلفزيوني عندهم «سيكام» لذا فكان الإرسال الضعيف الهزيل في اليومين الأولين وباللونين الأسود والأبيض ، ولكن همة الأشقاء سارعت في تهيئة الإرسال الإذاعي وإعداد الاستوديوهات ، واستوديوهات التسجيل والبث التلفزيوني «بال» الواضح حتى دخل الإعلاميون والاذاعيون علينا في بيوتنا بفضل الأشقاء . هؤلاء خطرهم كان أشد ضراوة من خطر الذين حملوا علينا السلاح . وأشد من القتلة ، وأكثر خطورة من اللصوص الذين كانوا ينهبون آناء الليل والنهار .

هؤلاء كيف أفلتوا من العقاب . إن خطرهم كان أشد من الذين عملوا في الوزارات الأخرى وأشد من الذين عملوا في جريدة النداء . فإن حكم على بعضهم بالإعدام فالحكم على هؤلاء بالإعدام قليل .هؤلاء الذين حطموا نفوس الناس ، وكلما ارتفعت المعنويات هدوها بصور الطغاة على مدار الساعة وحركات وخطب ومناورات صدام ، والذين كانوا يلوون أشداقهم من المذيعين ، بالإضافة إلى التزيي بالألبسة المحلية . وبطرق تمثيلية حقيرة والتعليقات والشتائم التي تنصب على حكامنا وأهلينا ، وسرد السير الخاصة والتجريح والإهانات البالغة كل ذلك كان أشد من كل المظالم . وكل ذلك بفضل جهد الأشقاء الذين ضربت عليهم ستارة معتمة لكي يخرجوا دون عقاب ، من الذي تستر عليهم؟ !! طبعا أتوقع بل أجزم انه ليس من أحد يستطيع الرد كيف تسرب هؤلاء تحت جنح الظلام بل تحت ضوء الشمس وداوموا ومنهم من أنجزت خدماته ومنهم من لازال ينجز أوراقه ومنهم من ينتظر ، ولكنه دون حساب أما آن ذلك الحين لكي يحاسب ذوو الخيانات الكبرى؟؟ .وأحب أن أنوه أن المتعاملين كانوا أكثر من جنسية مع الأسف الشديد .

وتبقى الأيادي البيضاء التي لم تمتد إلى الغزاة حتى رحلوا ، وبقي أصحابها عاكفين بمنازلهم ، لقد وصلت إليهم أيادي الوفاء لترد لهم الجميل من رغيف الخبز إلى

الترحيب بهم لكي يعودوا إلى أعمالهم مكرمين معززين ، ولو شرف الآخرون بشرفهم ولازموا منازلهم حتى تنتهي العاصفة ، لما كان ذلك البعد الإعلامي للعدو في بلادنا ، وما حاق الخطر بالآخرين ولنا من قوله تعالى مثل عال :﴿**ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله**﴾ . فاطر :٤٣ صدق الله العظيم .

***

رؤية روسية للشرق بعد حرب الخليج

«فيتالي نعومكين» مستشار مجلس السوفيات الأعلى السابق ونائب مدير معهد الدراسات الشرقية بأكاديمية العلوم الروسية ، طرح رؤياه حول مستقبل الشرق الأوسط بعد حرب الخليج ، وذلك في كتاب « ماذا بعد عاصفة الخليج ـ مركز الأهرام للنشر ـ ١٩٩٢ » بعد إن استعرض تاريخ الانفتاح الروسي للشرق الآسيوي والأفريقي في الخمسينات ، وبعد ان وثق ارتباطه الدبلوماسي في الستينات مع الدول العربية .

وازدهرت هذه العلاقات في أثناء الحرب الباردة مع الكتلة الغربية ، ثم يدخل بعد ذلك في موضوع الحدث الكبير حيث يقول : في الخمسينات تمت البراءة من الستالينية ، وفي عقد الثمانينات تمت البراءة من خلفائه ، واشتعلت الثورة ضد الاشتراكية الزائفة بعد أن برهن النظام الشيوعي على عجزه عن تحقيق الأفكار المعلنة بشأن العدالة الاجتماعية والمساواة ، وقد نزع الاتحاد السوفياتي الطابع الأيدولوجي من علاقاته الخارجية ، وانتهت المواجهة الكبرى بين الدولتين العظميين ، مما كان له أثر هائل في المجتمع الدولي ، بما في ذلك الدول العربية .

ويقول : وبعد حرب الخليج تحول الميزان الأقليمي للشرق الأوسط إلى صالح الدول غير العربية ، وهي إسرائيل وإيران وتركيا ، وإيران هي الدولة الوحيدة في الخليج التي تعتمد على نفسها عسكريا ، وليس لإسرائيل الآن ند عسكري عربي ، وولد حلف جديد في أثناء حرب الخليج بين مصر وسوريا والمملكة العربية السعودية ، وظهرت الولايات المتحدة بدور قيادي في الجهود العسكرية .

ويضيف : أما دول الخليج العربي التي ماكانت تستطيع الدفاع عن نفسها من العدوان فيلوح أنها تربط أمنها في المستقبل بدور دائم مع الولايات المتحدة من خلال اتفاقات ثنائية ، ولاتكاد تكون هناك أية آلية أخرى منظورة تستطيع أن توفر لها ضمانات أمنها .

وفي أعقاب الحرب حاولت دول مجلس التعاون الخليجي في بادئ الأمر ، الاضطلاع بالدور الرئيسي في توفير الأمن لهذه المنطقة مع دولتين عربيتين هما مصر وسوريا ، ولكن الدول الخليجية لم تلبث في نظر كثير من المراقبين أن أخفقت عمليا في الابقاء على هذا الحلف الجديد ، واستدارت دول مجلس التعاون الخليجي إلى الغرب مرة أخرى لبناء نظام جديد للأمن على أساس اتفاقيات ثنائية .

وبعد ذلك يتحدث عن تسابق دول الشرق الأوسط ـ وخاصة الواقعة على الخليج ـ في شراء السلاح ، والاطمئنان للجانب الأميركي وقوات التحالف بعد الدور الفعال في تصفية المرافق العسكرية النووية والكيماوية العراقية وتوفير مزيد من فرص الاستقرار في المنطقة .

أما من الناحية السلبية فهناك استمرار للأسباب نفسها التي هيأت للعدوان العراقي الجو الملائم مثل انعدام الديموقراطية وإساءة استخدام ثروة النفط . وهناك طائفة كبيرة من الأعمال التي لم تنجز حسب تعبير دوغلاس هيرد : «بل لدينا طائفة كبيرة من الأعمال التي لايسعنا أن نعمل شيئا إزاءها»[(١)] .

المتطرفون والتهديدات

ويواجه الأمن الدولي تهديدات خطيرة في تصاعد النزعة القومية المتطرفة والاصولية الدينية ليس في الشرق الأوسط بل في بقاع مختلفة من العالم ، ويبقى عنصر الاستقرار المرتبط بالديموقراطية ، وتوفير التنمية الاقتصادية للمنطقة . ويقول في هذا المجال : «مع أنه من الصواب أن يقال إن الأخذ بالديموقراطية ولو في بعض المناطق يغذي الصراعات المرتبطة بالدعوة القومية عوضا عن أن يلطفها ، فإنه من الأنسب ان يقال إن الأخذ بالديموقراطية يخلق إمكانات عمل أكبر بالنسبة لكل القوى

---

(١) هذه وجهات نظر وردت في كتابات «ديفيد هيرس» وهي ليست تعبيرا عن واقع التوجيهات لدول مجلس التعاون الخليجي بدليل أن دول إعلان دمشق تواصل اجتماعاتها وتتبنى سياسات أمنية واقتصادية تؤكد فعالية ارتباط دول الإعلان بالأسس والمبادئ التي تضمنها الإعلان .

السياسية ، ومن الحق ايضا أن نهوض الدعوة القومية في كثير من هذه الحالات لايرجع إلى الأخذ بالديموقراطية بل إلى انهيار الهياكل القديمة الموروثة التي تعرضت للقمع سنوات طوال» ويعد ذلك يشير إلى أهمية اقتران الديموقراطية بالتنمية الاقتصادية وحسن المعيشة وليست الديموقراطية نقاشا وجدالا ومطارحة للآراء .

ويشير إلى ذلك بعبارة أخرى قائلا : «وكما يمكن أن نرتئي ، فإن توفير السلام والأمن في الشرق الأوسط يحتاج إلى مشاركة ليست في الآليات السياسية والعسكرية وحسب بل في الآليات الاقتصادية والإنسانية والثقافية» وبعد ذلك يتناول بإسهاب مشكلات عدة قائمة تحول دون توفير الأمن والسلام ، فبجانب الصراع بين العرب واسرائيل ، وهو صراع له أبعاد كثيرة هناك منازعات حول الأراضي الحدودية التي غرسها الاستعمار ، ومشكلة موارد المياه ومنافسات الحكام ، وفوارق مستويات التنمية وتفاوت توزيع الثروة ، وغياب الديموقراطية ، وتفاقم أوضاع البيئة ، ومشكلات تجارة المخدرات والإرهاب ، أما بخصوص الدور الجديد للاتحاد السوفياتي فيرى أنه من الأفضل الآن بعد التغيير ، هو أن يقوم هذا الاتحاد باعتباره قوة جديدة لحفظ السلام في الشرق الأوسط على الرغم من التغييرات العميقة في السياسة السوفياتية ، فقد قبل الاتحاد بعرض عناصر جديدة في خطة السلام وتقييد دور الأمم المتحدة أو إمكانية عقد اتفاقات انتقالية .

ومن العناصر الجديدة للسياسة السوفياتية بشأن الشرق الأوسط تطبيع العلاقات مع إسرائيل ، وكما قال «غورباتشوف» في مؤتمر الشرق الأوسط : «إن عدم وجود علاقات مع إسرائيل قد أصبح أمرا لا معنى له» بعد أن خطت كبرى الدول العربية نحو توثيق علاقتها الدبلوماسية مع إسرائيل واحتضانها بعد عداء شديد ، وأن منطقة الشرق الأوسط كما قلنا في مؤتمر الشرق الأوسط «إن هذه المنطقة قد انبثقت منها ينابيع كثيرة لحضارة العالم وثقافته لآلاف السنين ، وتتلاقى فيها المصالح الحيوية للمجتمع الدولي اليوم» .

***

رياء الوفاق السياسي

حبال النظام العراقي أخذت تتقطع ، حتى مع الدول التي ساندته في اعتدائه على الكويت ووقفت معه بإعلامها الرسمي والشعبي وسخرت رجال الدين في المساجد والجمعيات الدينية .

كانت وقفة الأردن هي وقفة الشريف المنتظر الذي أوهم بمد سلطانه على غرب شبه الجزيرة العربية حيث الحجاز ، بعد أن يهيمن صدام بأحلامه على شرقي شبه الجزيرة وخيراتها ، ومذلا شعوبها ، هذه الأحلام تبددت وأدركت الدول التي ساندت النظام المعتدي أن جولة الخداع قد تبددت ، وعرف من عرف أن الوقوف ضد الكويت كان جحودا وغدرا .

آخر حبال الود المتقطعة كانت بين الأردن والعراق ، هو إسقاط الدينار من فئة الخمسة والعشرين ، هو إسقاط سياسي جند له النظام العراقي قطع الإمدادات النفطية وغلق الحدود وانتشار الجنود والضباط على طول الحدود المشتركة .

ويقول الأردن إن خسائره بلغت أربعة مليارات دولار ، وأرباح العراق بالمقابل هي مئات المليارات ، وجرت العادة أن تعطي الدول مهلة لكي تصرف العملة قبل إلغائها كإنذار موقوت للخارج والداخل .

وأفادت الأنباء الأردنية أن آلاف المواطنين قد تكبدوا خسائر فادحة نتيجة لقرار العراق سحب الورقة المالية ، واحتشد الناس في الأردن عند المصارف ، ولكن تجار العملة أوقفوا شراء هذه العملة لسقوطها ، وانتهاء صلاحيتها المالية ، وأغلق العراق حدوده ونفذ القطيعة عسكريا على الحدود ، ليمنع حتى المسافرين من اجتياز الحدود بين البلدين الحليفين اللذين أشعلا أوار الغزو والحرب .

ويبدو أن الأردن هو الخاسر الأكبر في هذه الصفقة ، بالإضافة إلى الدول الأخرى في المنطقة .

وقالت صحيفة الفايننشال البريطانية في ٦/ ٥/ ١٩٩٣ معلقة : إن مسؤولي الأمم المتحدة والدبلوماسيين الاجانب يتكهنون في أوساطهم الخاصة بعدم الاستقرار في العراق ما لم ينتعش الاقتصاد قريبا .

وعلقت الصحيفة قائلة إن عمل بغداد هذا أغضب الكثيرين من الأردنيين الذين أيدوا العراق في غزو الكويت .

وقالت الغارديان البريطانية : «إن العراق في منع العملة وإغلاق الحدود لعدة أيام هو العمل الأخير في سلسلة الذرائع بغية وقف التدهور الحاد في اقتصاد العراق الذي فعلت فيه العقوبات فعلها» . وتقول الصحيفة أيضا : «إن الهبوط الشديد في قيمة العملة الوطنية لن يؤدي إلا إلى زيادة مشقة الشعب العراقي وتذمره ، وتضيف قائلة «إن ذلك يثير أيضا الأسئلة عن قدرة الرئيس صدام على المضي في إيجاد السبل لاستيراد الأغذية وتوزيعها على السواد الأعظم من السكان على أساس من الحصص المعينة والمعونات المالية الحكومية» .

وأثارت هذه الخطوة المفاجئة موجة استياء شديد في الأوساط الأردنية حيث استثمر أردنيون كثيرون أموالهم بالدينار العراقي على أمل ارتفاعه بعد رفع الحصار الاقتصادي .

وكذلك التجار الذين تعاملوا مع العراق مقابل صادراتهم إلى العراق ،وحاولت الجهات الرسمية تطويق هذه الأزمة ولكي يقوم البنك المركزي الأردني بصرف الدينار ، بعد اتفاق بين الدولتين ، لكن العراق لم يجب ولم يستجب لمطالب الأردن ، وقالت مصادر سياسية أخرى إنها لا تستبعد أن يكون لهذا القرار بعد سياسي إلى جانب البعد الاقتصادي ، وهو أن وقف الإمدادات النفطية يشكل ضغوطا سياسية جاءت بعد تصريحات الملك حسين بضرورة تنحي صدام حسين عن الحكم .

فهل ستواجه العراق حصارا دبلوماسيا شبيها بذلك الحصار السياسي الذي خنق العراق أيام عبدالكريم قاسم عندما قاطعها كل مؤيد للكويت حتى تقطعت بالعراق كل الحبال القائمة مع الأمم الأخرى . حتى سقط عبدالكريم قاسم إثر هذا الحصار الدولي .

وكذلك سوف يؤدي هذا الحصار الدولي إلى انهيار صدام من الداخل ، بعد أن ضيق سقوط الدينار الملغي الخناق على صدام في الداخل والخارج .

ولكي تكتمل الأزمة وتتعاظم قام الملك حسين باستقبال رموز المعارضة العراقية ، كما قامت مظاهرات في الأردن . كما أوردت جريدة الشرق الأوسط بتاريخ الجمعة ٧/ ٥/ ١٩٩٣ ضد إجراء الدينار وضد الحكومة العراقية . . وهي مثل تلك المظاهرات التي أقاموها بالأمس تأييدا لصدام في الساعات الأولى للغزو الغادر ،وشددت حراسة الجيش على الحدود لكي لا يعبر الدينار ويجتاز الحدود المشتركة .

وقالت جريدة الرياض السعودية في ٧/ ٥/ ١٩٩٣ حول هذا الموضوع : إذا كان الاقتصاد هو المعيار الحضاري لتقدم أي بلد أو سقوطه ، فإن العراق يعيش الآن حالة انهيار شامل ليس لأنه يقع ضمن حزام الفقر العمالي ولكن الفقر المنطقي حيث يفتقد القدرة على معرفة كيف يتم رسم العلاقات بين الدول ، وكيف يحارب ويسالم ضمن منطق اللعبة القائمة التي قد تكون أسلحتها تحليل المعلومات وقياس الاتجاهات السياسية العالمية ، ومن أي طريق تهب الرياح الممطرة والمفيدة من صدام .

ألغيت عدة فئات من دنانير العراق وأغلقت الحدود لاحتواء أي مبلغ يتسرب من الخارج ، وجاءت ردود الفعل حادة خاصة من تلك الدول التي لاتزال تتعامل مع النظام العراقي إذ وجدت الأوراق المالية دون فائدة ، وربما حدث ذلك في داخل العراق لتتصاعد أعداد الفقراء الذين جردوا من آخر أسلحة معيشتهم التي يتعاملون بها مع نظامهم . وقالت جريدة الرياض : إن بقية الثقة مع نظام صدام قد انتهت إذ أصبحت العلاقة مع أي دولة في حالة التعامل إما بالنقد الأجنبي أو بالمقايضة العينية .

***

شهداء الكويت

احتضنت تربة الكويت أجسادا طاهرة ، وامتزج ثراها بدمائهم الزكية لتخرج منها نبتة كريمة ستبقى خالدة شامخة في تاريخ البلاد . وهؤلاء فخر لكل من على هذه الأرض ، من مواطنين ومقيمين لأنهم أبناؤها البررة .

هؤلاء كويتيون وفلسطينيون ومصريون وآخرون من فئة بدون وربما من جنسيات أخرى ، هم بلاشك أبناؤنا عاشوا في كنفنا وعز عليهم أن تنتهك البلاد التي ولدوا عليها ونشأوا فوقها بين إخوة لهم واحتضنتهم هذه البلاد الآمنة ، ووفرت لهم الأمن والرخاء ووهبت لهم حرية الإنسان وكرامته ، فكانوا من أهلنا وإخوة لنا ، إن ذهب أحدهم في إجازة لذويه في الخارج أحس بالغربة فقفل راجعا .

وشبابهم لا يفترقون عن شبابنا حتى في الألعاب تجدهم يعايشون الفريق الوطني إن تغلب على غيره فرحوا وإن هزم حزنوا لهزيمته هؤلاء اندفع منهم الكثير فانضموا للمقاومة الكويتية وتساقط منهم الشهداء على هذه الأرض التي ولدوا فوقها ونشأوا عليها منذ الصغر ،فأحبوها وعبروا عن حبهم في مواقفهم البطولية ، هؤلاء من فلسطينيين ومصريين وبدون جنسية كما يطلق عليهم ، ذهب منهم الكثير شهداء أبرارا ، عايشوا المحنة بأهوالها ، ومنهم من آوى بعض الأفراد العسكريين والمرضى وتولى رعاية بعض الأسر ،هؤلاء غير الذين دفع بهم صدام من العراق وغير الجماعة التي أساءت ، إنهم حقا شهداء الكويت ،بل أبناؤها الشهداء ويجب أن ينصف ذووهم وأن تمتد لهم يد الجميل والوفاء ، وأن تقال فيهم كلمات الشكر والامتنان وأن يلتفت لأهلهم حتى ولو كانوا خارج الكويت .

نحن التفتنا للبعداء ونالت مكرمات الكويت القاصي والداني ، والأهم من المال والمادة هو العرفان بجميلهم وترديد أسمائهم مع الشهداء الأبرار ، حتى الآن ذهبت

أعمالهم البطولية خلف الأضواء الإعلامية والآن بعد أن ذهبت السكرة وجاءت الفكرة أطلب أن توجه الأنظار إلى شهداء الكويت من غير الكويتيين والذين حملوا الوطن على أكفهم وعمرت قلوبهم بحب الكويت فكانوا من المقاومة والشهداء ومن لم يأت منهم بضر ولا جريرة تجاه الكويت .

يجب ألا تسدل عليهم ستارة النسيان ، هؤلاء أحب لنا من كثير من أهلينا ، وكذلك منهم من قام بالخدمات مع المتطوعين ومنهم من أغلق عليه باب داره منتظرا رحمة الله ، ومنهم من قدم الخدمات في المستشفيات والكهرباء والماء والخدمات التليفونية وقاموا بأعمال إنسانية لسهولة تحركهم بين الغزاة عندما كانت القيود حول الكويتيين وكانت أعين الغزاة تلاحقهم .

نحن شعب لا ننكر جميلا قط والمعروف في طبعنا . ويملكنا من يقدم لنا خدمة ومعروفا فكيف إذا كان ذلك فوق كل صنائع المعروف والجميل ويرقى إلى درجات التضحية بالنفس . إلى هؤلاء الشهداء الرحمة والكلمة الطيبة وإلى أهلهم وذويهم ولهم كل تقدير واحترام وامتنان ، وعلينا أن نتذكر قول الله عز وجل :﴿ولا تزر وازرة وزر اخرى﴾ .الأنعام : ١٦٤ صدق الله العظيم .

***

الشيخ عبد الله السالم وتهديد قاسم :

في غمرة الفرحة الكبرى باستقلال الكويت ، وفي ذروة الابتهاج بالنقلة من نطاق الإمارة التقليدي إلى آفاق الدولة المستقلة ، ورحاب الخدمات الاجتماعية العصرية بقيادة الوالد الحنون الشيخ عبدالله السالم الصباح ، فاجأ العالم الرئيس العراقي عبدالكريم قاسم بحشده لاغتصاب الكويت ، بعد أن خسر كل أوراقه السياسية وبات معزولا عن الأمم والشعوب هو وجماعة نظامه ، بعد أن عاثوا في البلاد قتلا وتنكيلا وسحلا وتهريجا بمحكمة المهداوي ،ومزقوا الصورة الحسنة للتقارب العربي فغرسوا الحقد والنفور في النفوس لتباعد الأشقاء ، ومن غرسهم هذا بدأ الانفصال في الوحدة المصرية السورية ، وكان أسلوب الاغتصاب بالإرهاب العسكري مرفوضا ، ومشوها لصورة التقارب الوحدوي حتى أن الرئيس عبدالناصر حامل لواء الوحدة العربية كان أول المستنكرين والرافضين لتهديد عبد الكريم قاسم ، ولما لم يتوافر حل عربي سريع لإنقاذ هذه الدولة الصغيرة من الإرهاب العسكري ، تلفت الشيخ عبد الله السالم فلم يجد له معينا في الساحة العربية قادرا على صد الغزاة ، وغياب الرأي والحكمة عن عبدالكريم قاسم وأعوانه وانعدام إمكانية فتح حوار مجد معه ، فالتفت إلى بريطانيا بصفتها الدولة القوية التي سبق أن ارتبطت معها بلاده باتفاقيات سابقة لحماية الكويت من الاعتداءات الخارجية ، وأرادت هذه الدولة العظمى ان تتحرك بالطرق التقليدية في المكاتبات والحوار السياسي الذي قد يطول فرأى الشيخ عبدالله بحنكته ورؤيته الثاقبة أن الأمر لا يحتمل التأخير بالمكاتبات والاجتماعات فطلب سرعة التدخل ، كما جاء في الوثائق البريطانية التي سمح بنشرها وتناولتها بعض صحفنا والتي أشرف على إعدادها السير أنتوني ناتنج ، وزير الدولة للشؤون الخارجية البريطاني السابق ،ومما جاء فيها : إن إدوارد هيث قد حث حكومة ماكميلان على اتخاذ جميع الإجراءات المنطقية

لحماية المصالح النفطية البريطانية في الكويت ،ووقف تحرك الجيش العراقي قبل أن يأمر «الزعيم» بتحركه ـ وجاء في الوثائق أيضا أن بريطانيا خشيت أن يتخذ الصدام بعدا أوسع دون دعم أميركي أو أوربي مما دفع اللورد هيوم وزير الخارجية السابق إلى إرسال رسالة عاجلة إلى وزير الخارجية الأميركي دين راسك يحذر فيها من التهاون في الأزمة المثارة على حدود الكويت واصفا عبد الكريم قاسم بأنه رجل مجنون لا يؤمن جانبه .

وهكذا ضيع الشيخ عبد الله الفرصة أمام الزعيم ، المعتوه قاسم . حتى إن صدام حسين قالها في أحد استشهاداته إن القوة العسكرية البريطانية قد سبقت تحرك قاسم .

وبعد أن وفر الشيخ عبدالله السالم الحماية الآمنة للبلاد استجاب لرغبة عربية إعلامية في ضرورة تحرك عربي يحل محل القوة الانجليزية فاستجاب الرجل الكبير إلى هذه الرغبة فجاءت قوة عربية رمزية ، قررتها الجامعة العربية بإجماع عربي ، وعند وصولها غادرت القوات البريطانية ، وبقيت القوة العربية إلى أن زال خطر التهديد العسكري .

هذه هي الأزمة وكيف تصدى لها حاكم الكويت بسرعة فأنقذ البلاد ، بمجرد أن هبت ريح الشمال بسمها الحاقد ، الذي أراد أن يحرق الإرادة الشعبية ويمزق وحدة هذا الشعب ، وينزع استقلاله ولكن إرادة الله كانت فوق كل المكايد ، وبعد ثلاثة عقود عاد صدام حسين بمغامرته والانقضاض على الكويت الآمنة بجيش جرار ، فصحت الكويت من نومها لتجد نفسها أمام الغدر والظلم ، وأمام مواجهة غير متكافئة لا في العدد ولا في العُدد ـ بضم العين ـ وأمام ادعاءات كاذبة ، خلت من الذكاء وما فات من الأيام إلا قليلها حتى تبين للدول الصديقة أنها أمام عرض تمثيلي رخيص فتصدت الأقلام العربية المخلصة في مصر بمختلف الصحف حتى التي كان لها خط المعارضة الداخلية . ووسائل إعلامها المذاعة والمرئية كما قامت المملكة العربية السعودية بتسخير

كل أجـهزة إعـلامها للكويت حتى قامت بالواجب وأكثر . وكـأن الكويت جزء من أرضها .

وزيادة على ذلك ربطت إذاعـاتهـا بالآراء الأخـرى المتـواجـدة في الوطن العـربي واتصلت بالمفكرين والكتاب والمتحدثين لتكون الصـورة الحقيقية أمام الرأي العام العالمي ليتبدد الظلم ويندحر الغزاة خاسئين يجرون وراءهم أذيال الخزي والعار .

ولحقت بهم الذلة والمسكنة ، هذه هي الحقيقـة التي حاولوا اغـتيالهـا بالإعلام الكاذب والسلاح الغادر وشاء الله أن يظهر الحق ويزهق الباطل .

***

رؤية إعلامية في خطاب عسكري

تابع أهل الكويت اللقاء الذي بثه تلفزيون الكويت مع اللواء المتقاعد حسام الدين سويلم ،ولقد أعاد لنا اللواء سويلم ذكرى أحاديثه القيمة أثناء الغزو والتي كانت تنزل على قلوبنا بردا وسلاما ، وتشفي غليل صدورنا التي أحرها الغزاة المعتدون ، وكانت رؤيته السياسية رؤية خبير محيط بالأحداث العالمية والإقليمية وتبين لنا انه قارئ جيد يعي أمور المنطقة ومشكلاتها وخاصة تلك الأمور التي تخص الكويت بعد محنتها وجيد منه ذلك الاقتراح في اللقاء التلفزيوني بأن يكون الشعب الكويتي في الصورة لكي لا يركن إلى الاطمئنان ويعتقد أن الخطر قد زال . وقال إن صدام قد يكرر الغزو مرة أخرى أو أكثر . دون أن يشرح وهو العسكري القدير هذه الإمكانية بعد المتغيرات التي حدثت بعد التحرير وكيف سيكون دور الحماية الدولية والاتفاقات الأمنية والمعاهدات العسكرية والحدود التي وافقت عليها هيئة الأمم وقد حدد قرار مجلس الأمن رقم ٦٨٧ لعام ١٩٩١ الحدود وتثبيت ما كان قائما والذي تم الاتفاق عليه بين حكومتي العراق والكويت .

وحديث اللواء يتباعد عن هذه الثوابت الدولية وقرارات العقوبات ، وهذا ليس بجديد فلازالت دول المحور التي أضرمت نار الحرب العالمية تواجه ضغوطا ، وتدفع التعويضات للمعتدى عليهم ، واشترط عليها ألا تتوغل في الصناعات الحربية خاصة اليابان وألمانيا رغم مرور نصف قرن على ذلك ، والآن كيف تنهض العراق لتعيد عدة الاعتداء وقد سلمت أمرها وقبلت بلجان التفتيش الدولية وبصورة منتظمة يتم التفتيش على الأسلحة وتدميرها ، ويجتمع مجلس الأمن كل شهرين لدراسة القرارات ، للتأكد من مدى التزام العراق بالشروط للنظر في إمكانية تطبيق العراق للمطالب الدولية وامتثاله ، والاعتراف باستقلال دولة الكويت وحرمة الحدود الكويتية

وعودة الأسرى والمرتهنين وقضية التعويضات . كما أشار وزير الإعلام الكويتي الشيخ سعـود ناصر الصباح في الآونة الأخيرة . ونظام العقوبات قرار دولي متمثل في القرارين ٦٨٧ ، ٧١٥ .

ولم يتغير أي شيء بعد ، وحاولت بعض الدول التي لها ارتباطات مالية وعقود عمل سابقة أن تخفف من صيغة القرار ولكن الاجماع الدولي رفض ذلك .

واللواء حسام الدين سويلم يتحدث وكأن النظام العراقي لايزال في أوج قوته العسكرية وقال إن على صدام في المرة القادمة أن يلقي كل ما يملك من أسلحة الدمار على قوى التحالف الدولي ويحرقها ولا ينتظر لكي تجمع قواها .

ومن الذي سوف يحترق؟ الدول العربية ، السعودية والقوات المصرية والشعب الخليجي والدول الحليفة ! ! .

ويعود فيقول إن صدام أخطأ في إرجاء الهجوم إلى تلك الأشهر الطويلة ولو سارع في ذلك لكان أقوى له . وقال في المرة القادمة عليه أن يلقي بحممه في أول الأمر ولا ينتظر .

وتلفزيون الكويت أذاع المقابلة بحذافيرها كما كان طول عمره يفعل ، لا أحد يراجع ولا أحد له رأي سياسي وما يمكن أن يستفيد منه العدو .

إن من يشاهد المقابلة ويحللها يجد فيها ارشادات ونصائح لصدام حسين ونظامه لكي يتجنب بها أخطاء الماضي ويحرق الكويت ويجعلها قاعا صفصفا ويحرق المنطقة بكاملها . وكان على التلفزيون أن يعرض المقابلة على أصحاب الشأن .

وقد تفاعل المذيع مع هذا التصعيد فعلق قائلا «علي وعلي أعدائي» . واعتدل في جلسته وكأنه أضاف معلومة خطيرة لضيف البرنامج ، وهكذا فاجأنا اللواء بهذا التصريح .

لو كنت مسؤولا في التلفزيون لقطعت أكثر من نصف هذه المقابلة لخطورتها لأنها قد تفسر على أنها رسالة موجهة إلى صدام وجيوشه تبين أخطاءهم التي منعت من حرق قوى التحالف الدولية بما فيها القوات المصرية والكويتية ، وعليهم أن يعتبروا ذلك درسا ويتجنبوه ويضربوا ضربتهم في الاعتداءات القادمة التي توقع أن تكون مرة أخرى وثانية وثالثة .

هذه العقليات العسكرية يجب أن تواكب المتغيرات التي استجدت في الساحة العالمية وفي الرأي العالمي وتأثيره .ومما قاله : لو أخذ صدام أجزاء من المنطقة الشرقية كالدمام لكانت المطالبة بإخراجه من الدمام ولتم السكوت على الكويت .

استشارات سعد الدين الشاذلي

اللواء سعد الدين الشاذلي كان المخطط لصدام وكنا نسمعه من إذاعة بغداد وتلفزيونه أثناء الغزو وهو يعرض الطريقة الروسية التي مضى عليها أكثر من نصف قرن وهي الاختباء في الخنادق والجحور حتى يعجز الطيران عن قصفه وبعد ذلك يظهر المختبئون من تلك الخنادق البدائية ، وكيف ذلك والجنود العراقيون يهددهم الجوع ويضنيهم التعب بعد أن نقلوا من الحدود الإيرانية إلى الحدود الكويتية السعودية؟ ومن هم على الأرض يمدون أيديهم مع الضباط يستجدون المارة ليقتاتوا بما يجودون به عليهم ويعطونهم الوجبات الغذائية والسجائر بالإضافة إلى سرقاتهم ونهبهم المتواصل؟ ! .

استخفاف بالشعب الكويتي

لا يا سيادة اللواء . .ملاحظاتك عن صدام ونظامه لكي يتخذ الحيطة ويضرب ويحرق المنطقة ، وكما في أثرت المذيع وأيدك قائلا : «علي وعلى أعدائي» هذا استخفاف بالشعب الكويتي وعجز من الإعلام الكويتي ، وأثبت أن التلفزيون ليس فيه من يحلل مثل هذا اللقاء وخطورته .وليس لديه أي مستشار يزن الأمور الصعبة .

وفوق ذلك ، فإن المقابلة تعد «هذرة إنشائية» ليس فيها من فنون واستراتيجية العسكريين من شيء . وكلام مثل هذا لا يمكن أن يلقى على عواهنه . والمفترض في العسكري أن لا ينطلق بالكلام بل يحاذر ويعرف مدى خطورة كشف الأوراق كلها .

إن العراق الآن يؤمر بالطاعة فيستجيب ، ثم إن أسلحة الدمار هي أسلحة عالمية يمتلكها أولا الذين صنعوها في الغرب وليست في يد صدام فقط وتمتلكها دول عديدة شرقية ، وعندما تحدث وكأنه يخاطب طلبة متخرجين من المتوسطة تحمس وانطلق انطلاقة الإنسان العادي الذي لا يحاسب على كلامه وكأنه على قارعة الطريق أو في أحد المقاهي الشعبية يتكلم كما يتكلم الرجل الذي لا يصغي إليه أحد .

لا يا سيادة اللواء . ما هكذا تورد الإبل . ولا يا تلفزيون الكويت استشر القادة الكويتيين المتواجدين ، والذين سرحوا من الطيران وفصائل القوات العسكرية وغيرهم من الذين يتكلمون القليل ويحاذرون في أقوالهم . ويعرفون أرضهم وما يحيط بها .

وأستبعد أن يكون التلفزيون عمل ذلك من باب الحرية وعدم التدخل ، فهذا الكلام الذي يخدم العدو ، لو كان في التلفزيون من يرى الأمور بتعقل لمنع هذه المقابلة . وأنصح جهازنا أن يذهب إلى الجنوب لكي يرد على مقابلة طارق عزيز ويفند أكاذيبه ويرد على ادعاءاته التي وضعت بذكاء وخبث . وأن يخرج من إطاره الإقليمي ويراقب الكلمة المذاعة بحذر شديد .

إن طارق عزيز أبدى انزعاجه حتى من دعاء الأذان ،وعليه فيجب على التلفزيون أن ينقل كاميراته إلى خارج حدوده ويرد على كل طاعن يمس الكويت ، ولا يترك المقابلات تذاع بما فيها بدون مونتاج حتى ولو كان ذلك من مسؤول داخل الكويت .

إن الأضواء مازالت مسلطة على الكويت ، وعلى الكلمة المذاعة ، التي يجب أن تكون موزونة بموازين إعلامية وسياسية وعسكرية ويجب ألا تكون بهذا الارتجال وهذا التسيب .

***

اللغط الدائر حول التطبيع

أذاع راديو الرياض بتاريخ ٢٥/ ٢/ ١٩٩٣ نص برقية رفعها السكرتير العام لمنظمة حقوق الإنسان الدكتور صاحب الحكيم لخادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود تتضمن التماس الشعب العراقي في مواقع المنفى بعدم تطبيع العلاقات مع نظام بغداد . ورفع الحكيم مع البرقية مذكرة بعثها ووقعها أكثر من ١٠٠ شخصية تعيش في الخارج من مختلف قطاعات الشعب العراقي ومؤسساته وأحزابه ومستقليه وقادته المفكرين تطلب فيها عدم تطبيع العلاقات مع النظام العراقي الذي يبطش بحقوق الإنسان داخل العراق وخارجه منذ ربع قرن .

وناشد الحكيم خادم الحرمين الشريفين مساندة الشعب العراقي الذي وصفه بأنه يتعرض لأكبر محنة في تاريخه . وقالت البرقية : إن اليتامى والأرامل والمعتقلين في سجون النظام الذين يئنون من سياط الجلادين في العراق ينتظرون منكم ومن كل الأحرار في العالم المساهمة في رفع الظلم الذي يخيم على العراق ، وناشدت البرقية دول العالم وخاصة الأعضاء في مجلس الأمن أن تقوم بتوجيه اتهام لصدام حسين وأركانه وعصابته بارتكابهم جرائم حرب ، وجرائم ضد حقوق الإنسان مما لم يشهد له التاريخ مثيلا . وقالت المذكرة : إن من يسعى لتطبيع العلاقات مع صدام يتحمل مسؤولية أخلاقية وسياسية وإنسانية كبرى تجاه الشعب العراقي والشعوب الأخرى التي كانت ضحية لجرائم هذا النظام . هذه خلاصة البرقية ، ولقد وجهت لخادم الحرمين الشريفين لكونه من أبرز الشخصيات العالمية ، وكان له الدور البارز في انطلاقة التحرير من أرض المملكة ، ومعاقبة صدام ونظامه جزاء ارتكابه لجريمة العصر في احتلال الكويت وتهديد هذه المنطقة الآمنة . ولم يكن لسياسة التطبيع

مع صدام أية بادرة في المملكة العربية السعودية ولا في منطقة دول الخليج العربي . الحكيم السكرتير العام لمنظمة حقوق الإنسان في العراق رأى في شخص خادم الحرمين توجها إعلاميا مهما سيكون له الأثر الكبير على الدول الأخرى العربية وغير العربية التي يدور فيها لغط حول تطبيع العلاقات مع نظام بغداد بحجة الرأفة بالشعب العراقي .وهذا هو أبرز الرموز المعارضة ويحمل مائة توقيع لأبرز الأشخاص المعارضين يطلبون إنزال العقاب الصارم بصدام وزبانيته ونظامه من أجل مصلحة العراق وشعبه . أما اللغط الدائر والوفود المتحركة نحو نظام صدام فما هي إلا شرطة جباية المال التي تقتات على تغيير الأوضاع ، وتريد أن يكون لها نصيب في كل تحول سياسي .

عندما تجاوزت ألمانيا وطغت وعاثت في الدول المجاورة لها جاء الرأي العام الدولي ، والشرعية الدولية بعقوبات التزمت بها ألمانيا رغم سقوط طاغيتها وحلول نظام مهادن للحلفاء والشرعية الدولية ، ومازال النظام المسالم الصديق يدفع التعويضات وامتنعت عن صنع الأسلحة المدمرة استجابة للشرعية الدولية . فلا يعتقد أحد أن التطبيع إن قامت به بعض الأطراف سوف يلغي قرارات الأمم المتحدة كما أنه ليس له أي أثر على قرار مجلس الأمن رقم ٦٨٧ المتضمن شروط وقف إطلاق النار والمطالب بتدمير جميع أسلحة الدمار الشامل التي بحوزة العراق المعلنة وغير المعلنة .

ولقد جاء الحاكم الجديد في الولايات المتحدة الأميركية الرئيس كلينتون ليؤكد للكونغرس الأميركي في بداية عهده أن العقوبات المفروضة على العراق باقية .

ومع اللغط الذي يدور لتطبيع العلاقات مع النظام العراقي يأتي في الجانب الآخر الإصرار على الظلم ، فيعلن طارق عزيز عن إغلاق الملف الكويتي على الوضع الذي رآه نظامه وليس كما رأت الشرعية الدولية ، ويقوم صدام في ٢٤/ ٢/ ٩٣ بتعيين أخيه برزان مستشارا سياسيا برتبة وزير وأوعز له بأن يصرح عن الوحدات السياسية في نظره لتكون الكويت في نطاق الوحدة العراقية ، وهذا الهراء ماهو إلا ضرب من ضروب

الخيال المريض الذي لايزال يراود أحلام الطغاة في السلطة العراقية وأنه يمكن لمثل هذا النظام الغارق في دماء الجريمة حتى أذنيه أن يصل حباله مع دول الجوار وأن يكون له مقعد في مصاف الأنظمة التي تحترم نفسها ، إن نظاما فقد مصداقيته مع شعبه ومع جيرانه ومع العالم كله لحقيق أن يتوارى عن مسرح التاريخ ، ليتحرر شعب العراق ، ويبدأ رحلة النباء والتعليم وإقامة علاقات المودة والسلام .

* * *

تحرير الكويت والآراء الأخرى

«بوب ود ورد» صاحب كتاب «القادة» ، الذي كشف فيه أسرار صناعة القرار الأميركي لحرب الخليج هو الصحفي الذي فجر فضيحة «ووتر جيت» . والذي ارتقى بعد ذلك إلى منصب مساعد رئيس تحرير «واشنطن بوست» . هذا الكاتب استقطب أكثر من أربعمائة شخص تحدث معهم وخلص بآرائهم ، وهم في طليعة صانعي القرارات أو من الذين كانوا ثم انتهت مسؤوليتهم بالتقاعد وتغيير المراكز . فهم موظفون في الرئاسة الأميركية وبالبنتاغون وعسكريون ومدنيون . إنه يكتب عن الطريقة التي تقرر بها الولايات المتحدة خوض حروبها قبل إطلاق الرصاص في بنما وفي صحراء الكويت .

نقل الكاتب حديث رئيس هيئة الأركان المتقاعد الأدميرال كراو إلى خلفه «باول» وكيف احتدم النقاش بينهما حول أبعاد الحل الحربي . وكان «كراو» متحمسا لتأجيل قرار الحرب وتشجيع الحل الآخر المتمثل في المقاطعة والحصار الاقتصادي والضغط السياسي على العراق لتحرير الكويت .

ورغم تقاعد «كراو» إلا أنه جاء متحمسا ليسجل موقفا أمام لجنة الخدمات العسكرية لمجلس الشيوخ والتي يرأسها «سام نون» ليعلن موقفه الرافض للحرب .

والحرب قبل اندلاعها كانت كابوسا يجثم على صدور الأميركان حيث لازال شبح الحرب الفيتامنية ماثلا أمام الأسر التي فقدت ذويها . الأجواء الإعلامية العالمية مشحونة بشبح مخاطر الحرب . من القوة العراقية الهائلة إلى أصابع الطاغية التي تضغط على زناد النار ، إلى الأسلحة الكيميائية ، والنووية المحتملة التي كانت تؤكدها بعض المصادر . وإطالة أمد الحرب إلى سنوات . إذن الشبح لازال ماثلا أمام الأميركان

في الداخل ، ليس أمام العامة بل أمام الخاصة من العسكريين والساسة . وبوش يتحمل الموقف الخطير . ويصيح في وجه معترضيه إن بلدا صغيرا تستباح حرماته ويحرق فيه الضرع والزرع . والآخرون يريدون أن يجربوا الحلول الطويلة الأمد .لو كان صدام حقا عسكريا وليس جاهلا في الزي العسكري ، أو كان متعلما لكان الأخذ والعطاء معه مجديا ولكن الأمر كان بيد جاهل أهوج نحن نفخناه واعتقدنا بأهميته فزدناه وهما على وهم والدول العربية مجتمعة لو اتفقت على حربه ما استطاعت أمام قوته ورعونته تحرير الكويت وصده عن أطماعه ، وكيف بها وقد انقسمت في التأييد والرفض .

مَنْ من العرب كان يفكر بتجميد الأموال الكويتية العراقية .أو كان قادرا على ذلك . . هذا القرار اتخذه بوش مع مستشاريه من رجال المال والقانون بعد أن طلب حضورهم على عجل فأيقظوهم من نومهم لتدارك الموقف الخطر بأسرع وقت . صدام انقض على الكويت بدافع الطمع والنهب والسرقة ويوم الخميس هو يوم الغزو وسوف تليه عطلة المسلمين الجمعة ، ثم عطلة المال العالمي السبت والأحد . قبل ان تفتح البنوك وبيوت المال يجب أن تقفل أمام زبانية صدام . وقررت الولايات المتحدة الأميركية تجميد الودائع الكويتية والممتلكات الكويتية والعراقية لديها ولدى الفروع والمؤسسات التابعة لها في الخارج بعد أن أدانت الغزو في حينه وطالبت بانسحاب القوات العراقية فورا ودون شرط . كان قرارا حكيما وكانت أهميته تتمثل في كسب الوقت وملاحقة الزمن الحرج .أي حل عربي كان قادرا على هذا الإجراء الحازم والمواقف الحازمة هي التي تكسب الوقت وتقطع الزمن قبل أن يقطعها .

الحصار والمقاطعة والحلول السلمية كلها مطروحة منذ أول أيام الغزو وهذه هي الآن لا تغير في موقف صدام بالنسبة لشعبه . هذا هو يعيث بهم قتلا وإرهابا ، ويسومهم الجوع والخوف ولو كان الانتظار للحلول العربية والسياسية لبقيت الكويت حتى هذا اليوم محتلة بل بقيت حقلا نفطيا وبيت مال لصدام دون شعب ولزاد التنكيل

والقتل بعد أن يتم له مراحل تهجير الشعب إلى العراق ليكون في أتون نيرانه الحامية . لازال القول مطروحا لماذا لم يرتض العرب بالحل العربي؟ لم يكن هناك حل عربي بل كان قرارا صداميا وبطشا وإبادة ونهبا وسرقة .

وهنا تبدو قوة الحل الأميركي ولولاه ما كان هناك حل لانقاذ وتحرير الكويت . أما من يشير إلى المصالح والمنافع فإن حركة الكون وحياة البشر لا يمكن لها أن تدب لولا مصالح الناس . ولولا المصالح لم تجد مرشدا ولا مصلحا ينادي بالإصلاح في الناس . حتى المؤذن الذي يناديك للصلاة فإنه يسعى لكسب قوته ومصلحته الخاصة .

وارتفعت أصوات عالية في أميركا تَوّلى «بوب ود ورد» حصرها في كتابه «القادة» حاول إن يظهر قرار الحرب بأنه جاء في أضيق بؤرة اكتفت برأي بوش ومعاونيه ومستشاريه فقط دون أن تتسع أكثر فأكثر . لتشمل نطاقات أوسع في الرأي . رغم القانونية والشرعية في الرأي من مجلس الأمن إلى الكونغرس إلى أصحاب القرار . . . ولكن القاعدة الشعبية الإعلامية كانت تطرق الأبواب بعنف ، وكان الكتاب والصحفيون والمراسلون الرافضون للحل السريع وقرار الحرب . حتى إن «باول» عندما ضيق عليه «كراو» الخناق وأراد منه أن يتحرك أكثر أمام الرئيس بوش ، أجابه وهو في منصبه الرسمي :

«إن الرئيس يود ان يحتفظ بأوراقه قريبة من صدره كما تعلم . .» وفعلا كان لابد لهذه الأوراق ان تكون في مأمن لتكون لها السرية وقوة اتخاذ القرار . أما الرأي الآخر المتريث فقد ثبت عدم جدواه أمام الغازي والغزاة . وبالنسبة لرجل عسكري متقاعد يرى الصواب في رأيه دون الآخرين ويعترض على القيادة السياسية والعسكرية وموقف الرئيس . . كان الحل الذي يقف بجانبه هو «الاحتواء» لتقدم الخصم والحفاظ على الحظر الاقتصادي والضغط الدبلوماسي على صدام دون مهاجمته على أمل إجباره على الانسحاب . وحاول باول تهدئة الإدارة وتبديد حماسها للحرب . حتى

أثبتت الأيام خطأ موقف المتريثين لأن الموقف كان أشبه بالخيال والعدوان الهمجي كان كالثعبان الخطير الذي دخل على أناس نائمين آمنين ، والحل ما كان يتحمل توسيع رقعة الجدال وموازنة الآراء . حتى الرأي العام الأميركي الذي كان يتباعد في آفاق الحرية اتفق على صحة قرار الحرب وحسم الموقف الخطير بالحزم والسيف القاطع قبل أن تسري سموم الأفعى في الجسد العالمي . لذا كان التحرير حازما ، ومداريا للوقت بحكمة وحذر لانقاذ الرهينة الصغيرة من يد الوحش وسلاحه بأقل المخاطر . رغم اعتراض المعترضين وموازين الحسابات الخاطئة .

***

«بديل» عدي . . واللعبة المقبلة

البرنامج الوثائقي لبعض أفراد المعارضة العراقية الذي أذيع من التلفزيون وكان من إعداد الدكتور نجم عبد الكريم وتقديم الدكتور علي الدمخي ، وفي نهاية البرنامج شاهدنا المفاجأة وكانت مقابلة هي أشبه بالتمثيلية قام بها دَعيٌّ عدي ، أو بديل عدي ، هذا الشخص قبل راضيا أن يقوم بدور عدي داخل العراق وخارجه وأن يقوم بتصرفات عدي الأخلاقية أو الأحرى اللاأخلاقية . كان يلعب بالمال والسيارات الفاخرة ويعتدي على النساء ، في المهام الخطرة من خطف واعتداء ، وجرح الكرامات ، وإرعاب العائلات وإرهابها بعدي ، هذا الشخص يأتي في مقابلة ليقول فيها إنه سلب وسلخ عن شخصيته ، هذا الشخص كانت كل الأبواب مفتوحة أمامه بما في ذلك المنافذ الخارجية ، كان بإمكانه الهرب إلى أي مكان في العالم ـ بل كان يسافر إلى الخارج كبديل عن عدي ، المكان الذي يتوجس منه عدي خطر المعارضة وخطر الخصوم فكان «الطيف» هو البديل .

وفي أي مكان كان يستطيع الفرار وبيده أكبر وثيقة مزورة في العالم وهي أنه ابن طاغية العراق صدام حسين يمكنه أن يلجأ بها إلى أي سفارة من سفارات الدول الكبرى والصديقة ، وإلى مكاتب الأمم المتحدة ليكشف خداع النظام وتجاوزاته وألاعيبه التي يقوم بها على الشعوب والدول .

وفي المقابلة قال هذه العبارة : بعد كل هذا الزيف ومسخ شخصيتي لو استفدت شيئا لهان الأمر «ما استفدت أي شيء» ، بمعنى أنه لو نقد كم مليون لقبل في الاستمرار بالتمثيلية . وليت ما كان يقوم به مجرد تمثيلية ، إن دوره كان إجراما ورعبا وخسة ، وكان أكثر من أي إجرام وأي إرهاب ، إنه كان يحمل السلاح ، ويحرسه لفيف مدجج بالسلاح ، وكان هو أسعد الناس في بغداد بل في العراق وخارجه يمشي مشية عدي

وماثلت مشيته مشية صدام وأكثر ، كل هذا الدور كان برغبته ، وكذلك خطفه النساء وإحضارهن لابن صدام كان برغبته ، بل للأب والأبن معا . هذه الأعمال كان يقوم بها بكامل رغبته وكان يستخف به الفرح حين يمشي مرحا بخيلاء . ها هو «البديل» الذي كان يقوم بأقذر الأعمال من السرقة والاغتصاب لنفسه ولغيره ، والآن جاء شاكيا للكويت وربما يدخلها ـ كما قال ـ ويعد رسميا في صفوف المعارضة ، وربما يكون هو بديل صدام هذه المرة ليلعب دورا على الكويت ، وما أكثر الأخطاء التي قام بها الشعب والحكومة بدافع الطيبة أو الأصح الغفلة ، استغفلنا قبلها الزعيم عبد الكريم قاسم ، ففتحنا كل الأبواب لأن قاسم ذهب والآن ربما نفتح كل الأبواب ، فإن لم يكن صدام هو الداخل ، لأنه لا يدخل بشخصه ، لكنه يدخل بالبدلاء ، وبدلاء صدام الآن يمكن أن يدخلوا بهوية المعارضة وما أكثرهم . عندما كانت الكويت في قبضة صدام وجيشه كانت المعارضة في فرحة ظاهرة رغم موقفها من النظام وصدام . بل استخف الفرح بعضهم إلى درجة ترديده التفسير التاريخي الذي عرضه صدام ، الآن ترحب البلاد بكل صوت يدعي أنه من المعارضة وسوف تصرف الأموال وتفتح البلاد ويأتي بديل عدي .

لماذا يأتي؟ وما هي الدوافع؟ هذا إنسان فقد كل الخصال الشريفة ، إنه شارك المجرمين في إجرامهم ، هل تدخله الدولة ليضحك عليها بصوت مرتفع ، أم ليخدم أسياده في دور سياسي جديد؟ !

***

إلى أدوارد هيث

سيدي مستر هيث

تعلمون أن الرهائن المدنيين انتزعوا من بيوتهم وأماكن أعمالهم دون أي جريرة أو جناية ارتكبوها ، ولا علاقة لهم بحرب ولا قتال ، ومنهم من لاقى الإهانة وسوء المعاملة ، ومنهم من اتخذ كدروع بشرية في المصانع الحربية التي تنتج السموم والمواد الكيماوية الفتاكة ، نعم اتخذ العراق في أثناء احتلاله للكويت جموعا من الأسر بنسائها وأطفالها دروعا بشرية واهتز العالم لبشاعة هذا الجرم . وكان الانجليز ضمن من سيقوا إلى هذه الهاوية ، وعندها أججت السيدة تاتشر الموقف السياسي العالمي للانتقام من المجرم وتأديبه لما نال الأمة البريطانية من المهانة والاحساس بالذل جراء تعرض رعاياها لهذه المخاطر ، هذه الجناية ، بل هذا الجرم له عقاب عسير بحكم القانون والأحكام التشريعية ، ولا يثاب المجرم لمجرد أنه أفرج عن الرهائن ، والإفراج لا يسقط حق العدالة في تنفيذ العقوبة بالمجرم .

وإن ساد هذا الحكم ، وأثيب المجرم وصفح عنه لمجرد أن تحركا قد تم لسياسيين سابقين ، لكن لا يقاس الأمر بميزان السياسة ، وإن ساد هذا المنطق ، وأثيب المجرم وتم الصفح عنه لمجرد أن تحركا قد تم لسياسين ووجد إستجابة هذا النظام العراقي وقد كان لكم دور في السعي للإفراج عن ثلاثة من رعايكم البريطانيين كانوا سجناء أو رهائن في العراق

فإن كان لهم جرم وحكم القضاء العادل بسجنهم ، فللقضاء حرمة وتدخلك للواسطة خطأ ، وتدخل صدام حسين لينقض حكما قضائيا أيضا خطأ ، أما إذا كانوا رهائن فالجرم الكبير يكون للمتسبب في الارتهان . والإفراج حق ، نعم حق إنساني ، ولا يثاب المجرم لكونه أفرج عن الرهائن .

ولو سلمت دول الغرب المتحضرة بهذا الإجراء ، وهي التي تحكم بالعدل ، وتكفل للإنسان حقوقه ، لتداعت القوانين وجرح القضاء وصار الخطف أمرا مسلما به وسادت شريعة الغاب كما كان عرف قراصنة القرن الثامن عشر ، كل خاطف بعد اليوم ستقوم الدنيا على جريمته ثم يثاب لمجرد انه أفرج عن رهائنه ، ليس الصفح والثواب هو الهدف من رحلتك كما بدا من مقابلتك مع هيئة الإذاعة البريطانية ، بل بدت من اندفاعك نحو العراق ومطالبتك أن يكون لبلادك تمثيلها الخاص في بغداد بدلا من الاعتماد على الدبلوماسيين الروس الذين يرعون المصالح البريطانية .

وتساءلت : «لماذا يقوم القائم بالأعمال الروسي بجميع أنشطتنا في العراق ، وذلك ليس تماما مثل أن يكون المرء في المكان ذاته والحكم على مجريات الأمر بنفسه» . هذا ما قلته بالحرف ، رغم أن ذلك ليس بالأمر الجديد وأنت السياسي المحنك وكنت على رأس الدولة البريطانية في رئاستك للوزارة في حقبة زمنية هامة ، وإذا اختارت أي دولة من يقوم برعاية مصالحها فلا أحد يطرح بعد ذلك أسئلة الحائر النادم ويقول «لماذا يقوم القائم بالأعمال الروسي بجميع أنشطتنا؟» .

لم يقم الروس بهذا دون رغبتكم وليس ذلك من الأعمال السياسية الطارئة على العالم . وهذا الطرح يفسر وكأنه شرط عراقي مسبق للإفراج عن الرهائن الثلاثة .

وقلت يا سيدي إدوارد هيث :

«إني أتفهم شعور الأميركيين بالاستياء لعدم تمكنهم من التخلص من الرئيس صدام حسين» .

ليس ذلك هو شعور الأميركان فقط بل إنه شعور البريطانيين أولا ؛ لأن الحكومة البريطانية المتمثلة برئيستها السابقة القوية كانت هي الحافز الأول للحلفاء وبشهادة من الرئيس بوش لتحطيم المعتدي وتدميره ، وكذلك باقي دول العالم بل معظمها استاءت لوجود صدام حتى الآن كقوة محركة لأدوار تلعب في الخفاء .

وقد استشهد بها أخيرا زعيم حزب الأحرار الروسي فلاديمير زرنوفسكي ، والذي أوضح في أول تحرك له بدعم سياسة العراق وهدد التحالف الغربي في إفصاحه هذا .

من أول ما شطح نطح

هذا المثل ينطبق على هذا الزعيم الجديد إنه يطالب بفرض الحكم الروسي على الدول التي استقلت عنه ، ومد الإمبراطورية الروسية ، والصرخة الثانية هي مناصرة صدام ، لأنه سبق أن زار العراق ، وزاره أعضاؤه «الصقور» الذين هددوا بنسف المصالح الأميركية . وهل تقبل يا سيد هيث أن يكون نداؤك بإنقاذ صدام حسين متفقا مع الزعيم الجديد جيرينو فسكي؟ لا نعلم بما يجري في الصف الثاني للسياسيين ونحن نحكم على ما يبديه ساسة العالم الظاهرون والقابضون على مصير الإنسانية .

صحيح أن السياسة لا تسير في خط مستقيم ولكن هذا المجرم قد قام بجريمة منكرة أجمع السياسيون والمفكرون في العالم على أنها جريمة العصر ، ووقف العالم مستنكرا في مجلس الأمن والأمم المتحدة وأجمع على إيقاف الخطأ ومحاربة المعتدي ومعاقبته ، فلا يعقل أن يكون العالم كله قد صعد على خشبة المسرح ليؤدي تمثيلية تحمي رأس الطاغية ، ويعاد تشكيله ـ بعد مسخه ـ بصورة البطل العائد ، وفينا من لديه القدرة على أن يضحك ويبكي على مشهد واحد قبل أن تسدل الستارة .

***

الرأي العام العالمي . . حقيقة أم خيال؟

بعد الحرب العالمية الأولى ازدادت الرغبة عند شعوب العالم إلى وجود حكومة عالمية ، تضبط التوازن الدولي وتحمي الشعوب من تجاوزات الطغاة وتهور المستبدين من الحكام ، وللحد من الويلات السياسية ودمار الحروب وبعد الحرب العالمية الثانية صارت تلك الرغبة ملحة ومطلبا عالميا . فاطمأنت الشعوب إلى عصبة الأمم ثم إلى هيئة الأمم المتحدة .

وصحيح أن هذه الهيئة لم ترق إلى منزلة الحكومة العالمية ولكنها صارت كحكم دولي ، قد لا يوقف الأخطار قبل وقوعها ولكنه يعالجها مع دول العالم كما حصل في حرب تحرير الكويت وما يجري في والبوسنة والهرسك ، والصومال وحالات كثيرة سابقة .

أما الرأي العام العالمي فله قوة هائلة هي «مهندس النفوس» كما عبر عنها جان مينو أستاذ العلوم السياسية بجامعة مونتريال وصاحب مؤلفات الضغوط الدولية ، وللرأي العام أهمية بالنسبة إلى المجموعات الدولية والوطنية . لقد تآزرت قوة الرأي عالميا في سنة ١٩٥٦ عندما استنكرت الاعتداء الثلاثي على مصر ، وضاعفت من تأييد الشعوب لمصر وشعبها . وكذلك ساعد الرأي العام على إنهاء الاستعمار من دول عديدة في آسيا وأفريقيا .

واهتم الكتّاب والباحثون في دراسة الرأي العام ومدى تأثيره على السياسة الداخلية والخارجية وطرحت أسئلة عديدة حول ذلك . وعندما تتأزم القضايا الدولية نسعى لإقناع الرأي العام وتنشط أجهزة الإعلام لمخاطبة هذا الكيان ، بمسميات عديدة وقد تكسب شعوبا إثر المخاطبة النفسية وتحريك العواطف بالعبارات الأدبية والألفاظ البلاغية والصور المؤثرة عبر الصحافة والتلفزيون واللقاءات الشخصية ـ وهناك

جمعيات تقوم على الاتصال المباشر بالجماهير للحصول على آرائهم في بعض القضايا كما عمل المجلس العالمي للسلام سنة ١٩٥٥ عندما حصل على أكثر من ستمائة وستة وخمسين مليونا من التوقيعات التي نددت ـ بالتسليح الذري والحروب النووية ، والآن نسمع بجماعات السلام ./ في سنة ١٩٦٠ طلب الرئيس الأميركي الأسبق بإجراء استفتاء عالمي تحت هيئة إشراف الأمم المتحدة لمعرفة ما إذا كان العالم يفضل النظام الشيوعي أو الرأسمالي الحر ، جاء في دائرة المعارف الفرنسية فصل تحدث عن الرأي العام العالمي امتزج فيه الرأي الخيالي والأسطوري مع أمنية الشعوب . وعلق عليه «جان مينو» قائلا :

قد يكون موضوع الرأي العام غير موجود أصلا . وقد تجد شعوبا لا تتجاوب مع أحداث هامة لكونها بعيدة عن محيط مجتمعها .

وقد تبعد هذه الشعوب عن الشعارات الدالة على وحدة العالم والتكافل بين الشرق والغرب والتقارب الثقافي ، وتتباين الآراء حتى تلتهب المناطق القريبة من الأحداث الساخنة . وتضيع الحقيقة بين تعدد الآراء حول الرأي العام العالمي واختلاف الاحصاءات واختلاف الظواهر التي يرجع إليها غالبا لمعرفة حقيقة الرأي العام العالمي المعتمد على المواقف الجماعية تجاه المسائل العامة أكثر من اعتمادها على وجهات النظر ذات الرؤية المحدودة والتصور الضيق للقضايا العامة . كالاتجاه إلى تأييد الآراء التي تمجد المبادىء الإنسانية حول السلام والأخوة والمطالب الرامية إلى رفع مستوى الحياة البشرية والارتقاء بها نحو حياة كريمة ، والوقوف ضد الآراء المخالفة والمضادة كالاستعمار والاستغلال والتفرقة العنصرية حيث يقف الغرب المتقدم عند آرائه الفوقية ورؤيته الدونية للشعوب الشرقية المتخلفة . ونعود إلى مشكلة السويس حيث يعدها جان مينو في مجموعات الضغوط الدولية فيقول :

تعتبر مشكلة ١٩٥٦ خير مثال إذ أن موجة الاستنكار العالمي كانت من القوة لدرجة أنه كان من النادر أن نجد جهة لها شأنها تؤيد ما فعلته فرنسا وانجلترا وإسرائيل

في ذلك الاعتداء ، حتى تصاعدت الآراء العالمية كرأي واحد قوي يستنكر الاعتداء والظلم رغم بساطة أجهزة الإعلام العالمية في ذلك الوقت .

والآن نرى هذا الرأي العالمي يتجاوب مع الأحداث الملتهبة وينادي بإنقاذ الشعوب من أسلحة الدمار التي شاعت مع تجارة السلاح في الشرق والغرب . وأخذت المنظمات الدولية تسعى إلى الحد منها كالمنظمة العالمية للصحة ومكتب مقاومة الاشعاعات الذرية ولجنة الطاقة الذرية ، وجماعة تحقيق السلام . كما ظهرت الجمعيات والمنظمات المتخصصة بمكافحة التلوث البيئي في الجو والبحر والأرض وقد تتآزر القوى البشرية بشكل أكثر عند تعاظم المخاطر الذرية والتلوثات البيئية والفتن الإقليمية ومحاسبة بعض الدول ومراقبة أسلحتها دون دول أخرى ، هنا قد تتولد صحوة الضمير العالمي وتزداد صرخات الإنسان لإعادة تشكيل الرأي العام العالمي .

ولا يكون هذا الرأي مجرد إثارات عاطفية تطلقها أجهزة الإعلام لكسب بعض القضايا دون أخرى . بل يكون الرأي العام الدولي حكما مهابا ذا شخصية عالمية قوية تدوي أصواته وتعلو على أصوات المدافع والمتفجرات ويكون أمضى من الأسلحة النووية والكيماوية . ليخرج هذا الرأي إلى حيز الواقع وتسمع كلماته لتحقيق السلام العالمي .

***

خسائر الغزو وأثرها على الكويت والعراق والدول العربية

كلما تفكر الإنسان بالكارثة التي جناها النظام العراقي في دفع جيشه لاحتلال الكويت برعونة وغدر يدرك أبعاد هذا الدمار وهذه الويلات ، فبالإضافة إلى الدماء التي أُهدرت والأرواح التي ذهبت ، والبناء الحضاري الذي دمر يأتي النزف المالي الذي أوهن ميزانية الدولتين . وفي تقرير صادر عن صندوق النقد العربي مع بعض المؤسسات المالية العربية وأذاعته لندن في ٢١/ ٤/ ١٩٩٣ تتضح الأبعاد المأساوية التي خلفها هذا الاعتداء ، وكم هي الخسائر المالية التي نجمت عنه؟ وكم تكلفت الحملة التأديبية الدولية لطرد الجيش الغادر المعتدي على جاره؟ !

يقول التقرير بلغة الأرقام إن الحرب تكلفت ٦٧٠ ألف مليون دولار ، وكلفت العرب ما يعادل مجموع الثروة الاقتصادية العالمية التي ينتجها العالم مرة ونصف المرة .

وتكبد طرفا النزاع معظم هذه الأموال . والحقيقة أنه ليس بنزاع بل هو غدر جاء من جانب واحد ، ولم يكن نزاعا أدى إلى حرب . ولم يتقابل الجيشان في نزال في ساحة القتال . إن الجيش العراقي أغار بحقد غوغائي على المناطق السكانية بعدده الثقيلة والناس نيام في الليلة التي سبقت يوم الغزو . وخسرت كل من الكويت والعراق ٢٤٠ ألف مليون دولار نتيجة لتدمير آبار النفط الكويتية والمنشآت النفطية المشتركة والمباني والمصانع ومرافق المواصلات والإذاعة والتلفزيون . ويقول التقرير إذا ما قورنت هذه الأرقام بالإنتاج السنوي لكل من الدولتين فإنها تصل إلى حوالي جملة الإنتاج السنوي للعراق أربع مرات . والانتاج السنوي الكويتي عشر مرات ، وتعيّن على الكويت أن تسحب حوالي ثلثي استثماراتها على المدى البعيد من الصندوق الاحتياطي المعد للأجيال القادمة . وذلك لسداد تكاليف التحرير ، وإصلاح وبناء ما دمره الاعتداء المدمر ، وإعادة إعمار البلاد . وأثرت هذه الحرب على دول عربية أخرى ، وأدت آثار

هذا الدمار إلى انخفاض النمو الاقتصادي بحوالي ١٠٠ ألف مليون دولار وتضمن ذلك انخفاضا بنسبة ١٢٪ من الانتاج الصناعي العربي ما بين ٩١/ ١٩٩٢ نتيجة للدمار وانعدام الثقة في مناخ أمن أدى إلى هروب مصادر الاستثمار ، وتحملت دول مجلس التعاون الخليجي أعباء تلك المعركة التي تكلفت البلايين لإعادة الحق إلى نصابه وردع المتعدي وتحرير دولة الكويت وقد أثرت الحرب على الأسواق المحلية وأوقفت عجلتها التجارية وساد الركود فتوقفت الحركة أثناء شهور الاحتلال وما بعد الحرب وبسبب الخوف من المستقبل خرجت أموال كثيرة من دول الخليج قدرها التقرير المالي بمبلغ قدره ٥٠ ألف مليون دولار ذهبت هذه الأموال لتجد لها مكانا مستقرا آمنا حتى تستعيد الأسواق ثقة الآخرين بها وتعود الأحوال المالية إلى ما كانت عليه قبل الحرب .

هذا التقرير المالي يؤلم الإنسان وخاصة الإنسان في الدول الديموقراطية التي تزن الأمور بالميزان الاجتماعي والاقتصادي أما العراق الذي يغترف منه الحاكم بلا حساب فيوزع المال كما يشاء دون رقيب أوحسيب ، الأموال التي صرفت على صحافة الوطن العربي وبعض الجمعيات الدينية في العالم الإسلامي والسيارات الضخمة التي كانت توزع على رموز المؤسسات الإعلامية والأموال الطائلة التي تحدث عنها البعض وقال إن الاعلام العراقي قوي كلها ذ هبت في سبيل غايات شيطانية غير مشروعة .

إن الاعلام إذا خرج عن المنطق وسخر للاعتداء والغدر ليس بإعلام ، وإن فقد المصداقيةوخرج عن الفكر البناء فليس هو بإعلام ، وسرعان ما ينكشف ويفقد ثقة الجميع .

إن الأموال التي تصرف وتغترف هكذا لأجل مخططات الإرهاب والاعتداءات ، والتي تصرف الآن لكي يرقص الشعب العراقي ويغني مرغما لأعياد الرئيس إنها ليست من ميزانية دولة ديموقراطية بل من ميزانية نظام دكتاتوري فردي ليس للشعب رأي في ماله ولا مقدراته ، ولا حتى مناقشته والتحدث عنه .

الأموال المسروقة التي أعلن عنها جواد هاشم

ولقد تحدث المسؤول العراقي السابق في أميركا بوساطة المحطة التلفزيونية الرئيسية (أي . بي . سي) وبين أن صدام حسين سحب باسمه ٣٣ بليون دولار ، وكذلك ٦٠ بليون دولار اختفت من حساب الخزانة العراقية بين ٦٨ ـ ٨٩ وذهبت لحساب صدام في الخارج . وقال هاشم إنه يكشف هذه المعلومات الآن لأن الأموال أصلا هي أموال الشعب العراقي والعراق أولى بها في مرحلة إعادة البناء بعد أن بدد طاقته وثروته صدام . وعندما استلم صدام منصب نائب الرئيس صرح أن الحزب سيحكم العراق مدة ٣٠٠ سنة وأنه من الضروري رصد المال في الخارج لمقاومة أي تحرك انقلابي داخلي أو خارجي ، وصدرت الأوامر بذلك إلى محافظ البنك المركزي الراحل الدكتور فوزي القيسي وإلى وزير المالية السابق أمين عبد الكريم ، وعلى ذمة جواد هاشم أن الحكومة العراقية قد فتحت له حسابا لتذهب حصته إليه مع الخبير المالي الأرمني لغالبكيان .

وسبق أن نشرت جريدة الشرق الأوسط مقالا تفصيليا وجهت الاتهام فيه أيضا إلى جواد هاشم الذي كان في مركز مالي مقره الإمارات العربية المتحدة بأنه قد اختلس من صندوق هذا المركز ٥٠ مليونا من الدولارات ، وهذا هو المال في العراق مشرع الأبواب للحزب ولرئيسه .

***

جولة في كتاب «أين أسرى الكويت؟»

شاهدت الكثير من المآسي في شهور الغزو ، واستمعت إلى روايات صورت أبشع الجرائم في بعض المواطنين ، ورؤية أخرى مجسمة تقطر دما ، وتوغر جراحات في الأفئدة كلما عرضت ذكرى اقتياد الآلاف من أهل الكويت إلى العراق ووضعهم في معتقلات هي أشبه ما تكون بالخرائب المهجورة القذرة . إنهم رهائن أهل الكويت نساء وأطفالا وكبار السن .

نعم هم في الحقيقة رهائن ، ولكن إعلامنا الرسمي أطلق عليهم «أسرى» ، فاعتقد العالم أن الأسرى هؤلاء عسكريون قبض عليهم في ساحة القتال بينما لو أطلق عليهم وصف الرهائن لنالت القضية زخما إعلاميا ، وإثارة في الرأي العام العالمي . لما رأينا في الرهائن الآخرين عندما تقوم الدنيا ولا تقعد لاعتقالهم وهم المدنيون الأبرياء وإن أقاموا في أضخم الفنادق وأحيطوا برعاية فائقة ، فكيف برهائن الكويت الذين أخرجوا من ديارهم ومنازلهم وقذفوا في مزابل العراق ، في أماكن مهما وصفت بالقذارة فإنه لا يمكن لإنسان أن يتصور ذلك إلا الذي عاش تلك المأساة . عائلات بكامل أفرادها اقتيدت بالسلاح وعاشت ذلك البؤس الذي أحاطه الرعب في كل لحظة ، في أقسى أيام الشتاء برودة ، افترشوا أراض المعتقلات الصخرية الجرداء ، وكانت المرأة تفترش عباءتها وتحتضن أطفالها ، وكابدوا أهوال الجوع وأمراض البرد والجراثيم والأوساخ المحيطة بهم .

هذه الصورة المجسمة تراها ببعد آخر حيث الوضوح المأساوي ، والكلمة المباشرة الصادقة وهي تقطر ألما لما كابدت من الظلم وقسوة الوحشية من الأشقاء الجاحدين .

ترى هذه الصورة عن كثب في كتاب صدر حديثا للسيدة فاتن عبد الجبار معرفي . إنها قامت بتأليف هذا الكتاب بعد معايشة الأحداث المريرة في منزلها ، الذي

كان في فوهة المدفع . نعم كان هذا البيت همزة الوصل مع حكومتنا في المنفى مع المقاومة من الأهالي وأجهزة الإرسال الضخمة المتواجدة فيه كانت البلسم الذي يسكن آلام الناس بالمحادثات التلفونية عبر الأقمار واللاسلكي والتلكس . كلها كانت في خدمة المواطنين .

والكاتبة لم تتحدث عن خدمات هذا المنزل الكبرى بل ذهبت بعيدا إلى أعماق الرهائن في المعتقلات العراقية واستجوبت النساء والرجال عن تلك الأيام الحرجة والمزرية في تاريخ العراق الحديث .

رحلة العذاب من مشرف إلى بغداد

ومن الأسر التي تحدثت في هذا الكتاب أسرة أحمد ثنيان المسيليم . لقد ذكر رب هذه الأسرة أن التفتيش على المنازل في مشرف كان بتاريخ ٢١/ ١٠/ ٩٠ مع سرقة أوحى بها «شرف العسكرية العراقية» وانتهاك حرمات المنازل . ويقول أبو ثنيان إنه أخذ وأسرته إلى المخفر للاستجواب بعد أن أخفت أم ثنيان ولدها الصغير محمد ٤ سنوات بإلقاء اللحاف عليه فوق السرير وأخبرت خالته بالتلفون لكي ترعاه طيلة غيابهم .

وكانت تتوقع غيابامحددوا أثناء الاستجواب ولمدة قصيرة ، أما نواف «١٦ سنة» فقد قفز إلى منزل الجيران ولطيفة قد أودعتها أمها عند المستأجر الذي يسكن في ملحق البيت ، وسألها الضابط بعد أن خرجت : أهناك أحد في البيت؟ فنفت فكذبها وذهب بنفسه لكي يتأكد ، فأعمى الله بصره وبصيرته ولم يجد أحدا ولم يسمع صوتا . وبعد الاستجواب أمروا بالصعود إلى الباص حيث المعتقل . وحسبوا أن المعتقل في الكويت ، وانطلق الباص إلى البصرة ، حتى السائق كان يصب جام حقده وضغينته فانه كان يسرع أكثر من اللازم ، بين حين وآخر يوقف سرعة السيارة فجأة لكي يلحق الأذى بالركاب المحشورين فوق بعضهم البعض ، ويترصد بالمرآة الأمامية نتائج أفعاله كلما مالت السيارة أو ارتجت إثر التلاعب بالسرعة ، ويتبادل نظرة الشماتة مع العسكريين الرقباء وأسلحتهم موجهة إلى كل أسير .

ويضيف أبو ثنيان قائلا : وفي البصرة وضعوا ـ النساء في مكان والرجال في مكان في مكان أشبه بزريبة أغنام ـ جاخور . والزريبة بدون أبواب وشبابيك . والقاذورات لا توصف ولكنها كانت عادية بالنسبة للسجانين .

واستعرضت الكاتبة السيدة فاتن معرفي نماذج حية من ضحايا الحرب التي أشعلت من طرف واحد كما أرادها شرف العسكرية العراقية وأخلاقه بالغدر والخديعة .

وكان اللقاء الأول مع السيد فلاح عبدالرسول بهبهاني الذي روى قصته قائلاً : إنه اقتيد من الشارع إلى فندق شيراتون حيث النقيب غازي الذي كان يحتل وهو وقواته الفندق والمكان الميحيط حيث أخذوا في القبض على أعداد كبيرة من المارة مدنيين وعسكريين دون تمييز ، وعندما بلغت الساعة العاشرة صباحاً كانت الدبابات قد احتلت دوار الشيراتون . وفي الثانية عشرة إلا الربع حلقت طائرة كويتية مقاتلة وقصفت بعض الدبابات بمجهود خاص . وجمع العسكريون بالباص واقتيدوا إلى البصرة . ورفضوا السماح لنا بشرب الماء . ولما تكرم علينا نزع خوذته القذرة ، وملأها ماء فرفضنا شرب الماء لقذارته ، وصلت الباصات المحملة بالرهائن وعددها ٤١ باصا . «مدنيين وعسكريين» وهي حصيلة صيد الأسواق والشوارع .وفصلوا العسكريين عن المدنيين في معسكر مدرسة حمزة في صفوان ، وعندما طلبنا الوضوء للصلاة قابلونا بالاستغراب والاستهجان .

بعد هذا المعسكر حملنا القطار إلى بغداد وكان عددنا ٧٠٠ بين ضابط وجندي ، حيث زج بنا في معسكر الرشيد ، وكان ضمن الأسرى الرائد محمد حسين الجبرتي «مصري» والنقيب زهير الحجاوي والملازم أمين قدورة «فلسطينيان» والدكتور رياض عبد الرحيم عباس «كويتي» وقدموا خدماتهم وإرشاداتهم الطبية للأسرى .

ومن معتقل الرشيد إلى معتقل الموصل ، وبعد شهرين إلى معتقل بعقوبة وهنا بدأت الزيارات الأسرية تفد إليهم ، وهكذا علمنا بتنقلات الآخرين إلى معتقلات العراق وأتونها .

السيارة سيدة الموقف!

وفي الأيام الأخيرة من الاحتلال بدأ تصيدَ الناس خاصة الشباب وتجارة المساومة في إطلاق سراحهم أو قتلهم وتصاعدت القيمة النقدية من ٢٠٠ دينار عراقي إلى عشرين ألف دينار ، وكانت السيارة هي سيدة الموقف في المساومة إن استعصى أخذها دون أسير . وظهرت بالأموال كتب عدم التعرض الصادرة من قوات الاحتلال لبعض الأفراد ، وأسلحة بالأسواق والطرقات تعرض للبيع بتصريح وبدونه .

واحتوى كتاب أين أسرى الكويت على مجموعة كبيرة من الأسرى والشهداء مع أسرهم ، وهكذا تجد في هذا الكتاب للسيدة فاتن معرفي إطلالة على هذه المأساة البشعة ، وهذه الوصمة السوداء في جبين العسكرية العراقية ، التي اتخذناها يوما ما لإنقاذ الوطن العربي ونحن واهمون ؛ لأن الجيش العراقي لم يقم بخدمة وطنه وخاصة بعد انقلاب ١٤ تموز ١٩٥٨ حيث انشغل بحصد أهله وتقسيمهم إلى طوائف وجماعات حاقدة . وتشاغل عن هموم أمته ، وغلق الأبواب نحو إسرائيل وجعل العداوة تستعر في داخله وبينه وبين جيرانه ، وأشعلها في الشمال حيث الأكراد وفي كل موضع في العراق حتى أخذت هذه الأحقاد تهدد بتقسيم العراق وتفتيته في مؤامرة دقيقة غرس قادتها الفتن في هذه الأرض ؛ لتتواصل مع فتن التاريخ المأساوي القديم لهذا الشعب .

***

عيد ميلاد الرئيس

قبل انتهاء الحرب العراقية الإيرانية بثلاث سنوات تقريبا خرج العراق ببدعة عيد ميلاد الرئيس ، ليس كالأعياد الرمزية التي يقوم بها بعض رؤساء الدول الغربية ، بل بأعياد صاخبة تبذل لها الملايين وربما المليارات على حساب الدينار العراقي ، وترفع الصور الضخمة ويعم الرقص والغناء الإعلامي رغم نكبات الشعب العراقي ومآسيه ، وعلى كل قرية ومدينة أن تشارك في العيد القهري ، فيرقص الرجال والنساء مرغمين ، وتعطل المدارس ويخرج العمال من مصانعهم وأماكن أعمالهم ، ويترك الموظفون مواقعهم للمشاركة في العيد المجيد ، هذا العيد يخترق الميزانية رغم كل الظروف والأحوال ليبتسم الرئيس وينفش ريشه ويعتقد هو وحاشيته أن ذلك يعطيه زخما إعلاميا ، والواقع أنه لا يلاقي من ذلك إلا السخرية والاحتقار من شعبه والشعوب الأخرى . وعندما سأله الصحفيون الأجانب في السنوات السابقة كان رده : إن هذه هي رغبة الشعب ، ولا يستطيع هو رده عن رغبته ! ! .

ونحن في الكويت حتى قبل الغزو كنا نسخر من هذه الاحتفالات لأنها خارجة عن العرف والتقاليد والعقيدة .

هذا العام في تكريت !

وأقامت العراق احتفالها هذا العام كالسنوات السابقة ولكن اختصرته من الشهر إلى أسبوعين فقط . وهذا أيضا غير معروف في دول الغرب ولا الشرق أن يكون عيد الميلاد بهذه المدة الزمنية . في البلاد العربية تقام احتفالات الميلاد للصغار تحببا لهم وتوزع الحلوى وتعلق بعض الأوراق الملونة والبالونات . واحتفال صدام فيه من مظاهر الاحتفال بالأطفال فتطلق البالونات وترفع الأعلام وأوراق الزينة ، والكعكة العملاقة التي يصعد لها بسلم لتطولها أيدي المنافقين .

هذا العام عقد احتفال العيد في تكريت مسقط رأس الرئيس ، وحضر الاحتفال آلاف العراقيين والمسؤولون الكبار من نائب رئيس مجلس قيادة الثورة عزة إبراهيم ورئيس الوزراء حمزة الزبيدي ووزير الدفاع حسن المجيد ، واستمرت الأعياد في المدن والعاصمة التي أقامت حفلين كبيرين حضرهما صدام حسين ، ففي يوم الإثنين السابق للعيد بيومين «٢٦/ ٤/ ٩٣» أقيم حفل استعراضي للجيش وهو الأول بعد أم المعارك التي طرد فيها الجيش العراقي في حملة تأديبية عالمية لم يشهد لها العالم مثيلا من قَبل ، وسبق هذه الاحتفالات تأكيد من جريدة بابل لصاحبها عدي صدام أن المطامع ما زالت قائمة لاحتلال الكويت !

والعراق يستغيث!

هذه الاحتفالات ما زالت قائمة والعراق يستغيث لتوفر له دول العالم المواد الإنسانية الضرورية والطبية ، كما أعلنت بغداد أنها تعاني نقصا حادا في العملات الأجنبية لشراء المواد الأساسية ويشكون من وفيات الأطفال بسبب الجوع ونقص الدواء . واحتفالات صدام تستهلك المبالغ الطائلة . هذه الاحتفالات لا تدل على أن هناك نقصا في الموارد التي تسد جوع الأطفال .

إن النفط العراقي ما زال يصدر بالطرق غير الرسمية بواسطة الشاحنات العربية نحو الأردن وإيران حيث تقوم تجارة التهريب الرسمي . بالإضافة إلى الشركات العالمية التي تعمل وأخرى متربصة تحمل عقودها .

وفد منظمة التحرير

ولقد ذهبت وفود عربية لتقديم الولاء والتهنئة لميلاد الرئيس ، وضمن هؤلاء وفد رسمي لمنظمة التحرير الفلسطينية يرأسه السيد عبد الرحيم صبوح عضو اللجنة التنفيذية للمنظمة وعضو المكتب السياسي للجبهة الشعبية الذي قدم التهنئة والتمنيات وتأكيد اعتزاز الشعب الفلسطيني بمواقف السيد الرئيس ودعمه لأبناء فلسطين لتحقيق

حقوقهم الشرعية ، وتأكيد مواقفه القومية والدفاع عن فلسطين ودعم أبناء الانتفاضة ، والعراق يتحدى العدو الصهيوني بسلاح الإيمان . هذه أيضا بعض أماني السيد طه ياسين رمضان الذي تبادل كلمات المجاملة السياسية الثورية مع الوفد المهنئ في عيد السيد الرئيس .

وأكد السيد صبوح أن الصمود العراقي والفلسطيني وتمسكهم بمبادئهم القومية والدفاع عن استقلالهم وسيادتهم هو الرد الميداني والشاهد الحي على قوة أبناء العروبة ورفضهم لسياسة التبعية والعبودية . وقال رئيس الوفد الفلسطيني المهنئ بعيد ميلاد صدام : إن مسيرة البناء العراقية هي انتصار عربي آخر يضاف إلى الانتصارات التي حققها العراق وهزيمة للمعتدين وعملائهم ! ! .

إعلام كاذب

هذه الديباجة الإعلامية حسبت أنها انطوت وسقطت مع مخلفات الهزائم في مزابل التاريخ . ولكن الإعلام العربي ما زال يحتوي على العبارات الكاذبة المنمقة ، والانتصارات الوهمية ما زالت تشغل الإعلام ووسائله المذاعة والمنشورة ، حتى الاقتصاد له إعلام كاذب عندما يضمنه بعض الرؤساء خطاباتهم الثورية . والمواطن يرى عملته في الحضيض والرواتب متدنية والبطالة متفشية ويمنع الإعلان عنها ، والأمراض عليها حظر لكي لا تصل إلى علم الناس . وهكذا نحن بخير . الجيوش قوية . والاقتصاد قوي . ولا بطالة . والرئيس بخير ما دام يحتفل بعيد ميلاده احتفال الأمم بأطفالها ، والمنافقون يذهبون لإعلان ولائهم وللحرص على نيل شهادة حسن السلوك .

***

تساقط آخر اللاءات

لاءات الساسة العرب التي حملها المؤتمرون في الخرطوم في أعقاب حرب حزيران ٥ يونيو ١٩٦٧ تساقطت واحدة بعد الأخرى . في تلك الحرب أعلن الطرف العربي المحارب وقف إطلاق النار قبل اليوم الخامس ، مصر وسوريا والأردن ، والمتفرجون عن كثب ، والبعيدون الذين يحملون السلاح في المظاهرات ويطلقون نيراهم في الهواء . أما الإذاعات فإنها قلبت برامجها إلى مناحة وحزن ، ورتلت القرآن الكريم ترتيلا لأيام عديدة .

وتناسوا المأساة بعد أيام ثم ظهرت إسرائيل بعد شهر لتعلن أن الحرب قد وضعت أوزارها بعد اليوم الخامس ورددت الآية الكريمة «كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة» البقرة :٢٤٩ وحملتها على اليافطات ، أمام أعين المواطنين العرب في الأراضي الشاسعة وفي المدن والقرى التي احتلتها وفي تعليق لها في الإذاعة أعلنت أن جميع الأطراف المتحاربة قد طلبت وقف اطلاق النار إلا الكويت فانها لم تطلبه بعد . صحيح أن القوات الكويتية قد شاركت ووهبت للقضية شهداء وجرحى ، إلا أن أمر وقف إطلاق النار كان بيد الدول المجاورة لحدود إسرائيل ، ولكن التعليق أراد أن ينال من الكويت باللمز .

الآن الكل يطالب بالسلام مع العدو القديم والصديق الجديد . ولمنع النار أن تنطلق في المستقبل . آخر الدول التي شدت الحبل هي الكويت حيث لوائح مقاطعة اسرائيل كانت قائمة إلى ما قبل فترة وجيزة عندما جاء العتاب الأميركي . وكانت هذه الاجراءات من الأسباب المعرقلة للحركة التجارية . وسقطت الموازين لما صارت الضفة الغربية سياسيا من الأرض الاسرائيلية حيث يد الاحتلال السياسية والعسكرية والاقتصادية قد وضعت عليها ، واقيا ، وهذا عرفات يجوب الدول الميحطة بإسرائيل طالبا ، استرحام أميركا بالتعجيل في عملية السلام . ورفضت الأردن التسويات

الفردية ، ورفضت كذلك المنظمة باستحياء ونادت بفتح الستارة على مصراعيها ليظهر جميع الأطراف المشاركون في التسوية .

وقال بيريز إننا متفقون أساسا مع الأردن ، وكل ما هو متبقي أن يخرج الملك من جيبه القلم ويوقع اتفاق السلام . ورابين يلوح بإعادة بعض مرتفعات الجولان لقاء السلام بعد أن عرض كل المرتفعات من قبل ولما رأى سرعة الشوط العربي نحوهم أبطأ هو الخطو . ليرفع رأسه عاليا أمام المتهافتين على توقيع السلام .

ويبدو أن الحكم الوحيد في المباراة سيكون الرئيس بيل كلينتون ، وربما تكون الجولة العاشرة هي الجولة الأخيرة ، حيث تكون الضربة القوية القاضية للسلام من اسرائيل الطرف القوي حتى الآن .

ولو كانت الكويت طرفا في الموضوع «أيام زمان» لبقيت هي الوحيدة المتشنجة التي ترفض السلام ، كما كانت الوحيدة في طلب عدم وقف اطلاق النار في أعقاب حرب ١٩٦٧ ، والوحيدة في تطبيق لوائح الخمسينيات في المقاطعة ، وكانت هناك ضغوط مؤثرة في قراراتنا تطالب بالتشديد ، وهم الآن يسعون لنبذ ذلك التشديد . وهكذا اتفقت جميع الأطراف ولله الحمد للسعي نحو السلام لاسترداد أراضيها ولكي تنام قريرة العين . وبعد أن ذهب الجميع للسلام هل يذهب السلام بنفسه لهم جميعا؟ .

هناك مقولة رددها ساسة من الغرب والشرق تقول إن السلام جسر قد تستخدمه اسرائيل لفترة ولكن هذا الجسر سيبقى حائلا دون الأهداف البعيدة التي ترمي إليها في آفاقها السياسية والتاريخية البعيدة .

إن خرائطها ما زالت معلقة على جدران «الكنيست» . «حدودك يا إسرائيل من الفرات إلى النيل» . بل إلى أبعاد أخرى سيكون ذلك ماثلا في الأذهان حتى تأتي دولة قوية كأميركا وتفرض السلام بقوتها وعظمتها . وترسم حدود منع الظلم ، وتحد من مساعدتها العسكرية كما عملت في ٩١٦٧ و١٩٧٣ .

***

نظرة في كتاب (من ديان بيان فو إلى مدينة الكويت)

للجنرال : موريس سميث

يقول المؤلف : لقد اخترت مهنة أبي في السلك العسكري ، ودخلت الجيش لأني رأيت بعيني جيشا أجنبيا يطأ أرض وطني وفكرت أن هذا لا يكون أبدا . وأحرزت بلادي النصر في أعقاب الحرب العالمية الثانية فزادني ذلك اندفاعا في اختياري وقدري .

في ٢٣/ ٤/ ١٩٩٤ ودعت السلاح وأنا أستمع في باحة الشرف في البيت الوطني لنشيد مشاة البحرية بعد خدمة دامت اثنين وأربعين عاما . كان لي الحظ أن أختم خدمتي بالمشاركة بصفتي رئيسا لهيئة أركان الجيوش في انتصار عسكري وبالسعادة وبالشعور بأن فرنسا تساند جيشها بشكل متميز تماما ، وسعدت أن أختم عمري العسكري بنصر جديد في تحرير الكويت ، .

بداية خدمتي في (ديان بيان فو) وختامها في الكويت طبعت بنزاعين كبيرين ، وسوف أسلط بعض الأضواء الشخصية على هاتين المواجهتين من ملازم إلى جنرال ، علمتني التجارب التضحية لأجل الوطن وما يراه وطني من مصالح وإن نأت ميادين القتال ، وعلمتني أن التاريخ يخضع أحيانا لحقائق خادعة .

والزمن هو في ١٩٥٢ والرتبة ملازم ثان والقتال الضاري في (هوان بن) أرواح كثيرة تزهق لأفضل جنودنا والحرب محتدمة بسبب هجوم البحرية وطيراننا ، وكان ضباط صف وقطاعات قتال متمركزة في أوروبا تتابع سير المعركة من خلال الصحافة فقط .

وكما قال بول جندال : «إن لدينا الانطباع بأننا محكومون بالموت ، نساق بشكل علمي إلى نهايتنا المحتومة ، وأمامنا أعداء ينبغي التخلص منهم لصالح الشعوب ومستقبلها ، ثم لصالح الوطن وإن كان بعيدا» .

وجـاءت سنة ١٩٥٣ ونحن في (تاي بن) ثم في (نام دين) ، وليس هناك وجـه للمقارنة بين تلك المعارك الضارية والمقاومة الشرسة من عشرات الفيتناميين وأعطتني هذه المعركة فكرة عن حدة المواجهات وكفاءة المقاتلين في كلا الطرفين ، وبها تقاس الصعوبات التي كان يمكن أن نواجهها في فبراير ١٩٩١م أمام مجموعة عراقية تقدر بثلاثة الآف عراقي محميين جيدا ، لو أن العراقيين قد أظهروا قسطا ضئيلا من القتالية .

وفي معركة (ديان بيان فو) كنا ٣٧٠٠٠ مقاتل من الاتحاد الفرنسي معنا فيتناميون وأفارقة يربو عددهم على ٧٠٠٠ وكانت معركة حامية جند لها ست عشرة كتيبة ، خمس كتائب من المظليين الفرنسيين والفيتناميين وست كتائب من الفرقة الأجنبية ، منها اثنتان من الرماة المراكشيين المغاربة ، وكتيبتان من تايلاند . ودامت الحرب الصينية ثمانية أعوام صعبة ومرة من ٢٩/ ١٢/ ١٩٤٦ إلى ٢٠/ ٥/ ١٩٥٤ ، بدايتها كانت ردا على اعتداء على حامية فرنسية قد تكون معركتها قصيرة وفسحة نتمتع بها ونعرض فيها عضلاتنا ، ولكنها طالت كل هذه السنوات ، وأخذت من القوات الفرنسية إلى الموت ٧٦٠٠٠ قتيل في أعنف معارك بينهم ٢٠٠٠ ضابط و ١٣٠٠ ملازم أول ، وفوق ذلك خسرنا الحرب ، وفقدنا في حرب الجزائر ٢٣٠٠٠ قتيل . وفقد الأميركيون عندما ساندونا ٣٠٠٠٠ قتيل/ وقامت الحرب على بعد عشرة آلاف ك .م . من فرنسا أي على بعد ثلاثة أسابيع بحرا من مرسيليا ، والجزائر على بعد ٢٤ ساعة بحرا ، وينبع في المملكة العربية السعودية على مسافة أسبوع بحرا ، لذا فإنني أقول إن التاريخ أحيانا يخضع لحقائق خادعة ، وأقول الآن محللا : إن تصدع الإمبراطوريات الكبرى على أثر الحرب العالمية الثانية والهزائم التي منيت بها فرنسا في اوروبا وآسيا ، وهزائم بريطانيا وهولندا واليابان ، هذه الهزائم خلقت الاستقلال لفيتنام ولاوس وكمبوديا .

بدأت الحرب في ٢/ ٨/ ١٩٩٠ حين دخلت القوات العراقية الكويت ، وينبغي ألا ننسى ذلك مع مضي الوقت مع المناورات الاعلامية ، التي تجد لها أرضا خصبة في البلاد التي لا يملك فيها الناس حرية التعبير ، وحتى في بلاد أخرى حيث تقود إمبريالية ثقافية إلى تحليل موجه للقضايا الكبرى الدولية ، ولا تندر الأمثلة على المحاولات من

هذا القبيل ، هكذا كان الأمر في الولايات المتحدة في أواخر الستينيات حين قام سلاح الجو الأميركي بمهاجمة قواعد فيتنام الشمالية وقواتها حتى كشفت الصحافة الأميركية من هو المعتدي ، ولقد قامت منازعات على المحميات البريطانية والفرنسية حول الحدود في الشرق الأوسط وكذلك في أفريقيا هناك مناطق لاتزال موضع نزاع غير أن المسؤولين الأفارقة اتخذوا إجمالا القرار الحكيم باحترام الحدود التي أعقبت الاحتلال ، وكان من المحتمل أن يكون المسؤولون في الشرق الأوسط أكثر حكمة ، ولقد كانت دولة الكويت مستقلة ومعترفا بها دوليا حتى من العراق وله سفارة فيه عندما قام بالاعتداء عليها .

لقد عرف صدام حسين كيف يستولى على السلطة وأن يحافظ عليها ولو كان ذلك على حساب سفك الدماء ، ولم يبرهن على بعد نظر في الأمور الاستراتيجية لأنه دكتاتور وطاغية ، فكان مثل هتلر في أيامه الأخيرة يعطي أوامره بالالتحام لقوات لم يعد لها وجود ، وتحررت الكويت بفضل التحام الرأي العام العالمي الذي كان يرى ضرورة تنفيذ قرار الأمم المتحدة رقم ٦٧٨ ، كان الاعتداء على الكويت هو الحساب الخاطئ الثاني الخطير الذي اقترفه صدام حسين وكان الأول في ١٩٨٠ ، وهكذا ترجمت النزهة الحربية بمواجهة قاتلة دامت ثماني سنوات أحاطها إعلام عالمي أن إيران هي المعتدية وبعد انقضائها تبين أن صدام هو المعتدي ، ونعلم أنه ليس بعسكري وأنه جاهل لا يفقه شيئا ، ولقد خفي عليه ما جاء في الكتاب المنشور عام ١٩٧٩ في الولايات المتحدة بقلم الرئيس ريتشارد نيكسون تحت عنوان الحرب الحقيقية ، وإن كان قد قرأه فإنه لم يقرأه جيدا ، وإلا لما أقدم على هذه الحرب جاء في خاتمة الفصل الرابع مايلي : على حكام المملكة العربية السعودية والكويت والدول الأخرى التي تملك مفاتيح الخليج أن يكونوا على ثقة أنهم إذا وقعوا تحت أي تهديد قوي فإن الولايات المتحدة سوف تساندهم بقوة وتعاضدهم ، وعلى الأميركيين ألا يكتفوا بالعزم على استخدام القوة إذا لزم ، وإنما عليهم البرهان أيضا على أنهم سيقومون بذلك ، وينبغي أن يملكوا القوات اللازمة لذلك ، ولعلهم يتعرضون للمخاطر حين يدافعون عن مصالحهم في الخليج ، ولكنهم سيتعرضون أكثر إذا لم يدافعوا عن هذه المصالح .

هذه جولة سريعة حول أسطر كتاب (من ديان بيان فو إلى مدينة الكويت) للجنرال موريس شميت ترجمة دعد الطايع من دار الكتاب العربي في دمشق والقاهرة صدر حديثا في هذه الأيام طبعة أولى ١٩٩٤ وأشكر للأستاذ خالد سالم محمد صاحب سلسلة الكتب التي صدرت له عن جزيرة فيلكا ، تاريخها وتعليمها وحياة سكانها الاجتماعية ، أشكر له إهداءه لي هذا الكتاب الذي أحضره معه من القاهرة والذي احتوى على مذكرات الجنرال موريس شميت من الحرب الصينية إلى حرب تحرير الكويت .

***

ما بعد هذه العاصفة

إن أول إعلان مبكر صدر عن العراق كان ذلك التصريح الذي أدلى به وزير الإعلام العراقي حامد يوسف حمادي بتاريخ ١٧/ ٤/ ١٩٩٤ من صنعاء، وقال فيه : «إن العراق قد تنازل عن مطالبته بالكويت بعد أن فشلت قوته في إخضاع الكويت واعتبارها إحدى محافظاته» .

لقد سبق هذا التصريح تلميحات سابقة لمسؤولين عراقيين في الخارج ولكنها لم تكن بهذا الوضوح ، والملاحظ أن جميع التصريحات كانت خارج العراق لكي لا تخلق إثارة للشعب الذي لازال يتساءل عن تلك المغامرات الهوجاء التي دمرت العراق وشعبه في حربي إيران والكويت ، إن النظام العراقي يريد اعترافا تدريجيا بعد زوبعة يثيرها لكي يدرجها تحت انتصاراته في أم المعارك الكبرى ، وهكذا صدرت تصريحات الاعترافات المبكرة من بعيد كي تتحاشى إثارة الرأي العام داخل العراق ، وكان في ذلك الوقت المبكر من أبريل ٩٤ . وصرح أيضا وزير الخارجية العراقي وأعلن عن استعداد السلطات العراقية لحل مشكلاتها مع الكويت ، ثم جاءت دعوة رئيس المجلس الوطني العراقي سعدي مهدي صالح إلى إجراء حوار وسط ضجيج إعلامي متناقض غير منسق للمسؤولين العراقيين مع الإبقاء على بعض التصريحات المطالبة بإخضاع الكويت والحق التاريخي المزعوم . والحقيقة أن هذه التصريحات المبكرة جاءت كاختبار للرأي العام العالمي الخارجي مثلهم مثل من يقيس غور البئر المظلم الذي لا يرى بالعين ، وجاءت كذلك لتحسين موقف العراق في الخارج ، ولإزالة فكرة الاندفاع والتهور التي اتسمت بالتشديد بالمطالبة بالكويت ، وتحسين الانطباع في الخارج ، وللاقتراب من الأمم المتحدة التي نكث العراق بشروطها بعد أن خضع لكل المطالب أولا ، لكي تقف الحرب عند تحرير الكويت ، ولوقف الاندفاع التأديبي المتوغل داخل العراق ، وما أن أمن على قبول القوت المتحالفة التوقف عن إطلاق النار حتى تنصل من

المطالب الدولية وأهمها الاعتراف بالكويت وحدودها الدولية وإزالة أسلحة الدمار ورد الأسرى والسرقات . التصريحات المبكرة التي طالبت بحل الخلاف ما هي إلا أدوار مرسومة لا يمكن أن يجرؤ أحد على التصريح بها دون إذن صدام حسين . وحلل المراقبون هذا المسعى في إطار محاولة النظام العراقي فك العزلة الدولية عنه منذ عدة سنوات وإقناع الأمم المتحدة وأميركا برفع الحظر الاقتصادي عنه ولتطبيع العلاقات معه ، وادعى أنه التزم بكل قرارات الأمم المتحدة الخاصة بالكويت ، ولم يلتفت أحد إلى هذه التصريحات والتلميحات غير المباشرة ، لا من الكويت ولا من الولايات المتحدة ولا من هيئة الأمم .

ولما وجد العراق أنه لم يحرك ساكنا أراد الالتفاف على إسرائيل ليكون منها السبيل الأقصر نحو إقناع أميركا ودول الغرب ، ولكن أهمل طلبه هذا لكي لا يكون الاقتراب من إسرائيل في هذا الوقت ، ويؤجل إلى حين رغم الاجتماعات السرية والعلنية التي رتبت كل شيء .

وأخيرا سيخضع النظام ويوافق على القرارات وسط النقع الذي أثاره في المنطقة بشرط أن يبقى صدام حسين على رأس السلطة حتى ولو جاء بحركة عسكرية أو اختراق شبيه باختراق الخفجي ، وليذهب الشعب العراقي وجيشه حيث يلحقهما الدمار ويبقى صدام ، ولكن هناك إرادة دولية ومطلب للرأي العام بل وإرادة شعبية عراقية ترغب في إزالة صدام حسين ونظامه ليتفرغ الشعب العراقي للبناء والسلام ، ويسود المنطقة الأمان وتتحقق مطالب الأمم المتحدة ، وليكون ذلك درسا لكل دولة متسلطة على جيرانها الضعفاء ، وأن هناك استراتيجية عالمية ترى من مصلحة المنطقة والدول العالمية المنتفعة بنفط الشرق الأوسط أن يسود السلام والاستقرار . وخير ما قيل في هذه الأزمة كشرط حاسم لانفراجها تلك الكلمة الصريحة الواضحة والشاملة التي ألقاها الأمير سعود بن فيصل بن عبدالعزيز ، أمام الدورة التاسعة والأربعين للجمعية العامة للأمم المتحدة . وجاء فيها : تأكيد المملكة على ضرورة التزام العراق بالاعتراف دستوريا بالسيادة الكويتية وبالحدود المرسومة بين البلدين انطلاقا من حقيقة أن نظام

بغداد لا عهد له ، وأنه ينقض التزاماته وهذا ما يدعوه لضرورة توثيق اعترافه بسيادة واستقلال الكويت في الأمم المتحدة ، وأن يكون الاعتراف دستوريا ومصدقا عليه من قبل المجلس الوطني العراقي ، ويؤكد هذا الإصرار على أن تنفيذ الحكومة العراقية بشكل لا لبس فيه كافة القرارات الدولية إيمانا من المملكة العربية السعودية بأن القرارات الدولية لا يجب الالتفاف حولها ، وأن تنفيذها يجب أن يكون مضمونا وليس مجرد محاولة مكشوفة لإيهام العالم بأنه قد تم الالتزام بكافة القرارات .
والحقيقة أن هذه الكلمة هي خير تعبير قيل للرد على هذه العاصفة المثارة .

***

ملف الانتهاكات العراقية لحقوق الانسان

أكثر من ٤ ملايين وثيقة ، وزنها ١٤ طنا ، حتى الآن ! !

كلفت لجنة حقوق الانسان التابعة للأمم المتحدة السيد «فاكس فاندر ستول» إجراء تحقيق شامل عن التجاوزات الإنسانية والأغتيالات الجماعية التي ترتكب في العراق ، وحاول رجال النظام العراقي عرقلة مهمته ولكنه قام بتهريب الوثائق والأفلام حتى أوصلها إلى الأمم المتحدة والإعلام الهولندي .

جاء ذلك في الصحف الهولندية والتي أذيع منها في الإذاعة الهولندية بتاريخ ٦/ ٣/ ١٩٩٣ ، في برنامج أقوال الصحف الهولندية ، وعندما وصلت بعض هذه الوثائق إلى هولندا ، قامت ضجة إعلامية ، وأخذ التلفزيون يعرض الصور البشعة لعمليات الاعتداءات الشرسة والإعدامات الوحشية في الطرقات والساحات ، وقامت الصحف بنشر جوانب أخرى من هذه الوثائق ، واختارت الإذاعة مقالا مطولا من جريدة «فراي نيدل لوند» الأسبوعية ، وخلاصة ما جاء في المجلة أن الوحشية الدكتاتورية في العراق تفوق أي وحشية في التاريخ ، وأن صدام حسين يفوق هتلر في الوحشية ويزيد عليه زبانية نظامه في البطش والتنكيل .

وتقول الإذاعة الهولندية إن منظمة العفو الدولية كانت تصدر منذ عام ١٩٨٢ التقرير تلو التقرير حول العراق لكن العالم كان يغلق عينيه ، وحتى لجنة الأمم المتحدة لحقوق الإنسان كانت حتى حرب الخليج ترفض إدراج العراق في قائمة الدول التي يجب مراقبة أوضاعها واختراقاتها لحقوق الإنسان ، ذلك لأن العراق كان يعتبر عاملا هاما في المواجهة مع إيران . واليوم فقط انكشف حجم الانتهاكات لحقوق الإنسان التي لا تعد بالألوف ولكن بمئات الألوف ، وثائق الأكراد في الشمال وحرق مدنهم

بالكيماويات ، وهدم القرى وإبادتها وإزالتها عن الوجود بالطائرات والدبابات ، وما جرى من الإبادة في حلبجة ، كل ذلك كان الإعلام العالمي على علم به ، ولكن العيون كانت مأمورة لكي تغض من بصرها ، حتى ينتهي الفصل التمثيلي على الخشبة العالمية ، أو المسرح العالمي ! .

هل تعلمون كم هي الوثائق التي سجلت على العراق وهي الوثائق المتعلقة بأوضاع حقوق الانسان وتجاوزاتها الإنسانية؟ .

إنها أربعة ملايين وخمسمائة ألف وثيقة وصل وزنها إلى أربعة عشر طنا ! ! نعم هذا العدد الهائل ضم ما كان محجوبا حتى تنتهي المسرحية ، وأضيف إليها ما هو دائر بعد حرب الخليج الثانية وتحرير الكويت ، لأن البطش اليومي والانتهاكات اليومية قائمة في الجنوب والشمال بل في كل بقعة في العراق ، بالإضافة إلى ما جرى من الانتهاكات في الكويت .

كيف تم إذن إنجاز أكبر التقارير وأهمها وأخطرهامن السيد «ماكس فاندرستول» بعد تحرير الكويت .

لقد كلفته الأمم المتحدة بإنجاز ذلك التقرير وهو الرجل البالغ من قبل العمر ٦٧ عاما ؛ لأنه أولا هولندي مما يجعله غير مرفوض من الجانب العراقي ، كما أنه معروف بخبرته في مجال حقوق الإنسان حيث كان مقررا للمجلس الأوروبي حول مراقبة الحكم الديكتاتوري السابق في اليونان ، ولكونه عليما وخبيرا بأروقة السياسة الدولية لأنه كان وزيرا سابقا للخارجية الهولندية . ويقول كسياسي خبير : «إن الوحشية والتجاوزات العراقية لا تقارن بأية دكتاتورية سابقة ، ولا بعهد اليونان العسكري السابق ، الذي عندما يقارن بنظام صدام حسين فإنه لا يزيد عن كونه لعب أطفال ، ولا بنظام عيدي أمين ، ولا الخمير الحمر ، إنه يفوق وحشية التاريخ كله» ، وهكذا بعثته

الأمم المتحدة ليكتب تقريرا فأنجز خمسة تقارير مطولة ، أوصل بعضها إلى بلاده فكانت من غرائب الأحداث فانشغلت الإذاعة والتلفزيون والصحافة بنشر وإذاعة هذه الفضائح .

لذا فإن الأحداث لا ترى بوضوح إلا إذا صارت تحت الأضواء الأوروبية العالمية حتى اتخذت لها بعدا أشمل في آفاق الإعلام العالمي .

***

خطاب سياسي أم هذيان؟

في خطاب سياسي متشنج ، صيغ بأسلوب إنشائي متكلف ، تلاعبت فيه الألفاظ ، وتضاربت عبارات الفخر ببعضها البعض ، لتصوغ صروحا في خيال التاريخ فيتحدث عن الثورات وكفاح الأجداد والآباء وكأنه قد توغل في قرون عديدة بينما كان يشير إلى نصف قرن اتسم بالتآمر وبث الفرقة والشقاق بين الأمة ، ومال بعد ذلك كل الميل في الحديث الموجه إلى ثلة عسكرية في حفل تخريجها في ٢٣/ ١١/ ١٩٩٢م ، ثم ضمن حديثه عبارات مضطربة ، فيها تهجم وسباب وتجريح ، الملك حسين اعتدنا منه بسالف عهده الطويل أن يخاطب جمهوره بعبارات منمقة ومتزنة ولا يتجاوز بانفعال حاقد وناكر للجميل ، الآن وبعد أن جاوز أربعة عقود من التصدي للتقارب العربي والعمل ضد الوحدات ، وضد الأنظمة الثورة الآن أخذ ينادي بالثورة ، أي ثورة يقصد وقد كرر نداءه الثوري في أكثر من موضع في خطابه ، وقال مخاطبا الجنود : «لقد ظل جيشنا مثالا في الشجاعة والتضحية والالتزام بمبادئ الرسالة والثورة تجسيدا للحقيقة وانبثاقا من فصائل تلك الثورة وكتائبها ، والتي قاتلت الظلم والاستبداد في الحجاز ،» دون أن يذكر ضد من كانت تلك الثورة فقد كانت ثورة جده ضد الاتراك فقط ، وقال عبارات فيها التكلف الممقوت وهو يسرد مجد جيشه :

«نفخر أن هذا الجيش العربي المصطفوي كان على الدوام مخلصا لشرف الجندية ملتزما بنواميسها ومثلها العليا مؤمنا برسالة الثورة» .

ومن الثورة إلى الحديث عن الديموقراطية التي هي أبعد طرح يمكن أن يثيره جلالة الملك في الأردن مع وجود ذلك المبنى العملاق ، الذي لا يرى غيره من الطائرة في الجو لضخامته ، إنه مبنى المخابرات الأزرق الذي يعذب فيه الشعب على أيدي خبراء الأجهزة الفاتكة ، ويقول في طرحه للديموقراطية :

«لقد اخترنا في هذا الوطن استئناف مرحلة الديموقراطية السياسية الكاملة ، انطلاقا من ثوابت راسخة وفي مقدمتها الالتزام بالدستور نصا وروحا ، وبالعروبة السمحة ورسالة الإسلام الخالدة عقيدة وحضارة . .» .

وأسهب جلالته في الحديث عن الحرية والعدالة وحقوق الإنسان وكرامته فكرا ومنهجا ورسالة ، مضى يردد الكثير من التعبير الإنشائي الذي لا يحمل في مضمونه غير الشعارات الممجوجة التي كفر بها الشعب العربي منذ العديد من العقود لأنها أقوال دون أفعال .

ومضى في التلاعب بالألفاظ قائلا : «لأننا أهل الشرعية والمصداقية على عكس الجاحدين الطارئين على حركة تاريخ الأمة ، ولانزال قادرين على الوقوف في وجه الخطأ والتآمر ، ولو لم يبق منا على هذه الهضبة إلا مثل الذين صمدوا مع محمد عليه السلام» .

تأمل هذا الربط وهذا التشبيه ! ! ثم يتوغل في خطبة فقهية ويوقف التهجم والاستهزاء والتهكم لدقائق ثم يعود ثانية : «في ضوء الدستور والقوانين التي تكبح جماح العابثين ودعاة الفتن وأدعياء الحق وهم منه براء ، وعلى الذين يحلمون أحلاما مزعجة مريضة أن يلتمسوا مكانا آخر غير هذا الحمى لتفسير أحلامهم» .

هذا الأسلوب الخيالي وهذه الألفاظ التي يتلاعب بها ليست من حديث الخطاب السياسي ، ولكنه أراد أن ينهج نهجا آخر في خطابه على غير عادته ، إن جلالته قد فقد اتزان الخطاب بعد أن كان محاذرا يجيد اختيار ألفاظه .

«أيها الأخوة المواطنون لقد ظل نداؤنا القومي يتجدد على مر الأيام والسنين ، وكنا ندرك أن الصادقين القابضين على رسالتهم وقوميتهم وحلم وحدة أمتهم ونصرة أبنائها قد عادوا غرباء في هذه الأرض العربية التي تراجعت يوم كتبت بعض صفحات تاريخها الحديث بمداد إقليمي أو أجنبي ، سواء كانت الأقلام من الذهب الأصفر أو الذهب الأسود ، فقد صمدنا كي لا تسقط رايات ثورة العرب الكبرى من أيدينا» . هل

هذا الكلام هو هذيان المريض القائم لتوه من فراش المرض ، أم هو حالة طارئة هي من المرض ذاته؟؟ ! .

ويقول في خطابه الأسطوري هذا : «كانت مشيئة الباري عز وجل قد تجلت في جعل المدينة المقدسة التي يرقد جوار مسجدها شهيد فلسطين ومفجر ثورة العرب الكبرى الحسين بن علي ، وفي ساحة أقصاها عبدالله بن الحسين مهوى أفئدة جميع عباده المؤمنين بأنبيائه ورسله ، ويوقف اللمز والتجريح ويمضي في خطبته الفقهية ، ويعود بعد ذلك إلى اختلاق المظالم وإلصاقها بأهل الخليج العربي فقال : «وفي فترة قصيرة ينتقلون من أقصى الديموقراطية إلى هوة الإقليمية وأكاد أقول الجاهلية ؛ حتى رأينا عربا يخرجون العربي من ديارهم ظلما وقهرا ويسلبونه حقوقه وكرامته بعد أن أمضى عمره في خدمتهم ، .» مع أن الذين خرجوا حملوا كامل حقوقهم ، ففي الكويت كانوا - دون أهل الكويت - قادرين على سحب أموالهم من البنوك في الوقت الذي كان الكويتي يحدد له فقط مبلغ ٣٠٠ دينار عراقي في الشهر في أثناء الاحتلال ، وبعد أن سحبوا أموالهم وخرجوا من الكويت قبل التحرير ، قامت الحكومة الكويتية بعد التحرير بإعادة أموالهم إليهم التي كانت في حساباتهم مرة أخرى ليتسلموا تلك المبالغ مضاعفة ، أعادت الحكومة الكويتية لهم حسابهم السابق قبل الغزو ولتتضاعف أموالهم ، ثم أخذوا حقوقهم كاملة حسب الأنظمة المتبعة والقوانين الوظيفية ، ولكنه أطلق هذه المؤثرات لكي تتناولها الصحف الأردنية وتزيد عليها قذفا وتجريحا وتلفيق التهم والأكاذيب ، ويؤجج دعوته إلى الثورة ولا نعرف أهي من إرهاصات أم المعارك ، أم إيحاء تولد من تلقين صدام له قبل الغزو ، وتفاعل مع المرض لكي يأتي بصور غريبة وهاك مقولته في ذلك : «إن الثورة العربية لابد أن تدخل هذه المرحلة وهي تستجيب لروح العصر وثورته الإنسانية العارمة القادمة بنظام إنساني غير هذا الذي ادعاه المدعون ، ولابد من صلة الجذور وانفتاح على الحياة وخروج من اليأس إلى زمن لا يمد فيه الجنوب يده متسولا من الشمال ، ولا تطغى فيه مصلحة الطائفة والعرق والمذهب ،

نظام فيه نقاء الروح وطهر الثوريين الحقيقيين بعيدا عن اللوثات النفطية ، فليتقدم المناضلون والمفكرون وطلائع الأمة الطيبة الصادقة الفقيرة الكريمة إلى حمل الرسالة . .» هل ينوي الملك أن يجرد جيشا آخر وهو في مؤثرات المرض الأخير؟ .

أي ثورة يبغي؟ وأي إصلاح يريد من جيشه؟ .

الملك حسين الذي عرفناه متزنا ومحاذرا في خطبه ، وعرفناه كيف يعلل الخطأ ويهون الأمور في كلام جميل ، يميل هذه المرة كل الميل إلى اندفاع مدمر ، مناديا إلى ثورة عارمة وإلى تغيير الكون ، وقد أشعل في خطابه هذا أتون الصحافة ، وهامت هي الأخرى في السباب والتجريح والشتم والقذف . هل حقا هذا هو هذيان المرض أو حالة من حالات المرض الخطير؟ !!

***

العراقيون يعيشون حياة مرفهة ! !

هذا العنوان هو تصريح لصدام يوم الجمعة ١٧/ ٦/ ١٩٩٤ ، وقالت عنه جريدة أخبار اليوم القاهرية إنه من تخريف صدام ، وعلقت عليه الجريدة في عددها ليوم ١٨/ ٦/ ١٩٩٤ هذا هو الإعلام العراقي يعتمد على الكذب والانتشار والتكرار وليس بصحيح من يصفه بأنه إعلام قوي ، الاتحاد السوفياتي أقام له صرحا سياسيا عظيما اعتمد على الدعاية والإعلام واشتهر بإذاعاته المرسلة والناطقة بمعظم لغات العالم حتى كسبت الشيوعية كثيرا من الشعوب ، وكان الإعلام الشيوعي يصف نظامه بأنه هو المنقذ للبشرية من هاوية السقوط إلى الدرك الأسفل نحو البؤس والشقاء وأنه ملجأ الفقراء والمعدمين لخلاصهم ، وما أن انهد صرحهم السياسي حتى عرفت الشعوب أن ذلك مجرد وهم كبير بني على الخيال ، هذا هو الإعلام العراقي أيضا الذي مازال الكثير يدعونه بالقوة والانتشار .

والإعلام إذا افتقد الحقيقة فإنه كغيره من الصروح الوهمية قد ينخدع بها الكثير ولكن سرعان ما تتبدد وكما قال الله تعالى : «كذلك يضرب الله الحق والباطل ، فأما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض» (الرعد : ١٧) .

وصدام حسين يهذي كل يوم فيتكلم عن الجيش والعسكر عن الاقتصاد والهندسة والطب ، حتى إن الكلام يقذفه على عواهنه .

مشكلات النقل

قبل تصريح صدام حول رفاهية الشعب العراقي بأربعة أيام في ١٣/ ٦ , ٩٤ كان قد صرح لوسائل النقل الحكومية والخاصة باتباع مبدأ التكافل ـ على حد تعبيره ـ بين الموظفين للإسهام في التخفيف من مشكلة النقل القائمة فتقوم هذه السيارات بنقل

المواطنين بأجور تعود إلى ميزانية الدولة ، والسيارات هذه لمن هو دون درجة مدير عام ويستخدم سيارته فعليه أن ينقل معه زملاءه بأجر ، ويعاقب كل من يمتنع بعقوبة العزل وحرمانه من الحقوق التقاعدية .

لاحظ أن السيارات خاصة وتكون الأجرة لصندوق العاملين أما صاحب السيارة فله مكافأة نقلية شهرية تحددها الدائرة المعنية .

وفي تاريخ ١١/ ٦/ ١٩٩٤ الثاني من محرم حدد مجلس الوزراء أجور العمال والموظفين حسب توجيهات صدام ، وتصل بعض الزيادات إلى ٥٠٪ .

بناء طابوق ١٥٠ إلى ٢٠٠ دينار ، مبيض جص ١٢٥ ـ ٢٠٠ دينار ، مطبخ كاشي فرفوري ١٥٠ ـ ٢٢٥ دينارا ، حداد تسليح ١١٠ ـ ٢٠٠ دينار ، مشغل الساعة ١٠٠ ـ ١٥٠ دينارا ، وقاط معمل ١٠٠ ـ ١٥٠ ، لحام ١٠٠ ـ ٢٠٠ ، صباغ ١٢٥ ـ ١٧٥ ، طباخ ١٠٠ ١٥٠ ، موظف غسل وتشحيم ٧٥ ـ ١٢٥ ، سائق سيارة ٧٥ ـ ١٢٥ .

هذه هي الرفاهية التي يقول عنها صدام ، والتي يتمتع بها الشعب العراقي ويحسده عليها الشعب الأميركي .

وعليكم بمقابلة هذه الأجور بأي بلد في العالم ، هذا إذا علمنا بالغلاء وتدني قيمة العملة في الداخل والخارج وإذا كانت كرتونة البيض بقيمة ٦٠٠ دينار والخضار واللحوم بالعشرات والمئات وقيمة الدينار الذي اتهم في يوم من الأيام الكويت بأنها خفضت قيمته إلى نصف دينار كويتي ، قبل الغزو كان دينارهم بمائة فلس كويتي وفي أثناء الغزو انخفض إلى خمسين فلسا ، وانحدر حتى صار نصف فلس كويتي الآن ، والأجور التي ذكرتها هي بعض المعلن عنها كما صدر من مجلس الوزراء بتعليمات السيد الرئيس ـ هذا هو الإعلام العراقي الذي يعلن دائما بتحسن حاله واقتصاده وأنه يعيش في رفاهية أرقى الأمم .

قطع يد ورجل اللص

وفي يوم ٤/ ٦/ ١٩٩٤ أصدر مجلس قيادة الثورة قرارا يقضي بتطبيق عقوبة قطع

اليد اليمنى من الرسغ على كل من ارتكب أيا من جرائم السرقة المنصوص عليها في القانون رقم ١١١ لسنة ١٩٦٩ ، وعلى مرتكبي جريمة سرقة السيارات قطع الرجل اليسرى من مفصل القدم للسارق في حالة العودة .

وليس امتثالا للأحكام الشرعية بل استنادا إلى أحكام الفقرة أ من المادة ٤٨ من الدستور ومواد العقوبة من ٤٤٠ إلى ٤٤٥ من قانون العقوبات رقم ١١١/ ٦٩/ ١١٧ .

ومن القانون العسكري رقم ١٣/ لسنة ١٩٤٠ . وتصل إلى الإعدام إذا كان السارق حامل سلاح .

استثناءات تنفيذ الأحكام

أ ـ لا تنفذ أحكام القطع إذا لم تزد الأموال المسروقة على خمسة آلاف دينار .

ب ـ إذا حصلت بين الزوجين والأقارب إلى الدرجة الثانية .

جـ ـ إذا كان مرتكب الجريمة حدثا .

د ـ إذا رأت المحكمة دواعي الرأفة .

يعمل بهذا القرار من تاريخ نشره بالجريدة الرسمية ،

التوقيع : رئيس مجلس قيادة الثورة صدام حسين ،

وهكذا يقول الإعلام العراقي إن النظام مستتب ، وأن الأمن قائم والعدالة تأخذ مجراها ، والشعب يمتثل لقضاء رئيسه ونظامه وقوانينه .

وبعدها يقول الرئيس إن الشعب العراقي يعيش في رفاهية أكثر من الشعب الأميركي ويقول بعض رواد الدواوين إن الإعلام العراقي قوي !! .

***

الاعتداء في إبريل ١٩٩٣ والخديعة في إبريل ١٩٩٤

عاد سطوع نجم رئيس مجلس الأمة السيد أحمد السعدون بعد رفضه الشديد والحاسم في بيانه المعروف الذي أطلقه من تحت قبة البرلمان في ١٩/ ٤/ ١٩٩٤ لدعوة رئيس المجلس الوطني العراقي سعدي مهدي صالح ، الذي طالب باجتماع المجلسين لتسوية الخلافات بين الجانبين . وكانت العراق دائما تفسر خلاف الرأي بين الشعب والحكومة أنه انشقاق يمكن الدخول بينهما ، وتتصور أنه قد يحدث فراغ تتحرك فيه ، هذا ما اعتقدته عندما حلت حكومة الكويت مجلس الأمة في ١٩٨٦ ، عندها فكر صدام في تعجيل الغزو وعلم بذلك مؤيدوه بما فيهم منظمة التحرير الفلسطينية ، وكشفها المتابعون لجلسات حزب البعث السرية ، والأوساط العسكرية العراقية ، ثم تأجيل الغزو لرجحان كفة القتال في الجبهة الإيرانية ، وعلم بهذا التأجيل أفراد وجماعات متواجدة في الكويت .

لقد قذف السعدون الكرة ليس في الملعب العراقي بل في وجه رئيس المجلس الوطني ، لكي ينبه أن الشعب والحكومة في الكويت يد واحدة ، وليس هذا بأول رد بل قالها الشعب كله عند احتلال العراق للكويت ، فلم يتقدم أحد ليؤيد الاحتلال رغم اختلاف مشارب الناس ، كظاهرة فريدة في التاريخ ، ولم يتقدم حتى المنافقون وضعاف النفوس ، هذا ما جعل هذا النظام يبطش وينكل بالشعب بقسوة وبتحد صارخ .

وبين السعدون أن الشعب والحكومة جبهة واحدة كما كانا دوما في جميع فترات التاريخ وفي فترة الاحتلال وحتى الآن .

وحاول العراق أن يوسع نطاق هذا التحرك عبر إعلامه ، ومجال تحركاته في العالم ، وكذلك عبر الجامعة العربية حيث التقى نبيل نجم مندوب العراق الدائم لدى

الجامعة ، وتم البحث في هذه الدعوة المرسلة من المجلس الوطني العراقي ، وإمكانية بحث الزيارة المقترحة لوفد من البرلمان الكويتي إلى العراق .

كيف يكون ذلك والعراق مازال سادرا في غيه؟ كيف يعارض استقلال الكويت ويطلب لقاء وفد من برلمانها؟ لماذا لم يطلب العراق ذلك قبل أن ينفذ خديعته الكبرى واعتداءه على الكويت؟ فلو كانت نواياه حسنة لطالب وفد مجلس الأمة قبل غزوه للتشاور حول نزاعات ما قبل الحرب ، ولما قام بالغدر وبث جراثيمه اللاأخلاقية وسمح للرعاع بأعمال الشغب والسرقة في البلاد ، وإشاعة الرعب والهلع ، وقتل الشباب لأي تهمة ملفقة ، وزاد فيهم الطيش لعناد أهل الكويت وتمسكهم ببلادهم وأرضهم ورفضهم الإنصياع للغزو العسكري .

وقد جاء طلب المجلس الوطني العراقي حضور وفد من مجلس الأمة الكويتي إلى العراق في شهر إبريل من العام «١٩٩٤» ، وفي الشهر نفسه من عام «١٩٩٣» كانت حادثة تطاول الوفد البرلماني العراقي ومحاولته الاعتداء على رئيس مجلس الأمة وأعضاء الوفد الكويتي في اجتماع مؤتمر البرلمانيين العالمي في الهند ، حيث كان الاعتداء في ١٣/ ٤// ١٩٩٣م .

إذا كان أعضاء المجلس الوطني لم يحترموا وفود العالم وتطاولوا على الوفد الكويتي واندفعوا بصورة غوغائية ؛ لكي يعتدوا بالشتم والضرب ، كظاهرة لم تحدث من أي وفد ولا حتى الدول المتخلفة ، وهذا يثبت أن العراق الآن في نظامه الحالي قد انحدر إلى الدرك الأسفل من الانحطاط والسقوط ، فكيف يمكن أن يثق عاقل بدعاواهم الكاذبة بعد ذلك ؟ ! .

ونعرف أن التحركات الصغيرة والكبيرة لا تحدث إلا بعد موافقة وتوجيه من صدام فهذه الدعوة والخديعة هي من صدام أيضا ؛ لأن المجلس الوطني الممثل بمجموعة من الدمى ليس لها رأي ولا كلمة أمام انهيار العراق وسكوت شعبه ، ومجلسه الصوري .

مجلس الأمة الكويتي من المجالس المشهود لها عالميا ، بنزاهة آرائه واستقلاله عن أي

تأثير حكومي والحكومة تقف مساندة ومنفذة لكل الأحكام التشريعية ، البرلمان العراقي يعزف مقولة سيده وادعاءات نظامه ، حتى في دعوة الخداع المقترحة للقاء بين المجلسين ويقول الطرف العراقي إنه يريد التوصل إلى مصير من فقدوا خلال الاحتلال العراقي للكويت ، ويقول إن الكويت مازالت تعتقد أنهم محجوزون في العراق ، وهي تنكر ذلك .

وقام بالحال وزير الخارجية الشيخ صباح الأحمد فشكر رئيس المجلس على كلمته وأكد تلاحم الشعب ووقفته القوية الواحدة مع الحكومة ، وأنه لا توجد أي خلافات بين السلطتين التشريعية والتنفيذية .

وهكذا يطلب العراق المعتدي من الدولة التي اعتدى عليها الحضور وكأن لم يحدث ما حدث من احتلال ودمار وضياع وتشريد ودماء أهدرت وشهداء وأسرى ، ثم الأضرار التي لحقت بالبلدين وتضرر دول الخليج العربي ، وقطع أرزاق العاملين في الكويت من البلاد العربية والصديقة وملاحقة الفارين من الكويت وسلبهم وتوجيه الإهانة لهم ، الآن يتحركون بحجة التقارب والوحدة العربية ، في الوقت الذي لم يبد العراق أي نية حسنة نحو الكويت ، ومازال المجرم يتربع على عرش العراق ويذل شعبه وينتهك الحرمات ويبطش ويدمر دون حساب ، المجلس الوطني العراقي عليه مسؤوليات جسام منها الإطاحة بالمجرم الكبير وحماية الشعب العراقي وتوفير قوته ومصادر رزقه .

***

الأرسوزي والحوار القومي والإسلامي

لقد ظل الإسلام منهجا فكريا يحكم العلاقات الرابطة بين أبناء الدولة الإسلامية وفي جميع المناطق التي وصل إليها الإسلام مع الأخذ بعين الاعتبار أن العنصر العربي هو الذي تولى السلطة في العصر الذهبي للدولة الإسلامية ، ثم آل أمر الدولة لغير العرب ، فتولدت صراعات قومية داخل النطاق الإسلامي كل منها يرمي إلى تولي السلطة ، وما زالت الأمة العربية تعاني نتائج هذا الصراع ، ذكر الدكتور سليم ناصر بركات في كتابه «الفكر القومي وأسسه الفلسفية عند زكي الأرسوزي» .

«إن تواجد المقومات المكونة للقومية العربية وتفاعلها قد وجدت في ظل الإسلام وان هذه المقومات تمثلت في العهد الأموي ، ولكن القومية العربية واجهت انحسارا كاملا في ظل العباسيين والسبب في ذلك فتح الباب على مصراعيه للموالي في الإدارة والحكم» .

ومما ساعد على هذا الانحسار تحول قاعدة الملك من دمشق إلى العراق القريب من فارس والمتأثر بها ، فتلونت العادات والمفاهيم والقيم باللون الفارسي ، وبدت الصفات العربية تخبو وتذبل وتختلط مع غيرها لتفقد مميزاتها ، واستمر السلطان الفارسي يتلاعب بمصير الدولة العباسية ردحا من الزمان ، ليجد في منتصف القرن التاسع تدفقا قوميا آخر من الأتراك وأراد المعتصم أن يتخلص من التغلغل الفارسي في الحكم فاستجار بالمماليك الأتراك ، ولم يستعن بالعرب وجاء الصراع على الخلافة أو الأصح السلطة فارسيا تركيا ، حتى امتد أمده إلى أربعة قرون» .

وجاء التتار بعد سقوط بغداد في القرن الثالث عشر وبقي المفهوم الإسلامي للقومية في القرون الوسطى تتمة للمفهوم الإسلامي الواضح الذى أرسى القرآن الكريم قواعده وهو أن لا قومية في الإسلام ، وأن المسلمين كلهم أمة واحدة مهما

كانت جنسيتهم ، وفيه تذوب كل القوميات ، وخضع العرب للأتراك أربعة قرون وصاروا في الدولة الإسلامية طبقة ثانية كما كان الموالي في العصر الأموي ، واهتم الأتراك بقوميتهم وتعصبوا لها ، فاضطهدوا العرب وسعوا إلى نشر لغتهم في الإدارة السياسية وفي التعليم والثقافة . وهنا بدأت الحركات القومية العربية للخلاص من الاضطهاد والظلم التركي .

وجاء القرن التاسع عشر الميلادي عصر القوميات الأوروبية ، فزادت المطالبة بإحياء الشعور القومي والتخلص من التسلط العثماني ، وجاء التوجه الغربي الذي بشر العرب باستقلالهم عن الأتراك ، وما أن انتهت الحرب العالمية الأولى حتى هيمن الغرب على الدولة العربية .

وتولد في عهد الاحتلال والهيمنة الغربية تياران قومي وإسلامي ، وكان بينهما توافق كبير يرمي إلى تحرير البلاد واختلاف في كيفية إدارة البلاد العربية ، حتى نشبت خلافات فكرية تصدى لها رجال مفكرون في مجالات الأدب والسياسة وعلوم الدين .

فظهر جمال الدين الأفغاني كمفكر إسلامي ومحمد عبده ، وطالبا بالتفكير الاصلاحي والاعتماد على الاجتهاد والفكر والتراث .

ووجدت الحركات الإصلاحية في العرب ، الشعب البارز بين الشعوب الإسلامية والأفضل للقيادة ولإعادة الإسلام لمكانته وتكون عندها النهضة العربية ضرورة أولى لنهضة الإسلام .

وجاء الكواكبي ليرسخ فكرة أهمية الدور العربي في الإسلام ، ويدعو إلى عودتهم إلى دورهم الثقافي ، وهم أقدم الأمم مدنية ، وأحرصها على الحرية والاستقلال ، وأنهم الوسيلة الوحيدة لجمع المسلمين ، كما كانت لهم الريادة في نشر الإسلام .

ولكي ترسخ هذه المفاهيم ظهرت جمعيات ثقافية تنادي بالاهتمام باللغة العربية ، وجعلها اللغة الرسمية في البلاد ، والاهتمام بإحياء التراث العربي ، وظهرت بعد ذلك

الأحزاب وتجاذبت المطالبة بين تيارين أساسيين إسلامي وقومي .

وتعددت الأحزاب الأخرى حول هذين المحورين ، وتدخلت حركات أخرى مستغلة الاندفاع الشعبي فاندست تحت تلك الشعارات تارة باسم القومية وأخرى باسم الدين حتى تتشعب التوجهات ويستمر الصراع ، وما أن تضيق الهوة بين التيارين حتى يباعدوا بينهما ، وكانت لدول مختلفة مصالح في هذا الشتات وهذه التفرقة ، وبعد التجارب التاريخية تبين أن كثيرا من الدعاة كانوا يسبحون في فلك الأيديولوجيات المعادية للعروبة والإسلام ، وقد اندست لتوسع رقعة الشقاق ، وهكذا إلى أن تبينت للشعوب صحوة أخرى لترى السبل الصحيحة والمسالك الواضحة في مسيراتها الحياتية ، وشؤونها السياسية .

الأرسوزي وليس عفلق

أسس زكي الأرسوزي حزب البعث في شهر يناير ١٩٤٠ بهذا القسم : «أقسم بعروبتي وشرفي ، أن أكون وفيا لمبادئ حزب البعث العربي وأن أعمل على تحقيق أهدافه» وتطلعا إلى وحدة الأمة العربية ، مقارنة بالتغييرات الحضارية الحديثة من الثورة الفرنسية ، وبعث الأمة الألمانية ، والوحدة الايطالية وكيف نهضت اليابان من ظلام الإقطاع والتخلف إلى قيادة الركب الحضاري من أقصى الشرق ، أسس هذا الحزب وكان رائده الأول هو إرادة الشعب ، وحرص كل الحرص على ألا ينقاد هذا الحزب وراء المؤثرات الشخصية والزعامة الفردية والضغوط الخارجية .

وعاصرت مرحلة تأسيس الحزب أفكار وحركات مختلفة انتشرت في الوطن العربي ، كالأفكار الشيوعية والنازية ، وساعد التخلف العربي على تقبل هذه الأفكار فعاش الوطن العربي في صراعات بين مرحب بهذه الأفكار ومعارض لها ، وفي داخل سوريا كان النشاط الحزبي بين الكتلة الوطنية ، وعصبة العمل القومي التي تعاون معها زكي الأرسوزي في الفترة الأولى قبل تأسيسه لحزب البعث . وانفصاله عن الحزب السابق .

الدكتور سليم ناصر بركات يحدثنا عن ولادة هذا الحزب وكيف تآمر عليه ميشيل عفلق وتولى قيادة هذا الحزب بواساطة قوى أخرى ، حتى سيطر عليه وأبعد مؤسسه ليبعده عن أهدافه ، كتاب الدكتور بركات هو «الفكر القومي وأسسه الفلسفية عند زكي الأرسوزي» .

وكانت الهوة بعيدة بين الحزبين البعث ، والإحياء العربي ، حتى اقترب الحزب الثاني طالبا الاندماج مع الأول بحجة نصرة العراق عند ثورة رشيد عالي الكيلاني ، وكان الأرسوزي لا يعطي الكثير من الجهد لأن يفسر ما ترمي إليه هذه الحركة التي ولدت إثر حادثة عابرة في تاريخ الوطن العربي ، ولم يستعجل بالاعتراف بهذه الثورة ، ولا بمن نصبوا أنفسهم بالمناصرين لها ، فكان يعتبرها ثورة غير صحيحة ، لا لشيء ، إلا لأنه كان عديم الثقة بأي زعيم سياسي عربي ينطلق من ذاته ، فثقته كانت دائما بالشعب ، وهذا الاندفاع الآني لحادثة عابرة غير كاف لخلق حزب ، وتقارب تلامذته مع الحركة الأخرى دون رغبته ، ولقد حذر تلاميذه وأنصاره من التقرب لحزب عفلق ، واعتبرهم الأرسوزي أنهم ليسو أهلا للقيادة أو جديرين بها ، ولكن هؤلاء قد متنوا علاقتهم الشخصية ببعض تلاميذ الأرسوزي ، ورغم ذلك تم الاندماج الذي رفضه الأرسوزي منذ اللحظة الأولى ، ولم يعترف به حتى آخر حياته . وعقد المؤتمر التأسيسي الأول للحزب دون مشاركة الأرسوزي في ٧/ ٤/ ١٩٤٧ .

ويمضي الدكتور سليم بركات في الحديث عن الأرسوزي فيقول : إنه قد مضى في تدوين فلسفته القومية وتفرغ لكتابة بعث الأمة العربية . وبعد أن أيقن انحراف قيادة الحزب ، وبعد عملية الدمج وسيطرة ميشيل عفلق على الحزب ، انكفأ عن العمل السياسي لينصرف إلى تأملاته النظرية ، والتأليف في أصول اللغة العربية وفلسفتها حتى ترك للمكتبة العربية ستة مجلدات قيمة .

بينما بقي عفلق بلا فكر ، يردد أقوالا في نشرات محدودة ، ليس فيها من التراث اللغوي ولا القومي ، وليس لفكره أي عمق مرتبط بتاريخ الفكر العربي ،

هذا في الوقت الذي ترك الأرسوزي ستة مجلدات لتحتويها المكتبة العربية ، ولولا القيود الإقليمية والعصبيات لانتشر فكره في العالم العربي ودخل كل الجامعات ، ومن مؤلفاته في اللغة : «العبقرية العربية في لسانها» و«رسالة اللغة» و«اللسان العربي» .

وله مؤلفات في الفلسفة العربية المدنية والثقافية وفي الفن والأخلاق والأمة والأسرة ، وله مؤلف «مشاكل القومية وموقف الأحزاب منها» ومؤلف متى يكون الحكم ديموقراطيا؟ ومن «آثاره الجمهورية المثلى والتربية السياسية» . هذا هو العالم القومي الذي أراد أن تكون الصحوة القومية والبناء القومي على أساس ديموقراطي وحضاري وليس بهيجان الرعاع الذي يتبارى على قيادته المتطلعون للحكم الديكتاتوري ونيل المقاصد بالظلم والبطش وقهر الناس .

* * *

في منازل المقاومة الكويتية
أدوا واجبهم ، فأين حقوقهم؟

الشهور السبعة العجاف التي تحملها الصامدون في البلاد كانت أثقل على صدورهم من بلاء الدهر كله ، وأبغض الذكريات إلى نفوسنا هو استرجاع ذكرى هذا البلاء ، ومن السهل على المرء أن ينسى أيام أنسه وسعده ، ولكن أيام المحن تبقى محفورة في القلوب وتحملها النفوس من جيل إلى جيل ، وتبقى غائرة في قلوب الصغار مع أيامهم وأعمارهم المديدة القادمة حتى يودعوا الحياة .

في أيام الاحتلال الطويلة الثقيلة كانت سلوتنا هي لقاءات بين الصامدين الذين احتضنوا الأرض وتشبثوا بتراب الوطن ، ومجالسة الأبطال الذين بثوا في النفوس قوة الصمود ، وبرزت شجاعة العصيان وعدم المبالاة بالأهوال الجارية والمشاهد البشعة غير الإنسانية التي كان يمارسها الغزاة في كل لحظة من البطش والنهب والتجاوزات اللاأخلاقية لتحطيم النفوس ، ونشر الرعب في كل بيت وكلما ضاقت بنا الأرض تحت أقدامنا ذهبنا إلى منطقة أخرى ، إلى ديوانية نائية ، أو إلى بيت تتراءى فيه النفوس وتطمئن إلى خبر جديد ، حتى الأخبار التي لم تؤكدها الوقائع كانت كجرعات شافية ، تقرب الأمل المنشود وتبعد الألم ، كانت دواء شافيا ، عند إشاعة قتل عدو أو انسحاب القوات المعتدية ، كلها كانت تبدد اليأس من القلوب .

الشجعان السبعة

ومن المشاهد البطولية التي شاهدتها تلك التي تمثلت في سبعة من الإخوة ، سبعة رجال بل سبعة أبطال شجعان ، أدخلوا الحماس في بيوت كثيرة ، وشدوا من أزر الكثير ، وأنقذوا العديد من ورطة التفتيش الجائر ، سبعة من الأخوة انتقل إلى رحمة الله والدهم قبل الغزو بسبعة أشهر ، وعندما صارت المخازن التموينية نهبا للجيش

الزاحف واللصوص المنتشرين في كل مكان كان المنزل رقم «٢» في شارع المعتمد «قطعة ٢» في الرميثية مخزنا رحبا ، لتوزع منه المواد الغذائية إلى البيوت في تلك المنطقة ، وكانت القوانين الجائرة قد حكمت بالاعدام على كل من يختزن مواد تموينية ، وكان الأخوة وأمهم الشجاعة الأصيلة ونساء هذا البيت يوزعون الأموال التي كانت ترد من لجان التكافل ، وبعد اعدامات الموزعين للمال قلت قنوات التوزيع وكان أهل البيت يواصلون توزيع المال والمواد الغذائية ، والأخ الأكبر سليمان وهو عسكري في البحرية هو الذي تحمل مسؤولية جلب المال وتوزيعه بوساطة العائلة .

بطولة عوض

حكم جائر آخر بالإعدام بل بنسف المنزل بمن فيه بالنسبة إلى من يزور الهويات لينقذ الآخرين من جور المساءلة والتفتيش الأرعن .

عوض : وهو أحد الأخوة كان يقوم بمهمة تبديل الهويات واستبدال الهوية المدنية بالعسكرية ، وهويات بعض الأعمال بأعمال أخرى تبعد عنهم الخطر ، فإذا كان تزوير هوية واحدة حكمه الاعدام فما بال الأخ عوض وقد أصدر ١٧٠٠ هوية ، ويشهد بذلك له ضباط في الشرطة والجيش وأطباء وكثير من المواطنين ، هذا الإنسان الشجاع استرخص نفسه وجعل الخطر يحوم حول بيته ليل نهار ، من أجل خدمة المواطنين ، وهكذا كان هذا البيت ـ ومثله بيوت كثيرة ودواوين عديدة ـ تتحدى الغزاة بصورة مثالية للتحدي الجريء والمجابهة الانتحارية التى أفزعت الطغاة المعتدين ، حتى أن مقولة ترددت من أفواه جنودهم إن الفزع الذي شعروا به في الكويت خلال هذه الشهور لم يحسوا بشيء منه خلال ثماني السنوات التي قضوها على الجبهة الإيرانية ، وكانت كلمة المقاومة ترعبهم وتهز الأرض من تحت أقدامهم .

ألا يستحقون الجنسية؟

العائلة التي تحدثت عن بطولة أبنائها السبعة هم أسرة من أم كويتية وأب يماني قد تزوج في بداية الخمسينيات وانتقل إلى جوار ربه قبل الغزو الآثم بسبعة شهور ، ومأساة

هذه الأسرة أن الأبناء قد حرموا من الجنسية الكويتية رغم أن والدهم قضى أربعين عاما دون أن تمنح له الجنسية ثم جاء الأبناء ليحرموا منها أيضا ، والأم الكويتية لها بيت حكومي وإن انتقلت إلى رحمة الله تعالى فإن هذا البيت سوف يسحب ؛ لأن الأبناء الساكنين فيه غير كويتيين ـ وعندما جاء الغزو فإن الأبناء قد جندوا أنفسهم للدفاع عن الوطن والمواطنين الكويتيين ، ولم يقل أحدهم أنه قد حرم من هوية الانتماء فلماذا يدافع عن بلاد يفصلها عنه حاجز منيع هو حاجز الغربة ، الوالد رحمه الله قد مضى عليه أربعون عاما وهو يحتضن هذه البلاد ، الأبناء ولدوا فوق تراب هذا الوطن ، والأم كويتية من عائلةترعرعت على هذه الأرض .

لذا فان الإحساس اللاإرادي الذي انطلق من هذه الأسرة وقدمت نفوس أفرادها فداء للوطن ، هو إحساس مواطن غيور على وطنه يفتديه بكل مرتخص وغال ، هذه الأسرة يجب أن تنال حقها وتكون واسطتهم أعمالهم في شهور الغزو ، وحبهم الكبير للوطن والمواطنين ، هذه الأسرة وكثير من الأسر التي برهنت على صدق ولائها وحقها السابق يجب أن توضع على رأس قائمة المستحقين لنيل الجنسية .

الضباط والقياديون وأبناء الأسر الكبيرة التي لجأت إلى هذا البيت لتسهيل مهامهم في البطاقات المصدرة يجب أن يردوا ذلك الجميل ولو بكلمة صدق تعين هذه الأسرة على محنتها .

آن الأوان لكي نتفقد الذين حجبت عنهم بعض الحقوق ، لظروف ومسببات كثيرة ، وجاء الوقت لبناء مجتمع أفضل في خدمات اجتماعية صميمة ، ونحو مستقبل أفضل .

***

الإعلام العراقي في المغرب وتكتل اليسار

ما زال العراق يتحرك بإعلامه في دول المغرب العربي ، أو كما اصطلح على تسميتها الدول المغاربية ، العراق كما نعلم قد أخرج أموالا طائلة إلى بنوك سويسرا قدرت بثمانين مليارا في الأيام التي كانت الجسور الجنوبية قائمة وتمد العراق دون حساب ، وأراد العراق من ذلك أن يقمع أي تغيير وأي انقلاب من الخارج ويوزع الأموال في إعلام خارجي منظم ليبقى صدام حسين ونظامه .

وجند ذلك جيشا من المخابرات والاعلام الحزبي وكسب معظم الذين درسوا في العراق وقبلوا حمل الدعاية . في المملكة المغربيةصحيفتان الأولى باسم (دفاتر) ويرأس تحريرها الكاتب العراقي أمجد ناصر حسون والمديرة المسؤولة زوجته نعيمة الروحي من المغرب .

هذه المجلة شهرية ثقافية اقتصادية ولكنها خرجت كنشرة يومية لتغطية المؤتمر والهجوم على الكويت ، فحمل العدد رقم ١٢ / ١٣/ ٩٥ على الكويت ومما جاء في الصفحة الأخيرة تحت عنوان نجحت القمة الإسلامية . سقطت نوايا الحكماء ، وقصد (بالحكماء) الكويتيين وهذا بعض ما جاء في النص : «وتشاء إرادة ـ حكماء ـ الكويت أن يسيروا عكس التيار وأن يناطحوا وحدهم مشاعر وإرادة المجتمع الدولي الإسلامي والعربي قبل ذلك ، تأبى إرادتهم إلا أن تفسد تلك الآمال العريضة التي عقدها قادة الأمة» . ويقصد الكاتب بالمؤتمر المؤتمر الإسلامي السابع الذي عقد في المغرب وحضرته الكويت ، والجريدة الثانية التي تهاجم الكويت كل يوم أثناء المؤتمر هي جريدة (أنوال) مدير النشر فيها حسين كوار ، هاجمت في يوم الخميس ٥/ ١/ ٩٥ الكويت لأنها أسقطت الديون عن سوريا ومصر وقالت إن ذلك مجرد استعراض إعلامي ، وأنها احتضنت أمين عام الجامعة العربية وقلدته الوسام لكي يتعاطف معها .

أما في اليوم التالي وهو الجمعة ٦/ ١/ ٩٥ فان هذه الجريدة كتبت مقالة تحت هذا العنوان : «القمة العربية بين التعنت الكويتي والضوء الأخضر السعودي» وذلك حول قمة الاسكندرية التي انقضت ومما قالته بعد انتهاء قمة الاسكندرية : «توجه أمين عام جامعة الدول العربية في جولة خليجية ابتدأها بالكويت في محاولة لجس النبض ولكن محاولته باءت بالفشل الذريع واضطر أن يتراجع عن تصريح القمة العربية ليتحدث عن «مصالحة» عربية أولا واستشهدت بجريدة الانباء الكويتية التي قالت : إن عقد القمة حاليا أمر غير وارد لأن ظروف انعقادها غير متوافرة ثم قالت جريدة (أنوال) مستطردة :

الكويتيون لم ينتظروا طويلا وفور وصول أمين الجامعة لبلادهم استقبله وزير الخارجية الشيخ صباح الأحمد الجابر حيث قال : إن الغزو العراقي والتأييد الذي حظيت به بغداد من بعض الدول العربية لا يمكن غفرانه ، وأرادت الجريدة ربط الوسام الذي منحته الكويت للسيد عصمت عبد المجيد بالمتغيرات السياسية وما قاله بعد ذلك ـ أي عبد المجيد ـ «ما لم يمتثل العراق للمطالب الأممية التي هي في الأصل مطالب عربية وكويتية ودولية فان أي مساع للاصلاح ستنتهي إلى الفشل» .

وهكذا تقحم الجريدة المذكورة اسم الكويت على أنها عائق للإرادة العربية ، وتفرد هذه الجريدة مساحات لخطب وأقوال صدام حسين ففي هذا العدد نجد هذا العنوان :

«صدام حسين انتصرنا على إيران عسكريا وفكريا وسياسيا» . أما الصفحة الثالثة فانها تخصص لمحمد حسنين هيكل في موضوعه (العرب على أعتاب القرن ٢١) وذلك في حلقات يومية .

الدارسون في العراق من أبناء الدول المغاربية أغلبهم يعتبرون أنفسهم على «مذهب» حزب البعث حتى الذين درسوا في العهود السابقة للثورة العراقية كما هو عند مشاعر رئيس الوفد التونسي الميداني بن صالح ، إنه أحد الأصوات الثلاثة التي وقفت ضد الكويت وتآزرت مع العراق وثالثة الأثافي فلسطين وممثلها صبحي

منصور ، وهكذا تتعقب العراق الدارسين في العراق وتستحزبهم وهم يمتثلون لها ـ ولقد تسلق إلى سطح الاتحادات في معظم الدول العربية الحزبيون وخاصة جناح اليسار البعثي والشيوعي والناصري ، والمجموعة التي حضرت من مصر كانت تطمع أن يحل أعضاؤها مكان اتحاد الكتاب والأدباء المصريين الذي جمدت عضويته منذ ١٧ سنة إثر التطبيع مع اسرائيل في عهد السادات ـ هذه المجموعة شكلت وفدا باسم اتحاد المثقفين ، ويدعون أنهم ضد السلطة المصرية في عهد السادات في السبعينيات وأعلنوا عن رفضهم للتطبيع مع إسرائيل وكان أول المتحدثين من هذا الوفد هو الدكتور صبري حافظ الذي بين أنهم يعارضون السلطة في مصر .

وأما السيد ابراهيم عبد المجيد فكان المتحدث الثاني وأشار إلى دخول الكثير من الكتاب السجن من أجل أفكارهم المعارضة وبين أن جريدة الأهالي لا تمثل الشعب المصري وقال إن مصر جمدت عضويتها ولم تطرد وان ثروت أباظة لا يمثل كل الكتاب ونحن في صدد إنشاء اتحاد محايد على رأسه عدد من القياديين وطالب بعض الأعضاء بقبول هذا الوفد عوضا عن الاتحاد السابق .

واعترض رئيس الوفد الكويتي لكي لا تكون هناك فرصة لكل جماعة منشقة تحل محل الاتحاد الأصلي وفي هذه الأوضاع المتقلبة والمتغيرات فرصة لأكثر من جهة تحاول التسلق إلى الاتحاد العام ، وأشار البيان الختامي إلى إمكانية قبول هذا الاتحاد عندما يحصل على اعتراف قانوني من بلاده عندها ينظر في عضويته للاتحاد العام للأدباء والكتاب .

أما الناقد فاروق عبد القادر فانه صرح لصحيفة الاتحاد الاشتراكي في ٦/ ١/ ١٩٩٥ قائلا : إن الاتحاد المصري لا يعبر عنا على الإطلاق وأنا أذكر أنني كنت محررا في مجلة (الطليعة) حين أنشئ قانون اتحاد الكتاب سنة ١٩٧٦ وأنني خضت في «الطليعة» معركة ضارية من أجل تعديل نصوص قانون هذا الاتحاد الذي يعطي لوزير الثقافة حق التسيد والسيطرة عليه وحق القبول والرفض وحق الاعتراض والذي يدار كما تدار أية اقطاعية خاصة ، فمثلا ثروت أباظة الذي يرأس هذا الاتحاد كاتب

يعبر عن أقصى درجات اليمينية والتخلف فنا وفكرا ثم أنه مرتبط ارتباطا وثيقا بالنظام وبالسلطة المصرية فهو يشغل منصب وكيل مجلس الشورى ، ونلاحظ هنا عندما يوجه تهمة أقصى اليمينية لأباظة فان ذلك يعني أنه ومجموعته التي حضرت هي أقصى اليسارية ، وهكذا تحدث اليساريون المصريون وجاء دور الدكتورة رضوى عاشور فقالت إنه تشكل في مصر لجنة الدفاع عن الثقافة الوطنية منذ ١٩٧٩ ضد التغلغل الثقافي الامبريالي ولجنة مناصرة الشعبين الفلسطيني واللبناني . وهناك هيئات كثيرة ونواد تقام وتعارض التطبيع ، ونطالب بإقامة مؤتمر ضد التطبيع والمناداة بالشرق أوسطية . وجماعة اليسار المصري كانت تتطابق مع التكتلات الأخرى اليسارية وتحاول عدم الاقتراب من الآخرين الذين ينظر إليهم على أنهم من اليمين . وهكذا هي تكتلات المؤتمر التاسع عشر للاتحاد العام للكتاب والأدباء العرب الذي عقد في الدار البيضاء من ٥ ـ ٨ يناير ١٩٩٥ .

***

تحية لضيفنا الكبير

زار الرئيس كلينتون الكويت فكان ضيفا في أرض جبلت على حب الخير وسعت في كل تاريخها نحو السلام .

وشعب الكويت بطبيعة تركيبته من فئات تمازجت بعد أن تركت مواقعها ابتعادا عن الفتن والقلاقل والمنازعات ، فتكون هذا الشعب ونشأ على استنبات السلام في أرضه وسعى إلى البناء والعمل بإخاء ومحبة ، هذا الشعب وقف مع الشعوب الصديقة والشقيقة ، في كل الملمات تقوده حكومة رشيدة متوافقة مع إرادة المواطنين .

حتى إنها آثرت البلاد الأخرى على نفسها فكم عطلت مشروعات لها لتبني للغير الجامعات وتساهم في حركة الإنماء لأجل الصداقة وحب الخير .

أيها الضيف الكبير وأنت تجوب المنطقة كي تضع يدك في يد الجانحين للسلام تصافحك يد السلام في الكويت حاكما ومحكوما ـ هنا وعلى هذه الأرض ولدت الديمقراطية في وقت مبكر كقبس إشعاعي يعبر عن إرادة وتفكير إنساني ، منذ نشأة هذه البلاد ، فقد اختار الشعب حاكمه ولتكون الخلافة في الأسرة التي اختارها ، لم تفرض الحكومة على هذا الشعب لا بقوة السلاح ولا بأي أسلوب من القهر والتسلط بل بني الحكم بإرادة شعبية وبقيادة الحاكم المختار ، ولم يكن هناك أي حاجب بين المواطن والحاكم .

سيدي الرئيس الضيف ، هنا على هذه الأرض اختار الشعب في فترة مبكرة مجلسا للشورى يضم نخبة من وجوه البلاد وأعيانها .وكان هذا العمل الجماعي في إدارة البلاد في سنة ١٩٢١ بالاتفاق مع حاكم البلاد الشيخ أحمد الجابر الصباح ، ولهذا الشعب الفخر أن يكون هو السباق إلى النظام الديمقراطي ، وتقدرون بلا شك هذه الخطى المبكرة ، وأنتم من بلاد عم فيها حكم الشورى وإدارة الشعب لبلاده .

ولم يقف الشعب الكويتي عند ذلك بل تطلع إلى تاريخ الشعوب - وهو يجوب البلاد في تجارته - التي سعت إلى تحسين أوضاعها في الهند والدول الإفريقية وفي شرق آسيا ، فقد تمسك الكويتيون برأيهم في تحقيق الشورى وهي أحد منابع الدين الإسلامي . وتأسس لدى هذا الشعب في وقت مبكر المجلس البلدي في سنة ١٩٣٤ ومجلس المعارف للتعليم في سنة ١٩٣٦ ، وكان قبل هذا التاريخ قد أسس الشعب عن طريق التبرع مدرسة المباركية ، المدرسة النموذجية الأولى سنة ١٩١١م .

كما أسس هذا الشعب بطريق الخير والمساعدات الشخصية أول مكتبة وطنية رغم الأحوال الاقتصادية البسيطة التي كان يعيشها آنذاك .

أنت أيها الرئيس زرت شعبا ديمقراطيا زرع بذور الشورى والديمقراطية منذ وقت مبكر على هذه البقعة الصحراوية ، وهذا الشعب صنع السفن العملاقة وجاب البحار العالية ، وصنع حضارة من أرض قاحلة ليس فيها نبات ولا حياة .

بل أحيا هذه الأرض وجعل الناس يأوون إليها طمعا في الأمن والسلام ، وكلما خلقت منازعات وفتن لجأت جماعات إلى هذه الأرض طلبا للسلام .

ومضى هذا الشعب نحو مسيرة الشورى والديمقراطية فأسس مجلسا تشريعيا في سنة ١٩٣٨م بموافقة الشيخ أحمد الجابر الصباح .

وهكذا كان الشعب الكويتي يسير نحو الإصلاح الاجتماعي بالاتفاق مع حكومته الرشيدة التي اختارها وارتضى أن تكون له حامية وراعية .

في بداية الخمسينيات تسلم المغفور له الشيخ عبد الله السالم الصباح مقاليد الحكم ، وقرر أن تواكب بلاده العصر فأصدر قوانين الإصلاح الداخلي وأنشأ الدوائر الحكومية ، وهكذا حتى مهد الطريق للاستقلال فكان في سنة ١٩٦١ وأقام المجلس التأسيسي وكان افتتاحه في ١٩٦٢ ، ودخلت الكويت العهد الدستوري المعاصر ، وتميزت مسيرة الكويت بالانفتاح على أجواء الحريات وتوطيد العدالة والمساواة ،

وتعاونت الحكومة مع المجالس التشريعية فكانت القوتان من أهم دعائم البناء الديمقراطي في البلاد ، وسطع هذا الإشعاع ليرفع اسم الكويت عاليا بين الأمم رغم صغر رقعة البلاد . ولم يكدر صفوها إلا ذلك الاعتداء الغادر في ٢/ ٨/ ١٩٩٠ حيث جاءها كالزلزال بقوة عارمة يدفعها الحقد والحسد . وجاء الجيش والغوغاء من الشعب العراقي لكي ينهب ، ويسرق ، وليهدم البلاد .

هذه الكويت الآن قد عاد إليها نبتها ونماؤها واخضرت ، وارتفع البناء بعد أن هدم ، عاد الفكر وعادت الديمقراطية وعادت كلمة الشعب ، قد يكون للغدر بعض آثاره المادية والنفسية .

ولكن هذا الشعب الذي غرس بذور الديمقراطية والشورى في عهود مبكرة كفيل بأن يقيم كل بناء كما كان .

سيدي الرئيس ، هناك دول سقطت منذ الحرب العالمية الثانية ومازالت تتعثر في قيامها دون أن تتمكن من إقامة بنائها الاجتماعي والاقتصادي حتى الآن .

وهذه الكويت كما تراها قد عادت رغم بعض الانكسار النفسي للرهائن المدنيين الذين أخذوا عنوة وقهرا من الطرقات والمنازل والمساجد ، أطفال ونساء وشيوخ ورضع بصحبة الأمهات ، وأخذ الأسرى ليكونوا ورقة بيد الطاغية .

هذه الأسر المنكوبة تستصرخك بدموعها وقلوبها الكسيرة ، وهناك من لا يقدرون على رفع الشكوى لجرح أصاب أفئدتهم وإهانات لحقت بأعراضهم ، وخدشت كرامتهم ، إن الكويت تضحي بالغالي والنفيس كي لا تتكرر هذه المأساة وقد لا تصل إليك أصواتهم مباشرة ولكن قلوبهم تستصرخك لصد أي اعتداء وأي تحرش ، الأحقاد مازالت تتربص ، وأملنا كبير بكم وبحكومتنا الرشيدة التي استضافتكم وعلى رأسها حاكم البلاد الشيخ جابر الأحمد الصباح ، وولي عهده الشيخ سعد العبد الله السالم .

فتحيتهما وتحية الشعب كله تعبير صادق وامتنان وشكر لموقفكم الصادق مع الدول الشقيقة والصديقة .

وكما احتضن الشعب الرئيس السابق بوش احتضنك مرحبا بك ، فأهلا وسهلا يا سيادة الرئيس .

وحياك الله أنت ومن برفقتك من الوفد الكبير في الكويت بلد السلام والديمقراطية والشورى بلد المحبة والابتسامة والكلمات الصادقة .

* * *

يد بيضاء وأخرى ملطخة بالدماء

هناك في أقصى الوطن العربي امتدت يد كويتية كريمة ساعية إلى جمع شتات رجال الكلمة حيث الأدب والشعر ، وقدرت مجموعة من المبدعين في جمع حاشد من جميع أقطار الوطن العربي متخطية الجراحات والحزازات الإقليمية وبعيدا عن السياسة ، وفي موعد اتفق عليه منذ أمد بعيد ، فصادف أن عادت يد البغي الملطخة بالدماء فأثارت زوبعة سياسية حاقدة ، شغلت المنطقة ودول الحلفاء التي آلت على نفسها أن تحقق السلام وتردع البغاة والمعتدين بإرادة دولية صادرة عن مجلس الأمن ولتكون قوة انضباطية ، تحمي المصالح العالمية ، وتؤمن الطرق الدولية وتوقف القوى المتهورة وتحمي الدول الصغيرة ،فضربت مثلا رائعا في التاريخ الحديث حيث انحازت إلى جانب الحق والعدل فضلاً عن حماية مصالحها في المنطقة فأسهمت في حماية الكويت ودول شبه الجزيرة العربية من أطماع النظام العراقي عندما فكر بالهيمنة عليها واقتسامها مع ملك الأردن الذي تحرك طمعا في الحصول على لقب الشريف وحلم السيادة على الحجاز .

لذا حرك العراق قواته ليخيف المنطقة ويهدد مجلس الأمن ؛ لكي يرفع عنه العقوبات رغم نكوثه بما قبله عند وقف إطلاق النار وابتعاده عن تحقيق الشروط الدولية والاعتراف بالكويت ، وحدودها الدولية ، ورد المرتهنين والأسرى ، وأراد العراق أن يرفع عنه الحصار بالتهديد العسكري ، وأراد أن يجس النبض فإن لم تتحرك القوى الدولية فإنه عازم على إعادة الكرة والزحف لإعادة أجواء الحرب .

وصورة العراق القديمة لم تعد باقية لا في الرؤية القريبة ولا البعيدة ، لقد اهتزت وشوهت وظهرت بقبح وجه نظامها ، هذا ما لمسناه في المغرب العربي عند رجل الشارع صاحب التاكسي وأصحاب المتاجر ، والأدباء والكتاب ، وأصبح السؤال المطروح ماذا يريد المجنون هذه المرة ؟

وفي مصر تسمع هذه العبارة أيضا من العامة والخاصة ماذا يريد المجنون ؟

في هذه الأجواء المشحونة التي أثارها الجيش العراقي بإمرة صدام ونظامه ، وهذه الاختراقات للأجواء الساكنة ، رغم التوجهات الساعية نحو السلام ، وفي هذا الوقت امتدت يد كويتية كريمة لتدعو مئات الأدباء والشعراء في مهرجان عظيم أقيم في مدينة فاس المغربية ، وتحت رعاية جلالة الملك الحسن وحضور ولي العهد الأمير محمد بن الحسن . وفي جو تنظيمي بديع شارك به العديد من الوزراء ورؤساء الجمعيات الثقافية ، هناك في هذا المحيط العلمي والأدبي انعقدت الدورة الرابعة لمؤسسة جائزة البابطين للإبداع الشعري . وكان المؤتمر هذا العام قد عقد لإحياء ذكرى أبي القاسم الشابي ، وجاء الكتاب والباحثون بدراساتهم عن شاعر تونس الكبير الذي جال في المغرب العربي بإبداعاته الفكرية . ثم عقد حفل تكريم المبدعين ومنحت الجوائز لمن اختارتهم اللجان ليكونوا أصحاب الجوائز هذا العام وهم :

الشاعرة فدوى طوقان من الأردن .

الشاعر أحمد غراب من مصر .

الشاعر خالد البرادعي من سوريا .

الكاتب الناقد الدكتور مصطفى ناصف .

وكان صاحب اليد البيضاء الأستاذ عبد العزيز سعود البابطين على رأس الحضور ، ووسط هذا التجمع الكبير ، وبين المنظمين ، مرحبا بكل الحاضرين تجده في كل موقع يحتفي بكل فرد بتواضع وحب ومودة .

نعم جاء هذا المهرجان الكبير تحية من الكويت للمبدعين من أبناء الأمة العربية وصادف انعقاد هذه الدورة بين ١٠ـ١٢ أكتوبر في وسط الجو الصاخب الذي أثاره النظام العراقي وشغل العالم وأزعج مشاعر الناس في كل مكان ، وجرت المقارنة بين هذا المهرجان الثقافي وبذل الجهود والأموال لنشر الكلمة الطيبة وتشجيع الفكر وذلك العمل السيىء الذي يثيره العراق ؛ لذا أقول هذه يد كويتية بيضاء امتدت إلى جميع الأقطار العربية ، وتلك يد ملوثة بالدماء لاحت متحدية الإرادة الدولية ومهددة رافضة للسلام الذي تسعى نحوه الكويت ودول العالم ، يد تبني وأخرى تهدم .

والحضارة حيث يكون البناء الحاضر لمستقبل البشرية . أما الذين داسوا على الحضارات السالفة البائدة ويدعون أنهم من سلالاتها ويعوقون كل تقدم والشعب في العراق يحرم من كل مظاهر الحضارة ، وبعد أن كان هذا الشعب يعيش في رغد من العيش قبل أن يبتلي بنظامه الحزبي - الذي يطبق المقولة المعروفة «جوع كلبك يتبعك» ، فمصيرهم الحتمي إلى قصاص عادل يقطع دابر الذين ظلموا .

وهكذا أراد النظام أن يضيع شعبه ويتآمر على جيرانه وأمته .



تحية إلى إبراهيم سعده

لا ينكر أحد مقدار صنع الجميل الذي تمثل بوقفة مصر لانتشال الكويت من براثن الجيش العراقي ، وكذلك موقف المملكة العربية السعودية وهي تقود دول مجلس التعاون للدفاع عن الكويت ، وكذلك سوريا والدول العربية الأخرى التي ساندت الحق الكويتي ورفضت الاعتداء والغزو الذي لا يوافق حضارة العصر ولا الإنسانية ، ولو ترك العراق في غيه لما أمنت دولة صغرى على نفسها من غدر الطامعين بها ، وإن أظهروا لها جانب الحب ونفاق السياسة .

نشرت جريدة أخبار اليوم يوم السبت الموافق ٣/ ٩/ ١٩٩٤ مقالة رائعة ومعبرة تحت عنوان المصالحة ، مع من؟ بقلم الأستاذ إبراهيم سعده .

وكم تمنيت لو قرأها كل مواطن في الكويت أو أعيد نشرها في صحفنا المحلية لتتخذ لها آفاقا أخرى .

الفكر الأدبي والسياسي

نتذكر جميعا ما جندته مصر من قوة الفكر الأدبي والسياسي لنصرة الكويت وكيف امتد جسر ثقافي إعلامي بين المملكة العربية السعودية ومصر ، ومن كان يتعذر عليه سماع مصر كان بوسعه أن يسمع أدباءها ورجال الدين فيها وكتابها من إذاعات المملكة ، بالإضافة إلى قنوات الفكر الأخرى كالشعر والمقالات المختلفة والتحاليل ورجال التاريخ ، حتى خرج كتاب من دائرة تخصصهم الديني فكتبوا في هذا الموضوع السياسي الذي اخترق كل المفاهيم الخلقية ليعيد سيرة غزو الشعوب البدائية التي انقرضت وبادت مع تطور الإنسانية .

النظام العراقي لا يقل سوءا عن إسرائيل

بهذه العبارة افتتح الأستاذ إبراهيم سعده مقالته الشاملة الوافية : إسرائيل أقامت

دولتها فوق الأرض الفلسطينية واحتلت أراضي مصر وسوريا ، والنظام الحاكم العراقي خطط وتآمر على دول الخليج العربي وشن هجوما عليها بدأه باكتساح دولة الكويت وأعلن احتلالها وضمها إلى أراضيه ، توطئة لمواصلة زحفه على باقي الدول العربية الخليجية ، ومضى الأستاذ سعده قائلا : الجريمة مشتركة والاثنان وجهان لعملة واحدة ، ولكن ما يزيد من جرائم وخطايا النظام العراقي أنه ينتمي إلى الدول العربية ، وبالتالي فلم يكن من المتصور أن تعتدي دولة عربية على أخرى شقيقة لها ، لهذه الأسباب كلها وغيرها كان من الصعب إن لم يكن من المستحيل نسيان هذه الجريمة ورفع شعار إزالة آثار العدوان .

ويقول : يخطئ من يتصور أن شعب الكويت وحده الذي فقد الثقة بالنظام الحاكم العراقي وعلى رأسه صدام حسين ، فغالبية شعوب الأمة التي لم تتفق في تاريخها القديم والحديث على شيء كما أتفقت على كراهية هذا النظام بعد أن سقط القناع عن وجهه ، وظهر على صورته الحقيقية كأعدى أعداء هذه الشعوب ، ولولا تحالف العالم ضد هذا الغزو وهذا العدوان لضاعت الكويت كما سبق أن ضاعت فلسطين على أيدي الاسرائيليين ، وكان يمكن أن يفعل ما فعل في الإمارات والبحرين وقطر والسعودية .

ولو رفضت مصر وسوريا والسعودية أي تدخل دولي يقترحه الغرب لإجبار النظام العراقي على سحب قواته العسكرية من الكويت لبقي الاحتلال العراقي .

لقد وقفت هذه الدول العربية الكبرى إلى جانب المبادئ التي آمنت بها ، وإلى جانب حق الدفاع عن أية دولة عربية تتعرض للاعتداء والعدوان ، وإلى جانب كل المواثيق التي أصدرتها بالإجماع جامعة الدول العربية ، ثم الانضمام إلى التحالف الدولي تحت مظلة الأمم المتحدة كحل لا بديل له ، وجاء في المقالة أيضا :

لم يكن أمام الرئيس حسني مبارك مع مرور الوقت وضياع التسوية السلمية غير المشاركة في استخدام القوة من أجل إنقاذ الشعب الكويتي من هول ما يواجهه وما

ينتظره ويعيد إلية حقوقه وسيادته فوق أرضه قبل ضياعها ، كما ضاعت فلسطين منذ نصف قرن تقريبا على أيدي يهود إسرائيل .

وما فعله الرئيس المصري هو نفسه الذي فعله الرئيس حافظ الأسد وما قام به خادم الحرمين الشريفين الملك فهد ، فهم الذين وافقوا على المشاركة بقواتهم المسلحة ضمن قوات العالم التي شكلها مجلس الأمن من أجل انتزاع حرية واستقلال دولة عضو في الأمم المتحدة من براثن النظام الحاكم في العراق .

والرئيس العراقي لا يزال يتوهم أنه لم ينهزم أبشع هزيمة في التاريخ ، كما أنه لا يزال يحتفل سنويا بذكرى هذا الانتصار في أم المعارك ! ! إن مجرد هذا الإحساس الذي يشعر به المواطن الكويتي يعطيه الحق في التوجس شرا من كل كلمة تصدر عن بغداد ومن كل قول ينسب إلى صدام ، وتزايد عدم الثقة لدى الكويتيين مع إصرار صدام على تجاهل معظم قرارات مجلس الأمن الذي سبق له الموافقة عليها كشرط للمجتمع الدولي لقبوله الاستسلام أمر له ما يبرره .

لقد تصور الرئيس العراقي بصلفه وامتهانه لذكاء الآخرين أنه يستطيع أن يخدع العالم كله عن طريق التماشي مع قرارات مجلس الأمن ، والإذعان لما يطلب منه والخضوع للعقوبات المفروضة عليه ، توطئة لرفض هذا كله بمجرد عودة قوات التحالف إلى بلادها ، وسرعان ما فوجئ العالم بصدام وهو يتنكر لما سبق له الاعتراف به ، ويماطل في تنفيذ ما أعلن موافقته عليه ، ويضع العراقيل أمام الخبراء الدوليين الذين أعطتهم قرارات مجلس الأمن الحق في التفتيش والبحث عن الأسلحة المحرم استخدامها وتقزيمها لقدرته العسكرية ، ويصل الأستاذ سعده إلى قوله :

من الظلم اتهام الكويتيين والخليجيين بصفة عامة بالمبالغة في مخاوفهم وتوجساتهم من صدام ، لأنه لم يقدم دليلا واحدا حتى الآن على نبذه للعدوان واعترافه بحقوق الشعب الكويتي وسيادته فوق أرضه ، والأغرب من هذا وذاك أنه مازال يتحدى مشاعر الكويتيين ويرفض إعادة ضحاياهم من الأسرى الأبرياء ويصر

على الاحتفاظ بهم داخل سجونه ومعتقلاته كورقة للضغط والتهديد ، ويرفض علانية تنفيذ قرارات مجلس الأمن وأهمها قرار رقم ٨٣٣ الخاص بترسيم الحدود بين البلدين ولتأكيد حرمة الحدود الدولية ، ويختم الأستاذ إبراهيم سعده مقالته قائلا : كلنا نتعاطف مع الشعب العراقي الذي نكب بأبشع نظام حكم عرفه التاريخ ، ولكن هذا التعاطف يجب ألا ينسينا الشعب الكويتي الذي عانى من مهانة الاحتلال ولولا تحالف المجتمع الدولي لضاعت الكويت .

حقا لا فض فوك يا أستاذ إنك عبرت خيرا من أصحاب القضية الكويتية ولك التحية والشكر .

***

النظام العراقي أودى بمقدرات العراق والأمة العربية

ذكرت صحيفة الصنداي تايمز البريطانية في عدد الأحد ١٩/ ٢/ ١٩٩٥ خبرا مثيرا حول تصريح الجنرال وفيق السامرائي الرئيس السابق للمخابرات العسكرية العراقية والذي أدلى به بعد هروبه من العراق ، « إن الرئيس العراقي قد أخفى جزءا كبيرا من أسلحة الدمار وأشار إلى موقعها في مخابىء سرية قرب مدينة تكريت وبين أنها تحتوي على صواريخ سكود وقذائف انتركس العابرة للقارات على الرغم من تأكيدات الأمم المتحدة بأن أسلحة الدمار في العراق قد تم تدميرها» .

وبعد هذا الخبر المثير أخذت الأمم المتحدة تعيد النظر من جديد ، وتنتظر من لجنة المراقبة برئاسة إيكيوس قرارها النهائي وخاصة بعد معلومات وفيق السامرائي الخطيرة التي أدلى بها ، هذه المراوغة من النظام العراقي تمد في آجال العقوبات الدولية ، وتحرج الدول التي سعت لتخفيف هذه العقوبات الدولية ، وترمي إلى رفعها مثل الاتحاد السوفييتي وفرنسا ؛ لتخلصا بعد ذلك إلى فتح السوق العراقية نحو المطالب الدولية وخاصة تلك المرتبطة بالتزامات اقتصادية مشتركة مع العراق .

أما المراوغة من النظام العراقي فإنها هي التي تمد في الحصار وتجعلنا نستمع إلى تلك المقولة بأن هذا النظام هو عامل مخرب يسعى إلى جر العراق إلى الدرك الأسفل من التأخر والانحطاط ويسعى إعلاميا إلى عكس ذلك ، إلى الاستغاثة لرفع الحصار واتهام الكويت وبعض الدول العربية والغربية في الإبقاء على الحصار ، والنظام العراقي مازال يلجأ إلى أسلوب «جوع كلبك يتبعك» ، وهذا الأسلوب يجعل هذا الشعب المأسور والمثقل بهمومه الاقتصادية والمعيشية فريسة الانقياد لهذا النظام الجائر الذي حطم مؤسسة عسكرية عربية كان من المفروض أن تكون رصيدا للعرب لا أن تكون أداة هدم وتدمير لقوتهم القومية ، وتم ذلك بعد أن لبس صدام الرداء العسكري وتسلق أرفع الرتب ليكون هو السياسي والعسكري المتسلط على الرقاب في العراق .

صدام هو النبتة الشيطانية التي ظهرت بظروف غامضة فوق كل الرؤوس ، وكما قيل في ياسر عرفات إنه من شجرة مبهمة غامضة ، كذلك قيل عن صدام ، إنه مازال يتحرك في إعلامه المسموع لدى الكثير بأنه المنقذ والمخلص للعراق والعروبة ولكن الشواهد الثابتة تقول غير ذلك ، وما زالت المعارضة العراقية تتهمه بأنه أداة معادية غرست لتحطيم العراق عسكريا وسياسيا واجتماعيا ، ومازال يعمل بقوة غيره من الخارج ولم يستهلك كل الاستهلاك بعد ، والمعارضة العراقية ترى الإبقاء على الحصار لينفجر البركان الشعبي قبل أن تقوى شوكة النظام بعد عودة الحياة الطبيعية .

صدام حسين يقاوم الحصار ظاهريا وفي الواقع المرئي أنه يحكم الإغلاق على الشعب العراقي ويعيث فيه إبادة وتنكيلا على مرأى الأمم والشعوب . إنه يغير الطبيعة الجغرافية في دفن الأهوار والبحيرات الحلوة ، لتأتي الملوحة على شط العرب ويقلب الأنهار المتصلة والتي تصب فيه إلى ملح أجاج ، وتكثر الأراضي الملحية ذات الأسباخ لتقضي على الزراعة في الجنوب بعد أن كان مصدر الغذاء الرئيسي للعراق طوال التاريخ .

وصدام حسين يغير منذ زمن بعيد الجغرافيا البشرية العراقية ، إنه ينقل الأكراد من الشمال إلى الجنوب وينقل أسر وعشائر جنوبية إلى الوسط والشمال ، والجغرافية البشرية التي عرفت في العراق بتاريخها الطويل يقوم النظام العراقي بتفكيكها لتفقد قوتها وانتماءاتها عندها يشل حركة هذا الشعب ، ويساعده في ذلك الحرمان والفقر وقلة الموارد الزراعية ومد يد الحاجة . ولذلك فإن هذا النظام مازال يتلاعب ببعض الأوراق لتبقى الأحوال البائسة كما هي عليه في العراق .

صحيح انه اعترف بالكويت ولكنه أبقى على الشروط الأخرى دون أن يطبقها وأبقى الأسلحة ، وأقفل باب إعادة الأسرى ، وبعد أن انقطعت السبل وأغلقت أبواب بغداد وحدود العراق زاد من بطشه .

والإعلام يبدي وجها واحدا للعملة السياسية ويخفي الآخر ، حتى إيران تبدي عداء متوترا وتظهر مرونة تجارية وصداقة حميمة ، هناك تجارة رسمية وشعبية قائمة

أقوى من حركتها التجارية القائمة مع جيرانها ، النفط العراقي ينقل إلى إيران بثلث القيمة الرسمية ، بالبر والبحر وكذلك مع تركيا ، وتعرف أجهزة المراقبة الفضائية وغيرها ذلك وتغض النظر .

والعراق لا يعيش حالة الإنهاك والبؤس كما يصور الإعلام ذلك ، إنه يعيش حالة أخرى ، تحمل كل التناقضات ، وخلاف الإعلام المنتشر ، العراق يتحرك بأمواله الخارجية ، من ناحية الأردن وإيران وتركيا ، المؤتمرات الداخلية والخارجية لا تعكس حالة البؤس الإعلامي ، بل تكشف عن رفاهية وسيولة يتلاعب بها النظام وعناصره من أجل الإبقاء على وضعه الحالي . وأن تمديد الحصار رغبة رسمية من هذا النظام خلافا لإعلامه الداخلي والخارجي ؛ حتى تستنفد معاول الهدم الداخلي كل أغراضها ، وعندها تسدل الستارة لتقول القوى الضاغطة والمؤثرة إن صدام حسين قد انتهى دوره ، وتطلق حرية المارد العظيم بعد أن يبدو للجميع ذلك المخلوق المعوق الكسيح الذي تآمروا عليه من الداخل والخارج .

***

من محاكمة أبو رغال

إلى استجداء الاعتراف بإسرائيل

في أعقاب زيارة السادات لاسرائيل ، هاجت العراق وماجت وأخذ إعلامها يكيل التهديد والوعيد ، وتصور صدام حسين أن الفرصة قد سنحت لكي يتولى زعامة الأمة العربية ، فعقد مؤتمرا للقمة العربية ، وطالب بمقاطعة مصر ، وعقد محاكمة حقيقية ليتولى القضاء محاكمة «أبو رغال» دليل الأحباش الذين هموا بغزو مكة للسيطرة على بيت الله الحرام ، وحاجب المحكمة كان ينادي «أبو رغال» أنور السادات ثلاث مرات ، وبعدها يعلن الحاجب عن عدم حضوره فتعقد الجلسة غيابيا .

وهكذا انشغل الاعلام العراقي بهذه المحكمة وأحضر لها القضاة ووكلاء النيابة والمحامين ورجال القانون كما أحضر الشهود .

وبجانب آخر أقامت بغداد إذاعة أسمتها إذاعة مصر الحرة ، لتقوم بمهاجمة السادات ونظامه واستنكار اعتراف مصر بإسرائيل .

وعملت التمثيليات والأغاني والتعليقات واستمرت على ذلك مدة طويلة ، ونشطت بغداد في استقبال الوفود السياسية ورجال الصحافة .

عندما قابل رابين الملك حسين تبين من خلال اللقاء أنه لقاء يخلو من حرارة المواجهة الأولى وأن الأيدي التي مدت لم تكن تعبر عن حداثة اللقاء ، فأزال رابين الدهشة عن الوجوه فقال : إن اللقاء الاسرائيلي قديم - قبل أن تنشأ دولتهم - وكان منذ سنة ١٩١٩ مع جد الملك ، بمعنى أن اللقاء استمر وهذا ماكانت تشير إليه الأنباء بين آونة وأخرى في كل عهد من عهود السياسة العربية الحديثة والمعاصرة .

وما كان يتحدث عنه أهل العراق عن اليهود في تكريت في السر ، نشرته مجلة العربي الكويتية عندما تحدثت عن موسى التكريتي الذي ادعى النبوة وجمع يهود

العراق في تكريت سنة ١٦٥٠ (فبراير ١٩٨٠ العدد ٢٥٥) ، وطاردت حكومة بغداد هذا العدد وأتلفته في الكويت والدول التي تصلها المجلة في الشرق و الغرب ، أما تمثيل العداء لإسرائيل في أدوار إعلامية فذلك للاستهلاك المحلي والإقليمي .

ويا ويل الكويت إن صرحت بمشروب الكوكاكولا أو دخلت سلعة عليها «نجمة» وإن جاءت من الصين .

موشى شحال العراقي

وزير الشرطة الاسرائيلي العراقي الأصل والذي لازال يتكلم العربية بلكنة عراقية ، صرح بتاريخ ١٤ اغسطس ١٩٩٤ ونقلت تصريحه وكالة رويتر اليوم نفسه حيث قال : «ينبغي أن ندرس احتمال إقامة سلام مع العراق كإجراء مضاد لإحباط أي خطر من إيران في المستقبل» .

وجاءت الأخبار في منتصف هذا الشهر (أغسطس) أن رسالة من صدام حسين قد وصلت إلى رئيس الوزراء الإسرائيلي إســحق رابــين يوم الاحد١٤/ ٨/ ٩٤ . ونفتها إسرائيل حســب رغبة عراقية لكي تتم المباحثات بســرية ، ولكن الآن في عصر الأقمار الصناعية والمحطات المرئيــة والمسموعة المتطورة لايخفى شيء حتى دبيب النمل ترصده وسائل الإعلام .

المرحوم أنور السادات الذي قامت الدنيا عليه لأنه لم يحصل على موافقة الرأي العام العربي حينما توجه لإسرائيل ، ولكنه نال كل الإعجاب فيما بعد لأنه كشف أوراقه ، ولم يضعها «جوا العباية» كما يقول المثل العراقي .

وعندما عقدت محكمة بغداد بقضائها ورجال القانون والإعلام المدوي وتكلم آخرون ، وظهر أنور السادات مهددا أنه إذا لم تكف هذه الأصوات فانه سوف يظهر ويفضح الجميع ، وعرف العالم أنه لم يتحرك بقوته الذاتية فقط ، بل بآراء مسؤولة أخرى ، وفعلا سكتت الأصوات بما فيها محكمة بغداد التي عقدت لمحاكمة أبي رغال

ثم تذكر الكثيرون (أبو رقيبة) وترحموا عليه وهو حي يرزق ، كما تذكروا قول الشاعر :

أمـــرتهم أمـــري بمنعـــرج اللوى

فلم يستـبـينوا الرشـد إلا ضحى الغـد

والويل الويل لدول الخليج العربي لو جاءت بسيرة اسرائيل من قريب أو بعيد .

مكتب مقاطعة إسرائيل

هذا المكتب كلنا يتذكره وقد حوى السجلات والكتب الضخمة التي تشبه دليل السياحة العالمي ومذكرات تفسيرية من الجامعة العربية ، وأسماء الشركات والمصانع الإسرائيلية والتي لها علاقة بالعالم ـ وكان هذا المكتب ـ يرجع إليه في كل ورقة وكل واردة وشاردة ولو بعث ابنك الذي يدرس في باكستان شنطة ملابسه ، فلا بد من المرور على مكتب مقاطعة اسرائيل ، لإثبات أن هذه الملابس المستعملة غير مصنوعة في اسرائيل ، وكلنا يذكر الاستاذ عبدالعزيز الشيخ علي ، الله يذكره بالخير ، الذي قام على أكتافه هذا المكتب وأضعفت هذه السجلات بصره ، وانهكت تلك المسؤولية صحته ، ولما تدهورت حاله بعد خدمة ٣٥ سنة ، بعثته حكومة البحرين للعلاج في الخارج ، بعد أن التفت ليرى المئات من أصحابه أهل الديرة وأبناء العائلات وذوي المناصب قد أداروا له ظهورهم ليتوحد به المرض ويلف عليه من كل صوب ، وأقولها للحقيقة : إن هذا الإنسان حمل كل الحب لنا وللكويت ، وأثناء الازمة الغبراء كان يتصل بأصحابه إن كان أحدهم يحتاج إلى أي خدمة .

وزرته في مرضه بعد أن تلقى العلاج في الخارج أيام الأزمة وقلت له لم لاتذهب إلى الخارج فلربما تجد راحة وعلاجا أفضل ؟ فكان رده المؤثر : إنه لم يترك الكويت أيام عزها أيتركها أيام محنتها؟ ! وخجلت من هذا الرد المشبع بالإحساس بالجميل .

كانت الكويت أنشط الساحات الإعلامية وأكثرها حملا للشعارات ، حتى أنني أتذكر بعد أن وضعت حرب ١٩٦٧ أوزارها وطلبت دول المواجهة إيقاف القتال ، اكتفت إذاعة الكويت بإذاعة القرآن الكريم وتعديل البرامج ،

فأذاعت محطة صوت اسرائيل قائلة : «بعد قتال دام خمسة أيام استسلمت مصر وسوريا والأردن وأعلنت كل منها وقف القتال ، إلا إذاعة الكويت مازالت متحمسة للقتال» حيث كنا نذيع المارشات والأغاني الوطنية .

وكنت ساعتها في مكتب الأستاذ عبدالعزيز جعفر ، فقام على الفور بالاتصال بأحد المسؤولين قائلا له : «جذي زين فشلتونا هذي إذاعة اسرائيل تضحك علينا ، لما اشتركتوا في الحرب كان عليكم أن تعلنوا وقف القتال مثل ماعملوا أصحاب الشأن» . هذا هو الحاصل سوف يعترف الجميع وتبقى الكويت الملامة على صندوق «كولا» أو على «نجمة» مرسومة على لعبة طفل صنعت في الهند ، وسوف ينطبق علينا المثل المعروف «العم راضي» ، قد يكون موقفنا هو الصحيح ، ولكن العواصف الشديدة العاتية تبدد الأصوات الخافتة وعلينا أن ننتظر تحرك الكبار وهدوء العاصفة .

***

للمجرم مكافأة في العراق

قبل كل شيء ، أورد الخبر الذي أذاعته بغداد من إذاعتها في ٢٢/ ١٢/ ١٩٩٢ . يقول الخبر : «علمت وكالة الأنباء أن مجلس قيادة الثورة قد أصدر قرارا يمنع فيه مساءلة الدوريات الحزبية ، والدوريات الشعبية التي يكلفها حزب البعث العربي الاشتراكي بواجبات الحراسة ، وكان عضو في إحدى الدوريات قد أطلق النار على أحد اللصوص وأصابه ، وأوقفه حاكم التحقيق لهذا السبب . وقد أمر السيد الرئيس القائد بإطلاق سراحه فورا وتكليله بنوط شجاعة أم المعارك ، وخمسة آلاف دينار تقديرا لشجاعته» .

هذا هو الخبر كما أوردته الإذاعة بالحرف دون تغيير ، ونلمس منه أمورا كثيرة .

الخبر لم يذهب إلى غايته ، إنه يبدأ من السلطة العليا «مجلس قيادة الثورة» أي من صدام فقط ، إنه تجاوز صلب الموضوع ، ولم يذكر إن كان الذي أطلق النار عليه قد قتل أو جرح ، ولا درجة إصابته ـ كل الذي قاله بعد أن تجاوز الديباجة إن الرئيس صدام أفرج عن القاتل ، والقتل هو أقوى الاحتمالات ولولاه لما تحرك الرئيس القائد ، والأمر مجرد حادث عند دورية ، ولقد جربنا الدوريات والسيطرات وكيف كان القتل في يد كل عسكري جنديا كان أم ضابطا ، لا أحد يسأل ، بل القاتل هو الشجاع سواء قتل أحدا منا أو من جماعته .

حاكم التحقيق أطلق سراحه لأمر صدام ، ومن المؤكد أنه تلقى سيلا من السباب والشتائم هذا إذا لم يعدم ، ولم يتبين له إن كان المعتدى عليه ظالما أو مظلوما ، ولم يذهب به إلى النيابة ولم يعرف طريق القضاء لفصل الأمر فيه .

أخرجه صدام وأمر بإطلاق سراحه فورا ، أي دون إكمال التحقيق معه . وتكليله بنوط شجاعة أم المعارك . أم المعارك هذه يبدو أنها مازالت تدار في كل مكان في مفارق

الطرق ، وفي كل شارع ، بعد أن كانت في جبهات القتال ، والمفروض أن تكون هذه الأم قد دفنت في صحراء الكويت بعد دحر القوات العراقية المعتدية .

كم يحتال على التاريخ وعلى وقائعه ، بعد حين سيقف هذا القاتل ليقول لغيره إنه نال نوط الشجاعة من أم المعارك ، فيعتقد هذا أن صاحب النوط قد واجه قوات التحالف فنال ما نال ، وفوق ذلك مكافأة مالية . فأين القانون الذي يقضي بالقصاص النفس بالنفس ، وذلك حتى بالشرائع البائدة والتي يعتز بها قادة العراق . كشريعة «حمورابي» وهكذا تقيم الشجاعة والمواقف البطولية بالإجرام . كلما تقدم الزمن قلنا لعل الأمور تتغير ويتعظ هذا الشعب من أكبر الأخطاء التي ارتكبت ولكن يبدو أن كل شيء مرتبط بصدام حسين ، وسيبقى الحال على ما هو عليه حتى يرحل الطاغية .

صدام هو الآمر الناهي ، هو الذي يجزي ويثيب ، هو الذي يحكم بالموت فينفذ ،إنه يستخف به الفرح كلما علم بهدر دم أحد ، فيجزل للقاتل العطاء رتبا عسكرية ومالا من مال الشعب ، كل شيء في يد الطاغية والمعارضة تتفرج من بعيد في عواصم الدول الغربية منتظرة أفول النجم المنحوس حتى تتحرك عن كثب . وكل شيء ساكن ما دام الأمر بيد صدام وإلى أن يرحل .

هل تحقن الدماء من بعده أم تعود مع خليفته .

إلى أن يقول الشعب كلمته :﴿ **إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم**﴾ (الرعد : ١١) .

***

من يحكم العالم . . ويحمي الطغاة؟!

السيد «جون مينو» أستاذ العلوم السياسية بجامعة مونتريال ، كتب في سنة ١٩٦١ «القـوى الخـفيـة التي تحكـم العـالـم» في مـدينة لوزان بسـويسـرا . وتناولت مـؤلفـاته مجمـوعة الضغوط ابتداء من بلده فرنسا ، ثم الضغوط في السـوق الأوروبية ، وتحدث عن مجموعات الضـغوط الدولية . والجمعيات السرية التي هيمنت على دول عـريقة وهوت بهـا من علوهـا الحـضـاري إلى الدرك الأسـفل من الركب الحـضـاري ،بل إلى تخلف وتراجع فكري .

وتبدأ هذه القـوى الخفية تتحرك من النقـابات الطلابية ، ومن نقابات العـمال ، إلى الاتحاد الدولي للطلبة U.I.E والاتحـاد العالمي لنقابات العمـال F.S.M وهنا يتم اختيـار القيـاديين حسب بروزهـم في أطرهم ، ولا ينظر هنا إلى مؤهله العلمي ولا إلى تفوقه الفكري .وقـد تكون صفـة الاستبداد والغـدر وحب الجريمة والقتل هي أعلى صفـات المختار ليكون فيما بعد زعيم أمته ، فتـحتضنه القوى الخفية بالرعاية وتأخذ بيده لمراتب الرقي السـيـاسي حتى يتربع على عـرش بلاده . هكذا أخـذ صـدام مـن الاتحـاد الدولي للطلبـة ، وأخذ سـتالين وخـروتشوف من الاتحاد العـالمي لنقـابات العمـال . وغيرهـم كثير .

المصالح الاقتصادية الدولية

هذه المصـالح الدوليـة هي السـبب الرئيـسي في تحـريك القـوى الخـفيـة في إدارة الحكومـات العالمية ، وإدارة الحروب الكونية مـثل الحرب الأولى والثـانية ، ثم الحـروب الإقليـميـة التي مـازالت رحاهـا دائرة في أرجاء المعـمورة . ومن المؤسسـات الاقتصـادية التي هي فوق الحـدود والحكومات مـؤسسة أونيلفر ن .ف Unilever N.V. وتشرف على خـمسـمائة شـركة دولية . حتى قـال أحد البـاحثين إن في إفـريقيا ثلاث قـوى لا تعرف الحدود السياسية هي :الإسلام ، والكاثوليكية ، ومؤسسة أونيلفر .

مصانع السلاح

مازالت المصالح الاقتصادية تتغلب على السياسة الدولية ، وهي التي بددت الانتفاضات الوطنية ، وأسقطت القادة المصلحين ، وأشاعت بعد ذلك في الإعلام الجوانب السلبية ، حتى استنكرت الاتجاهات الوطنية التي سارت عليها بعض الشعوب .

وتقع دول عديدة ضحية لهذه الضغوط ليست الدول النامية والفقيرة فقط بل حتى الدول القوية المتقدمة ، كأميركا التي تسلم أمور تحركها إلى المؤسسات الكبرى ، ومن الحقائق التي رصدها «جان مينو» في مؤلفاته العديدة عن مجموعات الضغوط الدولية قوله : «إن روسيا وأفريقيا لا تجذب اهتمام أصحاب رؤوس الأموال الأميركية اللهم إلا إذا استثنينا شؤون البترول في الشرق الأوسط . هناك شركة (رينولدز) تسيطر على صناعة الألمنيوم في بريطانيا . وشركات تسيطر على أكثر من ٤٠٪ من صناعة السيارات . .» .

وتأتي تجارة السلاح فوق كل تجارة وهي التي تقر السلام ببيعها للسلاح وتشعل الحروب بصفقات أخرى .

ويشرح «أميل مورو» في كتابه «ذكرياتي» ضغوط بنك فرنسا في آخر الثلث الأول من القرن الحالي ، كيف أجبر بريطانيا على الاعتراف بما كان لفرنسا من نفوذ على منطقتي الدانوب والبلقان ، وكان هذا البنك الكبير عبارة عن مؤسسة خاصة في ذلك الوقت .

وعندما اختلف مع بريطانيا خفض الجنيه الاسترليني من قيمته العالمية المعادلة لجنيه الذهب مما أدى إلى الهبوط الكبير الذي لم يقم من بعده حتى هذا اليوم .

ولأصحاب رؤوس الأموال الكبرى تحركات سرية للغاية قد تخفى على حكوماتها ، بل تتحكم في الاتجاهات السياسية والانتخابات وطرق اختيار الحكام .

الأسر الحاكمة بمالها

أسرة «روتشيلد» وأسرة «لازار» أسرتان يهوديتان تتحكمان في أسواق دول عديدة

وفي سياستها بمجرد أن تفتح لها فروعا أو بيوتا مالية ، وتكون فيما بعد حكومات داخل حكومات ظاهرة . ويساندون الحكام المستبدين الذين تكون كل الأمور بأيديهم وإن استبعد الشعب وتخلفت الدولة وتتسرب ميزانيات هذه الدول إلى الخارج وقد تنتهي بموت الطاغية المخول الوحيد بتحريك هذه الأموال .وكثير من أموال بعض الدول ذهبت بذهاب حامل التوقيع رئيس النظام . لذا يحار الباحث عندما يجد دولا نفطية وزراعية لا تستطيع أن توفر لشعوبها رغيف الخبز وتبقى مدينة وميزانها الاقتصادي تحت الصفر . وعملتها في الحضيض كما هو حال العراق .

غرفة التجارة الدولية

تأسست سنة ١٩٢٠ ، وهي عبارة عن اتحاد بين القوى الاقتصادية الرئيسية للدول الأعضاء تربطها لجنة وطنية في داخل الدول ، وبين الحربين العالميتين ، كانت هناك علاقة وثيقة بين هذه الغرفة الدولية وعصبة الأمم ، فكانت تمارس ضغطا قويا في الغالب على مختلف مستويات عصبة الأمم ، وكان لها مندوبون وخبراء يدخلون في قلب الوفود الوطنية المختارة من حكوماتها كمستشارين اقتصاديين ولهم حرية الانتقال والتحرك بين الدول . وقدمت لهم الدول النامية التسهيلات بأسماء وطنية مع تحركات خفية مسيطرة على رجال الاقتصاد والسياسة . وتغلغلوا في الصناعات والتجارة والزراعة وكل المجالات الاقتصادية والبنوك .

المنظمات الدولية

عدد المنظمات الدولية ، قد جاوز الألف سنة ١٩٥٨ وقاربت في الثمانينيات الألف وخمسمائة . وتعمل على تحصيل اشتراكات وجباية دولية منظمة ترهق دولا كثيرة ، ولو أردت أن تعرف ذلك تتبع كم تدفع الدول لهذه المنظمات وتبقى مدينة لمعظمها وتستنزف ميزانيتها القومية لتسدد لهذه المنظمات ،وأعضاء هذه المنظمات يقدر مئات الملايين .

وأضرب مثلا بالاتحاد الديمقراطي الدولي النسائي وعدد أعضائه من النساء مائتا مليون امرأة ، وأكثر الدول التي عانت من ميزانيات المنظمات الدولية جمهوريات الاتحاد السوفييتي السابقة التي نخرها العجز المالي للدعاية والإعلان السياسي حتى تلاشت ، وقد تفلس دول غنية صغيرة من التزاماتها في دفع مستحقاتها لمئات المنظمات الدولية .

***

موقف الأردن من العراق

ساند الأردن العراق بكل ثقله في اعتدائه على الكويت ، وكان له أمل في القسمة التي تطلع إليها الملك عندما غير لقبه إلى الشريف حسين ليمتد ملكه إلى الحجاز ، وملأت أسلحته الكويت ، ونحن الذين لا نعرف في السلاح كأفراد مدنيين شاهدناها في المدارس الخاصة في السرة وخاصة في مدرسة دار الحنان وما جاورها وكانت صناديق الذخيرة تحمل اسم الجيش الأردني .

مرت سنوات ثلاث على هذه الأزمة ، وطلب الأردن أن يسدل الستار وننسى الذي فات ، وكادت النفوس أن تكظم غيظها لكي تعود المياه إلى مجاريها . وجاء اعتداء العراق وتهديده بالحشود العسكرية ، فاستنكر العالم وحتى بعض الأنظمة والشعوب التي كانت مخدوعة بالإعلام العراقي ووهم السياسة الداعية للتقارب .

عادت الصحف الأردنية تساند العراق وكأنها تعيد الكرة مرة أخرى بالمساندة الإعلامية .

صحيفة الرأي الأردنية أعلنت قبل أيام عن ثقتها بأن العراق سيعود إلى الصدارة وسيكون صوته مسموعا في الشرق الأوسط والعالم أجمع ، وسيتجاوز بهمة أبنائه الظروف التي يمر بها حاليا ، وأكدت الصحيفة في مقال نشرته في بداية الأزمة الحالية بقلم إبراهيم العجلون قال فيه : «إن العراق سينفض غبار الغمة التي سببها الحصار المفروض عليه ، وسيكون صاحب الصوت الأعلى وصاحب الكلمة الفصل . وأشار إلى أن الخبراء ومن هم على دراية بطبائع المجتمعات يؤكدون أن العراق وخلال عقد واحد من الزمن سيعود إلى الصدارة ، وستظل بغداد مدينة أزلية هي والخلود صنوان ، وسيظل العرب الشرفاء يشدون إليها المطايا يملؤهم الوجد وتحدوهم العزة» .

كلام في صيغة الإنشاء الطلابي في المدارس الابتدائية والمتوسطة . وكم كان

جميلا لو أفصح عن «الخبراء ومن هم على دراية بطبائع المجتمعات» . ولا أعرف كيف توصل إلى أصحاب الخبرة والدراية دون أن يذكر اسمهم . هكذا يكتب بعض المدرسين الذين تراكمت عليهم السنوات وتبخرت أدمغتهم بين ضجيج الطلبة يتمسكون بعبارات إنشائية وديباجات جامدة كما يعمل كاتب العرائض عند البريد لكل ساع له .

أما العرب الشرفاء الذين سيشدون إلى بغداد المطايا ، ويملؤهم الوجد وتحدوهم العزة . فأود مخاطبة الأستاذ ، إن الرحال الآن تشد على الطائرات العملاقة والقطارات والسيارات وإذ أخذ بزمام مطاياه ليرحل بها إلى بغداد فليس في ركابه أي خير ولا منفعة .

في يوم من الأيام عندما نُكبتْ العائلة المالكة في العراق أقسم الملك حسين أنه سيجعل في كل بيت عراقي مأتما أخذا لثأر أبناء عمومته . بعد الحرب الإيرانية وحرب تحرير الكويت انتشرت المآتم في كل بيت . وهذه الحملة الصحفية تريد أن تشعل النيران في كل أنحاء العراق . وأما التوسلات السابقة لإرجاع المياه إلى سابق مجاريها مع الكويت ، فقد بددتها اندفاعات الصحافة الأردنية . لتنكشف المواقف .

نعم كما يقول المثل الشعبي «هذا سيفوه وهذي خلاجينه» لا أمل في الإصلاح ولا أمل من تغيير المواقف .إذا كان هذا الاندفاع الأردني فلماذا لا يتحدون مع العراق وليتطابق النقيضان في الوحدة؟ .

الأردن عبر تاريخه وهو يسعى إلى نقض الوحدات السياسية العربية ، لقد تفانى في تفتيت الوحدة المصرية السورية وتآمر على تلك الوحدة بكل الطرق . عندما ذهب وفد كويتي بعد تحرير الكويت رفض الجمهور الأردني أن يسمع من المتحدث الكويتي عبارة التحرير . معتبراً أن تحرير الكويت انفصال عن العراق وأن التحرير كان في احتلال الجيش العراقي للكويت ، وتفتق ذهن الشعب المتجمهر على الباطل على تسمية يوم خروج المعتدي وهزيمته وتحرير دولة الكويت «يوم انقطاع الكهرباء » .

هذه هي العراق فليتقدم الأردن إلى الاتحاد معه ، وينصب صدام حسين ملكا على العراق والأردن . وسيكون لهم هناك في العقبة متسع بحري يغنيهم عن الأطماع في الخليج العربي .

الحملة الصحفية الأخيرة ضد الكويت تبقي الباب موصدا لمدة أطول بين الكويت والأردن وإن بقيت الرموز الدبلوماسية .

لقد اتسم البيان الحكومي الأردني بالتوازن والحذر والدقة في اختيار الكلمات بحيث يفسر لصالح العراق تارة وضده إذا نكب بعد طيشه هذا . لقد حذر باسم الحكومة من احتمالات تفاقم الأوضاع في منطقة الخليج إزاء التحركات العسكرية العراقية باتجاه الجنوب .

وفي نفس الوقت أعلنت الحكومة عن تعاطفها مع الشعب العراقي وحقه في حياة آمنة مستقرة تصان فيها حقوق الإنسان كاملة بمنأى عن المعاناة بأي شكل من أشكالها ، فإنه أي الأردن يقف أيضا ضد أي تهديد من أي شقيق عربي لشقيقه العربي على حد تعبير البيان ذي الوجهين ، وأعرب البيان عن حرص الأردن على جنود العراق والكويت وشعبيها وعلى مصالح الدول العربية ، ودعا البيان الأطراف المعنية أن تلجأ إلى الحوار البناء من خلال العمل على بناء الثقة المتبادلة بدلا من الاستمرار في نسفها حسب ما جاء في البيان .

كما دعا الأطراف العربية إلى عدم التدخل في الشؤون الداخلية لأي بلد عربي انسجاما مع المصلحة القومية ـ وإلى ضرورة عدم اللجوء إلى استخدام السلاح مذكرا بأن السلاح العربي ما كان ينبغي أن يرفع في وجه الشقيق العربي وأن الأردن سيقف في وجه كل من يستخدم السلاح .

ولو أن الكويت أقامت معرضاً للأسلحة والذخائر الأردنية التي زود بها الأردن المعتدي العراقي لكان في ذلك أبلغ رد على البيان الرسمي الأردني ، فالسلاح الأردني كان بيد المعتدي مصوباً إلى الشعب الكويتي المعتدى عليه ، فهل يعقل أن يكون البيان

منتصراً للحق والعدل في حين أن الإعلام الأردني منحاز للعدوان ؟ ! !

أما دعوته الأطراف العربية إلى عدم التدخل في الشؤون الداخلية ، فالذي يجري ليس من الشؤون الداخلية وإلا ما تحركت القوات الدولية لتقف في وجه العراق إن تجاوز حدوده .

والبيان الأردني لم يشر لا من بعيد ولا من قريب إلى الحشود العسكرية ، ولم يتحدث عن القوة الدولية كخطوة احترازية ودفاعية ، واعتبر التحركات العراقية القائمة ضد الكويت أنها تهدف إلى التلويح بعمل يائس في حال استمرار الحصار الاقتصادي المفروض على العراق .

* * *

نحو آفاقنا السياسية

لو سأل سائل ، سياسيا كويتيا عتيدا عن الذي أضناه في مسيرة العقود الثلاثة المنصرمة ،لكان جوابه الوحيد هو :

خلاف الأشقاء . تلك الخلافات المؤلمة ، فما أن يثار نقعها حتى تجد السياسي الكويتي بينها ، وتبقى الدول الأخرى منتظرة ، وهي الأكبر والأقوى ، حتى يتبين لها الموقف بعد تساقط غبار الثائرين . كان الاعتقاد السابق هو أن ينال الساعي إلى الصلح سبقا إعلاميا يوثق به نهجه السياسي .

وكانت الكويت تبذل لأجل رأب الصدع وقتا وجهدا ومالا . ليس للطرف الباغي ، بل للطرفين أحيانا معا . وقد توقفت بإعجاب لكلمة الأستاذ الدكتور عبد الله فهد النفيسي في زاويته (عدسة مجهر) في جريدة الوطن بتاريخ ١٣/ ٢/ ٩٣ والتي قال فيها :

«مع ذلك نعتقد ان الكويت لا يمكن أن تحقق الأمن والأمان لنفسها اليوم إلا باتباع سياسة خارجية لدولة صغيرة ـ بكل المعايير ـ يكون من أهم بنودها عدم التدخل في المستقبل بأي صراعات خارجية سواء في إقليم الخليج أو ما جاوره من أرض العرب ، دون التعويل أكثر من اللازم على التحالفات الدولية نظرا لتقلبها المستقبلي المتوقع ، وتكف الكويت عن دور المانح والوسيط الشريف . .» .

إذن أخذنا ندرك الآن أن تدخل الكويت للصلح كان تدخل اندفاع وحماس ، وكان يردد إعلامنا إن ذلك التحرك السياسي هو إنجازات كبيرة لدولة صغيرة .

وصيغ المبالغة التي كانت تسطر في إعلامنا ما كانت نابعة من سجية الكويت وخصالها ، الكويتي كأخيه الخليجي وإخوته في دول شبه الجزيرة يتجنبون المجاملات والكلمات المنمقة حتى في أصدق الأغراض السياسية والمعيشية . الكاتب السياسي

المتكلف كان من بيئة خارجية ، يهوى المجاملة ويزركش الديباجة ، حتى تبدو في ألوان باهرة زاهية أكثر من طبيعتها .

هذا الأسلوب يجب أن يقوّم ويعود إلى طبيعته وأصالته في الإعلام والسياسة ويخفف من اندفاع القطار الكويتي السريع الذي يجتاز دولا وأقاليم .

هناك دول عظمى ورأي عالمي يغيران الخرائط الدولية ، بعد الانهيارات الاقتصادية ، وبعد الفتن والحروب الأهلية وبعد اعتداء بعض الدول على الدول المجاورة اغترارا بقوتها ، استهانة بضعف الدول المجاورة ، هكذا انكمشت من قبل اليابان التي تطاولت على جيرانها حتى عبرت المحيطات لتقذف بيأسها إلى أبعد الأشواط ، وارتكبت ألمانيا أخطاء نابليون حتى أذاب جليد السوفييت كبرياءها ، وحطم الحلفاء تهورها فعادت ذليلة مقسمة ، شبه مستعمرة ، وتحملت هاتان الدولتان جريرة عدوانهما ، وأخذت تدفع كل منهما التعويضات المالية والاعتذارات الإعلامية حتى اليوم ، وفتحتا نوافذ التقدم العلمي بدل الحديد والنار حتى ارتقتا مجد الحضارة . ونعود إلى شاغلنا السياسي الكبير وهو الأمن الكويتي ، وتجنب الخطر القادم واستيعاب الدرس المرير بعد غزو التسعين الذي كان تهديده يردد منذ سنة ١٩٣٨ ، ونكث العراق عهود الود ومواثيق التاريخ في ١٩٦١ ، ثم جاء الاعتراف السياسي والسفارة التي رفعت علمها حتى فجر الغزو رياء وخداعا . والآن وبعد هذا تسارع الكويت مع الدول الكبرى لتتصور الرؤية المستقبلية للعراق . في البحث عن البديل الأمثل من المعارضات البعيدة عن وطنها والتي تجوب عواصم العالم .

إن التحرك الكويتي مهما كانت مصداقيته فإنه من الصعب أن يكسب ثقة أحد المتربصين المنتظرين سقوط «الحجاج» .

المنتظرون اليوم هم المعارضون الذين استخف بهم الطرب وأعجبوا بضربة القوي المستبد الذي هشم الكويت ، وشرد أهلها .

الآن يجب أن تبقى الكويت بعيدا عن هذه الرؤية وإن آلمها التمزق العراقي وأزعجها ما أوصل طاغية العراق شعبه لهذا الذل ، لقد رأت الدول الثلاث الكبيرة

المواجهة للعراق ، سوريا وتركيا وإيران عندما عقد وزراء خارجيتها اجتماعا في دمشق في الأيام القليلة الماضية الإبقاء على سلامة الأراضي العراقية ووحدتها السياسية فأثار ذلك مشاعر القلق العراقي وغضبه . وأكدت هذه الدول في بيانها مساعدتها للعراق للتخفيف من مصاعبه ودعمها لأمن الوحدة العراقية . وجاء رد بغداد سريعا عاجلا يستشيط غضبا كما عبر عنه «موريس جنت» الكاتب في هيئة الإذاعة البريطانية ومراسلها السابق في الخليج وأذيع في شؤون الساعة يوم ١٢/ ٢/ ١٩٩٣ .

واحتسبت العراق ذلك تدخلا في شؤونها كما ورد في صحيفة الثورة . وفي الإعلام العراقي المذاع .

ويقول الكاتب البريطاني موريس جنت «لا ريب أن أيا من تركيا وإيران وسوريا لا تود أن ترى تقسيم العراق في الوقت الراهن إدراكا منها أن ذلك من شأنه أن يخلق مشكلات حادة للغاية لهم ، ويلزم العراق الحذر حتى وإن صدرت عن جيرانه ما تبدو في ظاهرها تصريحات تدعمه وتؤيده» لقد صور الكاتب الحذر والشك العراقي الذي تردد في إعلانه .

والعراق يعتبر أي ذكر لسلامة أراضيه دون أن يشارك في بحثه اعتداء وتدخلا في شؤونه . هذا من الدول المشتركة في الاجتماع الثلاثي من الدول الثلاث . فكيف يكون الحال في الطرح الكويتي الآن . وفي هذا الوقت؟ لا نريد للقطاع الكويتي أن يخترق حدود الرأي ، والثقة التي انهارت مع الاحتلال ستبقى ماثلة بين الطرفين ، وأي تنازل كويتي بالرأي سينقص من ذلك الإجماع الذي أحاط بالكويت . ولكي لا نخسر التأييد والرأي العام العالمي يجب أن نبقى خارج الملاعب الكبرى ، والنوايا الحسنة السابقة في مسيرة السياسة الكويتية قوبلت بالنكران فكيف هي الآن وهي تتطلع لرؤية مستقبلية للعراق؟ .

وإذا افترضت العراق سوء النية من الدول الثلاث المجاورة لها لعدم وجودها

معهم ، فكذلك أي طرح كويتي سيكون مطعونا به لنفس ذلك الشرط .وهنا يطلب النظام العراقي أن يكون طرفا مشاركا حضوريا لأي رأي كويتي . وهذا هو المركب الصعب .



بـوش أقوى سيوف التحرير

نعم هو أقوى سيوف التحرير ، لا نقولها ضمن عبارات الترحيب والمجاملة ، بل نقولها للتاريخ الذي يختبر الرجال في المنعطفات الحرجة فيرفع الأكفاء ويقذف الضعفاء والمترددين ، ويصم الجناة والمجرمين الطغاة بالعار والخزي .

إن ذلك المنعطف التاريخي الخطير الذي هز العالم كان ينتظر القرار الشجاع والسيف الصارم بيد فارس قوي .

يقول الدكتور غازي القصيبي الكاتب والأديب السياسي في «أزمة الخليج» : من حسن حظ الكويت أن الرجل الذي كان يسكن البيت الأبيض أثناء الغزو كان جورج بوش .صاحب الخبرة الواسعة في الشؤون الدولية بوجه خاص ، في عهده الأول كان عضوا في الكونجرس ، ثم سفيرا للولايات المتحدة في الأمم المتحدة ، وسفيرا لها في الصين ، ورئيسا لوكالة الاستخبارات المركزية ونائبا للرئيس خلال ولايتين متعاقبتين .

وأشار الكاتب في الهامش فقال : قارن هذه المؤهلات بمؤهلات كل من كندي وجونسون وفورد وكارتر وريغان . وأضيف على ذلك «كلنتون» . نعم كل هؤلاء أقل خبرة من بوش . إنه واجه الأزمة بدبلوماسية دقيقة وحذرة .أمام المؤسسة العسكرية الأميركية التي كادت أن تغلق ملف الحرب بعد حرب فيتنام ، والشعب الأميركي لا يريد حتى التفكير في الحرب بعد تلك الكارثة . وفعلا بدأ بتفضيل الاحتمالات السلمية واستقطاب الرأي العام العالمي واستمالة ذوي الخبرة السياسية والوساطة وأسلوب المقاطعة والحصار . وقال للعالم كله إنه لا يريد الحرب . وجعله الدواء الأخير إن لم تجد كل الحلول المطروحة .

معركة غير سهلة

وعندما مضى الزمن على الاحتلال واستمر صدام في غيه يعتدي على الشعب

الآمن الأعزل في الكويت ، ينتهك حرمة السفارات الأجنبية فيها ، ويضاعف قواته في جنوب الكويت ، ويستعد للانقضاض على المملكة العربية السعودية ودول الخليج العربي فيما الإعلام العراقي يردد شعارات كاذبة . حرك الرئيس بوش القرارات الصعبة ، التي واجهت مجادلات عنيفة وموجات التأييد المتفاوتة .

«سام نون» رئيس لجنة الخدمات العسكرية لمجلس الشيوخ وهو الديمقراطي من ولاية جورجيا وافق على قوة تحد من انتشار الجيش العراقي وانتقد علنا القرار الخاص بتكوين قوة عسكرية هجومية . وكان يطلب معرفة ـ كيف توصل بوش إلى قناعته بأن تحرير الكويت هو من صميم المصلحة الحيوية الأميركية وتساءل : ولم العجلة ـ «كتاب القادة لبوب وودورد» .وكان يطالب بتطبيق قرار الحظر الاقتصادي الذي فرضته الأمم المتحدة والذي لم يسبق له مثيل بقطع التجارة بين العراق ومعظم دول العالم . وطلب أن تمنح الفرصة لذلك .

وثبت من التجربة أن رأي بوش كان هو الصحيح ، هذه المقاطعة مستمرة على العراق وصدام لا يهمه ذلك مهما زادت نكبات الشعب العراقي . ولو كان ذلك الحل مطروحا لبقيت الأزمة وسحق الشعب الكويتي وزاد الدمار وعم الخراب ، ولاعتبر صدام أن إهمال قرار القوة ضده هو تصريح له بغزو دول شبه الجزيرة العربية كلها . وكان بوش أصوب رؤية في قرار الحرب من القادة العسكريين .

هذا «جي كراو» رئيس هيئة الأركان المتقاعد يسأل باول إن كان تحرير الكويت يستحق حربا؟ حتى إنه اتهم بوش بأنه متشوق لإلقاء مئات الآلاف من الجنود في أتون المعارك . وكان «باول» في البداية يؤيد استراتيجية الاحتواء والضغط الدبلوماسي على صدام دون مهاجمته على أمل إجباره على الانسحاب من الكويت . وجاء في كتاب القادة أثناء نقاش حاد تخلله تهكم «كراو» وهو يوجه حديثه لباول :

«لكي تكون رئيسا عظيما في المستقبل يجب أن تقوم بحرب ، كل الرؤساء العظماء كانت لديهم حروب» .

اعترض باول ضاحكا ومضى «كراو» : ويجب أن تجد حربا تكون فيها ضحية هجوم .

وهكذا تشاور العسكريون المتقاعدون والعاملين فلم يتحمسوا للحرب وتألم بوش على دولة صغيرة تذبح والعالم يتفرج . ووجد أن شرقي السعودية معرض للاحتلال مع دول الخليج ، ورأى أن الوقت ليس في صالح الانتظار وأن الحلول الأخرى غير مجدية .

القرار الذي قصم الظهر

في الساعة التاسعة مساء تلقى تشيني مكالمة في منزله من الأميرال أوينز يخبره أن القوات العراقية قد عبرت الحدود وهي مندفعة في طريقها إلى داخل الكويت ، مئات الدبابات تتسابق جنوبا وشرقا في اتجاه المدينة . وتوجه الأميرال دافيد جيرميا إلى البنتاغون واستدعى الجنرال كيلي في ١٠ ,٩ مساء وبعد عشرين دقيقة كان في غرفة الأزمات يشرف على فريق من خبراء العمليات ومحللي المخابرات ، واحتفظ كيلي بخط تلفوني للاتصال بشوارزكوف في القيادة المركزية بفلوريدا .لقد أتم العراق دخوله في ثلاث ساعات ونصف ،وفي الساعة ٢٠ ,١١ مساء صدر تصريح قوي يدين العدوان ودعا إلى سحب القوات العراقية دون قيد أو شرط .

وفي حوالي الساعة الرابعة صباحا ذهب سكروكرفت للنوم في مكتبه ثم استيقظ بعد ٤٥ دقيقة ، وفي الساعة الخامسة كان بالباب عند غرفة نوم الرئيس بوش في محل إقامته حيث أمكن التوقيع على تجميد الأموال الذي عمل به مع المستشارين القانونيين والمسؤولين عن الخزانة منذ الساعات الأولى للاحتلال ، بحيث تمنع صدام من سرقته الأولى واستيلائه على أموال الكويت في الداخل والخارج . ووضعت هذه الخطط أمام بوش للتوقيع عليها ، وكان هذا هو أقوى القرارات الخطرة التي منعت صدام من سحب أموال الكويت ، وكانت قاصمة الظهر الأولى التي نزلت عليه وما كان بقدرة أحد منا التفكير في هذا الإجراء في ذلك الوقت المبكر ، أما المطالبون بالحلول العربية ،

فلو انتظروا حتى هذا اليوم لما فكروا في قرار مثل هذا القرار الذي وقعه الرئيس بوش قبل أن تظهر الشمس في أميركا بعد ساعات من دخول القوات العراقية الكويت ، وفي الساعات الحرجة الأولى .

اتفاق الشرق والغرب

وتحركت المملكة العربية السعودية على كل المحاور لتساعد الحلفاء على إنقاذ الكويت والحد من انتشار العدوان إلى الجنوب . وفي الأوقات الحرجة التي عطلت كل تفكير كان بوش وقادته يرسمون الخطط العاجلة لإنقاذ الموقف .

ومضت شهور الاحتلال وتمكن بوش من أخذ موافقة دول العالم على ضرب المعتدي ، ولأول مرة يتفق الغرب والشرق على رأي والخوف كان من البلاد العربية وخشية الاعتراض والمظاهرات ، وفعلا كسب بوش كل دول العالم وتخلفت فقط بعض الدول العربية ، وأيدت القيادة الفلسطينية المعتدي وكادت دول عربية أن تقلب ظهر المجن عندما أيدت الاعتداء أيضا فكانت هي الشاذة بين كل الأمم . حتى بلغت نسبة الدول العربية حدا متقاربا بين تأييد الحق ومعارضة الشر وتأييد الشر ومعرضة الحق .

وفي يوم السبت ١٢ يناير ، وبعد ثلاثة أيام من مداولات مرنة منح الكونجرس بوش سلطة شن الحرب . والقرار الذي صدر حوى تعبير «كل الوسائل الممكنة» الذي يضمن قرارات الأمم المتحدة ، وانتهى التصويت في مجلس الشيوخ باثنين وخمسين صوتا مقابل سبعة وأربعين ، ووافق مجلس النواب ، بأكثرية مائتين وخمسين صوتا مقابل مائة وثلاثة وثمانين . وتراجع القادة العسكريون المعارضون ورأوا الموقف الصحيح مع بوش المحنك فاتصل تشيني به وهنأه معترفا بأنه كان مخطئا وأنه أي الرئيس بوش يفهم الكونجرس أفضل منه . وسأل أحد المراسلين الرئيس بوش في الأوقات الأخيرة «هل اتخذت القرار»؟ فأجاب : مازلت آمل أن يكون هناك حل سلمي ، وأن يكون الانسحاب بلا شرط .

استدعى بيكر السفير السعودي الأمير بندر للإدارة الأميركية ؛ ليخبره أن الحرب

ستبدأ في مساء اليوم ١٦ يناير الساعة السابعة بتوقيت أميركا والثالثة بتوقيت المملكة لعربية السعودية أرض الانطلاقة إلى التحرير ،اتصل الأمير بندر بخادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز ، بعد أن تحدثا قليلا حاول الأمير بندر أن يظهر كما لو كان يعرض خاطرا مر بذهنه قائلا كلمة السر الكبرى :

صديقنا سليمان سوف يصل في الثالثة صباحا وهو مريض وسيصل عندكم في الثالثة .

وقامت الحرب ، ونفذ بوش وعده للأمير الشيخ جابر عندما ألقى خطابه المؤثر في جموع ممثلي الأمم ولم يجد ما يقدمه إلى الرئيس بوش إلا خريطة للكويت التي وجدت عند سفير الكويت الشيخ سعود ناصر الصباح ، وعندها أجابه بوش : وأنا أهديك الكويت ثانية .

استمرت الحرب ٤٢ يوما ،أخذت المراحل الجوية الثلاث ٣٨ يوما ، واستمرت الحرب البرية ٤ أيام وأعلن بوش عن تحرير الكويت في ٢٦ فبراير ١٩٩١ ، وسيطرت قوات التحالف على الكويت وجنوب العراق ، وحطمت جيش صدام وسحقت الحرس الجمهوري ، وأملت شروط السلام . ووهبت أميركا ٧ مفقودين و١٣٧ شهيدا وتحررت الكويت .

هذا هو بوش الرجل العظيم الذي نحتفل بقدومه اليوم فأهلا به ضيفا وقائدا ، وعظيما من عظماء التاريخ الحديث . وكما سماه الكويتيون «أبو عبد الله» . أهلا بك يا أبا عبد الله .

***

نظام بغداد ، والعمليات الإرهابية في مصر

عندما قام الأصوليون في الجزائر مطالبين بحقوقهم السياسية ، وخوض الانتخابات بالأسلوب الديموقراطي لاقوا اعتراضا من بعض الأنظمة وخاصة النظام العراقي حيث كان من أشد المعارضين لوصول الأصوليين إلى دفة الحكم وإقامة نظام إسلامي .

وقالت صحيفة الثورة الناطقة بلسان حزب البعث إن المتشددين الجزائريين يخدمون كافة أعداء الأمة . دون تحديد لهؤلاء الأعداء ، وأطلقت نعوت الرجعية والتخلف على هذه الحركة ووصفت مايجري على الساحة الجزائرية بأنه مؤلم حقا ومؤسف ، وقالت إن الأصوليين يسيئون إلى الإسلام والمسلمين والعرب .

وأوردت أخيرا وكالة رويتر مقارنة ذكرت فيها مفارقة الموقف العراقي وتأييده للأصوليين إن اقتضت مصالح النظام العراقي ، ومخالفته لهم إن كان مخالفا لنظامه ومؤامراته التي يحيكها حسب أهوائه السياسية التي لاتعرف خطا واضحا ، ولامسلكا قويما .

وكما وقفت بالأمس ضد الأصوليين الجزائريين تقف اليوم معهم في مصر ، لكي يقوضوا أركان الحكومة المصرية .

فأيدت الصحف الرسمية العراقية يوم الخميس ١٩/ ٨/ ١٩٩٣ محاولة قتل حسن الألفي وزير الداخلية المصري . وأبدت أجهزة الاعلام العراقية تشفيها وشماتتها بالحدث ، وحثت الأصوليين والمتطرفين إلى السعي في مواصلة العمل الإرهابي لتطول أعمال التخريب والاغتيال .

وقالت صحيفة«القادسية» كما نقلت وكالة رويتر في اليوم نفسه ١٩/ ٨ في عنوانها الرئيسي :

«إنه في وضح النهار وفي هجوم بطولي جريء وقعت محاولة مسلحة لاغتيال وزير الداخلية في النظام المصري» .

وحثت صحيفة عدي صدام حسين (بابل) مدبري محاولة الاغتيال وهم المتطرفون أو الإرهابيون ، فطالبتهم الصحيفة بالإحاطة بالحكومة المصرية واستهداف رئيسها .

وقالت صحيفة «بابل» من ضمن تعابيرها العدوانية في الافتتاحية :

«إن رؤوس الزعماء المصريين قد أينعت وحان قطافها من قبل المعارضة التي تعمل بنشاط الآن في جميع شوارع مصر ، وعندئذ ستكون اللطمة الأخيرة على وجه الرئيس مبارك ، ومن خلاله لكل حكومته التي تعيش على الدم والتجويع والفساد .»

وقالت «بابل» إن الوزير الذي استهدف في هذه العملية هو «أبرز أدوات القمع في يد الرئيس مبارك» .

هذا ما تقوله أجهزة الإعلام العراقية . في هذه الكارثة التي هزت العالم واستنكر إسالة الدماء البريئة في الشارع المصري ، وهذا الاندفاع والتأييد إن دل على شيء فإنما يدل على أنه غير مستبعد أن تكون يد النظام العراقي سواء بالمال أو السلاح أو التحريض قد امتدت إليه ، وهذا أمر سهل لدولة تسعى الى إضطراب الأوضاع ، وطالما تدخلت في سبيل نشر الذعر والإرهاب كما كانت تعمل في الكويت وبعض دول الخليج العربي ، وحتى اليمن رغم تحالفها مع النظام العراقي وخاصة مع عدن قبل الاتحاد حيث نظمت بغداد عملية تصفية بعض الشخصيات وآخرها الأستاذ الجامعي الذي قتلته أيدي حزب البعث ، وتصفية المعارضة العراقية في الخليج بعد لجوئهم إليه . وحتى من خالفهم في الرأي من رجال النظام كما قتلوا حردان التكرتي في الكويت .

واتسع نطاق التصفية والانتقام ليشمل كل معارض للنظام ومن أي جنسية كانت ، وامتدت يد التخريب حتى استهدفت رموزا ومعالم في البلاد .

أما التلون والسير في طريق ملتو فإنه نهج هذا النظام . فصدام حسين صاحب اللهو والمجنون والملذات . هو ذلك الرجل السادي الذي يستخف به الطرب عندما يقتل أحدا أو يأمر بقتله . هذا الرجل انقلب الى «عبدالله المؤمن» وظهر في التلفزيون وهو يرفع يده مبتهلا مع الأذان وصورة الكعبة المشرفة أمامه ليقول المذيع «حان الآن موعد الصلاة حسب توقيت مكة المكرمة المحمية بحراب الأميركان وقوى الشر والعدوان» . وفي أيام الاحتلال كانت صوره التمثيلية تعرض في التلفزيون الذي ربطوه بتلفزيون الكويت . وقام بهذا العمل الفني بعض العامين في تلفزيون الكويت من جنسيات معروفة بترحيبها بالغزاة . وكان النقل المباشر العراقي يظهر باللونين الأسود والأبيض لاختلاف نظامي الإرسال الكويتي والعراقي ، وعندما أنجز الفنيون العاملون في جهاز التلفزيون الكويتي عملهم ظهرت الصورة ملونة صافية لتحمل صورة صدام وهو يمثل دور الرجل الورع المؤمن بربه كما قال للمذيع الأميركي الموفد من اذاعة «السي .ان .ان» عندما سأله من انت فقال «أنا عبدالله المؤمن . ولله الحمد» .

نعم هكذا مثل وهكذا ظهر . ولكن عندما اقتضت أمور السياسة وقف ضد الأصوليين الجزائريين واعتبرهم خونة ومارقين ، وعندما جاء المتشددون في مصر بالانفجارات والاغتيالات أيدهم وبارك أعمالهم وطالبهم بالمزيد .

وكذلك إذاعة بغداد

وفتحت الإذاعة بابا واسعا لكي تنفث منه ذلك التشفي وكما أبنت وفاة الرئيس التركي المرحوم توركوت أوزال ، وقالت بشماتة وسخرية لقد سقط ميتا أحد حلفاء الغرب . قالت هذه الإذاعة في أضواء على الأخبار يوم ١٩/ ٨/ ١٩٩٣ «إن محاولة الاغتيال أثارت ضجة خطيرة وقلقا شديدا في أوساط النظام الحاكم في مصر ، بسبب تصاعد عمليات المعارضة والمقاومة ، وغداة إطلاق الرئيس المصري تهديدات شديدة ضد المعارضة» .

وقالت الإذاعة العراقية إن محاولة اغتيال حسن الألفي التي نفذتها المعارضة ضد رموز النظام تعد من أكبر العمليات جرأة . وقالت الإذاعة «إن فشل أجهزة النظام في

القاء القبض على منفذي العملية إنما يكشف عن حالة الارتباك والفوضى التي تسود أجهزة النظام وعدم قدرتها على التصدي للمعارضة المسلحة . التي اتخذت طابعا مسلحا ومواجهـا للحكومة منذ شهر مارس ١٩٩٢ الذي أسفر عن مصرع ١٨٤ شخصا من الجانبين منهم ٤٩ شرطيا وحكم في هذه العمليات على ٢٢ شخصا بالإعدام .

لم تتحدث الإذاعة عن الأبرياء الذين سقطوا في الطرقات والأسواق ، ولم تستنكر هذا الأسلوب الجبان الذي يروع الناس والدماء التي تسيلها الانفجارات ، والأشلاء الممزقة التي تتناثر على الأرض .

هذا هو الإعلام العراقي المنشور والمذاع يستخف به الطرب لما هو دائر في مصر . ونسأل هنا : هل يد البعث العراقي تساند هذا الارهاب لتبدد أمن مصر وسلامها ، وتطفئ تلك الابتسامة المشاعة بين الشعب المصري على مر الأيام والدهور وتنزع منه السلام التاريخي الموروث؟ !

***

هذيان المدمن . . في خطاب «عبد الله المؤمن» ! !

استمعت إلى خطاب صدام حسين وتمنيت أن تنشره كاملا كل الصحف ليقف المواطن على ضحالة هذا الفكر ، وهذيان هذا الرجل الذي لا يحسن أن يتمم جملة مفيدة ، وإن اعترض جملته بجملة أخرى قطع استرساله عن الجملة الأصلية ، بالإضافة إلى تكلفه في إقحام الآيات القرآنية ، والتظاهر بأنه الرجل المتفقه ، كما كان يقول لعمالقة الإعلام العالميين إنه ذلك الرجل المسمى بعبد الله المؤمن ، وتمنيت أن أحصل على النص الكامل حتى عثرت عليه في النشرة الإخبارية الخاصة التي تصدر عن إدارة الالتقاط والرصد السياسي في الإذاعة الكويتية ، وجاء النص كاملا رغم ما فيه من هذيان وشطحات وتصورات هزيلة مازال يلوح بها بانتصارات «أم المعارك» .

الخطاب كان بمناسبة ما يسمى الذكرى الخامسة والعشرين لثورة السابع عشر من تموز ، وهذا نموذج من خطابه : «أيها العراقيون النشامى والعراقيات الماجدات لقد أراد الله سبحانه لكم الخير لتكونوا في جهادكم وصبركم نماذج العطاء والمقاومة الباسلة للظلم والطغيان كفئة قليلة لمقاومة الفئة الضالة وإن كانت كثيرة . .» .

واستشهد بالآية الكريمة : ﴿**كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين**﴾ (البقرة : ٢٤٩) .

هؤلاء اللصوص والمجرمون الذين سلبوا ونهبوا وأجرموا يمثلهم بالمسلمين المجاهدين الذين رفعوا راية الإسلام بوجه المشركين ! ! . ثم يرتج عليه الموقف الخطابي فيبقى في متاهات كلامية يحاول أن يتوغل في الفقه ولكنه يتخبط في اصطلاحات وكلمات فقهية لا تستقيم بها العبارة والجمل المفيدة ، هكذا : «نقول هذه الحقيقة وهذه الخصيصة إن هي إلا عناوين إيمان وشرف كبير لكم أيها العراقيون ، تجعل ما تتحملونه من عنت الغادرين وظلم المعتدين أوسمة إيمان وشهادة وطنية قل نظيرها أمام العالم

والإنسانية ، وموقفا قوميا أصيلا وعظيما ستعيش عليه أمتنا كنموذج وقدوة وقياس لا يحيدان عنه لكل عناوين من يبرز إلى ميدان القيادة ومن يدافع عن المبادئ الوطنية والإنسانية ، وأي دعوة رادفت إيمانا أو وما بالسلف الصالح ، إنه شرف عظيم من غيره لا مجال لنبقى باب المستقبل مفتوحا لتترادف فيه مكانة العز مع فرص الازدهار بأعلى معانيها» .

للأمانة والحقيقة لم أتصرف بكلمة ولا في أي حرف من هذه الفقرة ، وعلى أي فرد إن كان محيطا باللغة أو بعيدا عنها أن يحلل هذا الكلام الغريب وهل بمقدوره أن يقف على جملة مفيدة لها ارتباط بجملة أخرى ، وما هي الأوسمة الإيمانية؟؟ إنها تلك الأوسمة والنياشين التي يوزعها عندما يعتبر أن أم المعارك لاتزال تحقق انتصاراتها ويوزع هو أوسمة الإيمان .

جمل ومصطلحات هلامية

ويمضي في خطابه هكذا :

«مع المحافظة على حاضر غدا وساما مشعا على مستوى الإنسانية كلها ومهماز ارتقاء بجهادها ونضالها إلى المستوى الذي يؤهل من يجد في ضميره وهمته ونفسه وعقله موجبات التحسب الصحيح والعمل الصحيح لحماية وطنه وأبناء وطنه وأمته من خطط اللؤماء الذين يستهدفون كل شيء حي وذي معنى ويصلح ليبني عليه البناة ما يقتضي من معان اعتبارية ومستلزمات حضارة تحترم فيها الأمم نفسها وتحترم الأمم الأخرى ، رديفكم في الأمة الواحدة وفي طريق المصير الواحد شعب الحجارة شعب فلسطين المجاهد الصابر» .

انظر كيف هام في كلمات هلامية غير مستدركة إلى أن ربط شعبه بشعب الحجارة ، وليس بينهما أي صلة ارتباط ، ذاك يجاهد على أرضه المغتصبة ، وهذا شعب عاث في أرض لاغتصابها وليذل شعبها ويستولي على خيراتها ، غصبا وزورا !! .

الخوض في التّفقه

«حيثما كنتم إن عهد الإيمان والفضيلة والصبر على المكاره كمدخل نموذج يقتدى ، ولفعل تاريخي يعيد وضع الأمور المختلفة إلى نصابها الصحيح لن ينتهي بانتهاء النبوة لأن الله سبحانه وتعالى هو العالي المتعالي حي لا يموت إن عصر الرسل المكلفة بأمر من الله لتبليغ رسالته بعد أن يختار من يختار ليقوموا بهذا الدور قد انتهى ، ولكن الإيمان والفضيلة وفوقها رعاية الله والنزوح إلى الإنصاف والعدل لم تنته ، لقد تحولت صفات الإيمان والصبر والاقتدار وروح النموذج والتضحية من التعبير عنها مكرسة في نبي يقيم الله له سبل الفضيلة والفعل المطلوب فحسب لتنشر بمعانيها وأهدافها على نطاق الإنسانية كلها والأمم والشعوب ، ولتعبر عنها الأمم والشعوب عن طريق تفاعل وفعل كل الصفات الحميدة حتى لو وجدت نتفا هنا ونتفا هناك على مساحة كتلة بشرية مفنية بكاملها لقهر الطاغوت وإن لم يعد أحد قادرا بمفرده على أن يقهر فرعونا كفرعون مصر» .

كلام مركب في كلمات غير مترابطة خرج منها بجمل غريبة مفككة ، كيف يفسر ذلك الشعب العراقي وفيه الأدباء والفقهاء والعلماء ، وكلهم ينصتون له وجلين خائفين ، ويبقى أمامهم مرشدا عسكريا وفقيها وحفيدا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أحد يعترض ، كما كنا نحن بالأمس صامتين بإعجاب أعمى ، حتى يقول :

«أولا وأخيرا الإيمان المطلق بقدرة الله سبحانه من غير مداخلة من شيطان رجيم تهز هذا الإيمان عن مستقره يضع المؤمنون في العراق الجهاد والفضيلة والصبر الجميل أنفسهم حاملي لواء الجهاد في القتال والبناء والصبر لخدمة العراق وأمتهم والإنسانية ، وستتهاوى هنا وهناك أمام هذا الإيمان وما يقتضيه من إصرار عروش وكراسي نخرها السوء والظلم والطغيان فيما ظهر أمام كل عين رمداء أو حتى عقل المفضل عرش ربنا الأعلى حيث أراده سبحانه وسوف يستظل بظله الآن.ويوم لا ظل إلا ظله . .» .

هذا كلام مشتت ضائع يصغي إليه شعب بملايينه ويحتاج إلى فك رموزه المبهمة ،ويمضي في حديث الجهاد والصبر والإيمان العراقي :

«الذي توكل بشعبه على مسار الجهاد ومستلزمات الصبر والإيمان وسيقتسم العراقيون ويتوزعون على كل ما يعنيهم لنجاح الفعل المشترط مثلما يتقاسمون الفضيلة . ونتائج الفعل الجهادي المشترك بينهم أمام الله والتاريخ والحاضر الذي لن يكون إلا مكللا بالنصر ولن يكون إلا مبعث فخر واعتزاز ويكون المستقبل مضمونا ومستقرا على المبادئ وطبقا لإيمان المؤمنين وعلى أساس صدق جهادنا ومسعانا سينصرنا على القوم الكافرين» .

رحم الله الحجاج عن ولده

أطلق النظام العراقي على لسان رئيسه كل نعوت الشتم والسباب على الرئيس بوش وحاول أن يتودد للرئيس الجديد كلينتون ، ولكنه وجد ابن الحجاج أعنف من أبيه فقطع الأمل وعاد للشتم والسباب وطالب اليابان والدول الأوروبية أن تعمل توازنا دوليا بعد غياب الاتحاد السوفييتي ، وأن تخرج تلك الدول من الالتزام الأميركي ، وبين أنه لن يستجيب لحل وسط لا مع الأميركان ولا الأمم المتحدة .

وتحدث عن الدول الثلاثين المتحالفة التي أجبرت «جيش الجهاد الباسل الأمين» على الانسحاب من الكويت ، ولذا فإن فرصة شرف وموقف تاريخي كالذي حصل في أم المعارك لا تجود به الأيام دائما بل ونجزم في القول بأن حالة كحالة أم المعارك بما يحمله الموقف الرصين لا تجود به الأيام في مدار العمل الذي يريده الله لهذا الجيل .

السحلية صاحبة الشر والطير الذي أطفأ النار

ثم تحدث عن سيدنا إبراهيم عليه السلام الذي كاد له الأعداء لحرقه في النار ، وتلك السحلية كانت تؤجج النار وهي تنفخ عليها ، وإن موقفها كموقف الشياطين الحلفاء بقيادة أميركا ، والطير تطفئها وتقلل من إضرامها ، ويأتي بالآية الكريمة :

﴿ قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم﴾ (الأنبياء : ٦٩) .

وأخذ صدام ذلك من الشروح الاسرائيلية وقال إن الطير هو الذي أخذ بمنقاره الماء ليطفئ النار المشتعلة ، والسحلية الملعونة تنفخ في النار ، وهذه هي النار التي أشعلها المعنيون حول العراق ، والسحلية تنفخ ولكن إرادة الله يستجيب إليها من إرادات المؤمنين العراقيين حيث تتحول النار منهم إلى «بردا وسلاما» .

هذا خطاب المجنون وهذه كلماته نقلتها بأمانة وليتها تعمم ليدرك العقلاء أي مجنون هذا الذي يعبث بالعبارات الفقهية والقرآنية ويخضعها إلى جنونه وعبثه ، أين الشعب العراقي؟ أين المعارضة من ذلك؟ بل أين رجال الدين ورجال العلم واللغة؟

هذه المقاطع لم أبالغ فيها ولم أحذف كلمة .

هذا هو صدام في عيد العراق الخامس والعشرين ، وهذا جنونه ، وهذه كلماته الهلامية وهو يهيم بها مستهينا بكل القيم والمثل ، ولكن الله سبحانه فوق كل مستبد كاذب . ﴿**ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون**﴾ [يونس ٨٢]﴿**ويمحو الله الباطل ويحق الحق**﴾ [الشورى : ٢٤] . وهذا هو الذي قصده الله في قوله الكريم : ﴿**يحرفون الكلم عن مواضعه**﴾ (النساء : ٤٦) . صدق الله العظيم .

***

الإمارات العربية ضمن خريطة الـ ٨٤٠ كم

قـال جـيـمس بيكر في مـذكـراتـه «الجـزء العـاشـر» في جـريدة الـوطن ١٦/ ١٠/ ١٩٩٥ :

«الحقيقة أني تلقيت بعد أسابيع من نهاية حرب الخليج معلومات مفادها أن صدام حسين ربما كان يعتزم القيام بتحرك يتجاوز الكويت» .

فقد علمت أن صدام حسين أرسل عشية الغزو رسالة شخصية إلى الرئيس هاشمي رفسنجاني يعرب فيها عن عزمه على التعايش مع إيران بسلام ، على طول حدود أشار إليها بقوله :

«ساحلنا البحري الذي يبلغ طوله ٨٤٠ كيلومترا» ، ويبدو أن رفسنجاني أحضر خارطة وقام بقياس طول الخليج فأدرك أن صدام كان يضف حدودا جديدة تمتد من العراق الحالي إلى الإمارات العربية وهذا يعني بطبيعة الحال أنها تشمل ساحل المملكة العربية السعودية المطل على الخليج العربي» .

وتشمل قطر والبحرين في المسافة المرسومة والتي حدودها ٨٤٠كم تصل إلى الحدود العمانية بعد أن تشمل خريطة الإمارات المتحدة ، ونذكر الأشقاء في دولة الإمارات المتحدة أن رسالة وزير خارجية العراق إلى الأمين العام لجامعة الدول العربية السيد الشاذلي القليبي ملحق رقم ٥ المؤرخة في ١٥/ ٧/ ١٩٩٠ وجاء في المذكرة ادعاء باطل على الكويت والإمارات وإليكم نص ما ادعى :

«في هذا الجانب اشتركت حكومة الإمارات العربية المتحدة مع حكومة الكويت فنفذت حكومتا الكويت والإمارات عملية مدبرة لإغراق سوق النفط بمزيد من الإنتاج خارج حصتيهما المقررة في الأوبك بمبررات واهية لا تستند إلى أي أساس من المنطق أو العدالة أو الإنصاف ، وبذرائع لم يشاركهما فيها أي من الأشقاء من الدول المنتجة . وقد أدت هذه السياسة المدبرة إلى تدهور أسعار النفط تدهورا خطيرا» .

وتقول المذكرة العراقية أيضا :

«لقد سبق أن شرحنا مخاطر سياسة حكومة الكويت والإمارات لإخوتنا في الدول العربية المنتجة ومنها الكويت والإمارات مرات عدة وشكونا وحذرنا» .

وفي قمة بغداد تحدث صدام حسين عن هذه المسألة أمام الملوك والرؤساء والأمراء وفي حضور المعنيين بصراحة وبروح أخوية وهذا نص حديث صدام حسين :

«كنا نتصور وخاصة بعد الأجواء الأخوية الإيجابية التي تحققت في قمة بغداد أن حكومتي الكويت والإمارات سترعويان عن هذا المنهج ،بل إن بعض المسؤولين فيهما ـ أي الكويت والإمارات ـ أطلق تصريحات وقحة عندما لمحنا إلى هذه الحقائق وشكونا منها .

إن ما فعلته حكومتا الكويت والإمارات يستهدف أهدافا خفية ، فإلى أي مصير تريد حكومتا الكويت والإمارات أن تجر الأمة العربية في هذا الظرف الصعب الدقيق والخطر وسياسات وأهداف من تريدان إرضاءها؟

إننا وبعدما أوضحنا هذه الأمور لكل الأشقاء وبعدما طلبنا مباشرة من هاتين الحكومتين الكف عن هذه السياسة الظالمة والمدمرة وشرحنا لهما ما نتعرض إليه من أضرار كبيرة قبل قمة بغداد ، لذلك فإننا ندين ما فعلته حكومتا الكويت والإمارات بالعدوان المباشر على العراق فضلا عن عدوانهما على الأمة العربية» .

هذه هي الفقرات التي هاجم فيها الكويت والإمارات العربية معا ووصلت إلى التجريح والكلمات النابية ، وكيف قامت الإمارات مع الكويت بالتآمر على العراق والأمة العربية .

نذكر الإمارات أنها كانت مستهدفة بالغزو بعد الكويت لولا قوة الحلفاء وإجماع الرأي العالمي لتحرير الكويت وطرد العراق من أراضيه ،فليرجع المسؤولون في الإمارات الشقيقة إلى هذه المذكرة ليروا كيف كانت بلادهم مستهدفة وكيف أهان حكومتها واتهمها مع الكويت بأنهما تآمرتا على العراق والأمة العربية .

لقد كان بلاء الكويت من طيبتها ، وجرها ذلك إلى مجابهة المعروف بالإساءة والنكران ، لقد أكرمت العراق فتمرد عليها ، وساعدته وفتحت أرضها وأجهزتها له ولكن قوبل كل ذلك بالنكران والجحود والحقد ثم الاعتداء الكبير .

ولا يشك أحد بطيبة الشعب الإماراتي وحكومته لذا فقد تلقت الإمارات الاتهامات الكاذبة والجارحة كما تلقت الكويت معها ، هكذا كانت الكويت ضحية طيبتها وصفاء قلبها ونواياها الحسنة كذلك ستكون دولة الإمارات العربية ونذكر الإمارات أن العراق بدأ ينشر فيها القلاقل والاغتيالات وحادثة المطار لم تغب عن الذاكرة .

في مؤتمر بغداد لم يكن صدام لوحده الذي تحرش بالخليج وهاجم حكوماته بل شاركه الملك حسين حيث اشتكى أكثر من مرة من الكويتيين والسعوديين والإماراتيين وختم حديثه قائلا «أضاعوني وأي فتى أضاعوا» يقصد أن دول الخليج خسرته لمواقفها ، عندها كان خائفا من زوال ملكه عندما نادى بعض الاسرائيليين ومنهم شارون بإقامة دولة فلسطينية في الأردن وطرد التاج الأردني والأسرة الحاكمة هناك .

وقالت جريدة الجهاد الناطقة باسم حزب الدعوة الإسلامي في ٤/ ٤/ ١٩٨٣ «إن واحدا من الأحلام التي قدمت لصدام حسين في حربه ضد الجمهورية الإسلامية في إيران يتعلق بابتلاع الكويت وتأسيس دولة ذات قوة مالية ضخمة يستطيع بها الالتفاف إلى دول عربية أخرى فيسقط أنظمتها لصالحه» .

ونورد قولا لصدام حسين من كلمة له خلال استقباله أعضاء المكتب الدائم لاتحاد المحامين العرب في ٢٧/ نوفمبر ١٩٨٨ .

«وندعو العرب إذا انحرف العراق ـ لا سمح الله ـ عن هذه المبادئ «عدم التدخل في شؤون الدول الأخرى» أن يجيشوا عليه الجيوش إذا انحرف وذهب إلى قطر عربي وأعجبته قوته وأراد أن يطبقها على عربي ، فمن المشروع ومن المبادئ ومن الأخلاق أن يجيش العرب على العراق جيوشهم ويوقفونه عند حده» .

وهكذا انحرف العراق فوقف العرب ضده وجيشوا الجيوش وشذ عن هذا النداء الأردن من دول المشرق العربي» وغريب هذا القول من ذلك الاعتداء السافر وازدواجية الشخصية عند صدام حسين الذي قال : حاربوا العراق إن اعتدى على أي دولة عربية إن غرته قوته .

***

يهود العراق

عاش اليهود في معظم البلاد العربية منذ القدم كمواطنين يزاولون ديانتهم بحرية ولم يقف الإسلام معترضا أمام حرياتهم فمنهم من ترك ديانته إلى المسيحية أو الإسلام وبقيت الغالبية العظمى لها دينها وشعائرها في كل الحقب الإسلامية ، وكانوا قبل ذلك في العهود الجاهلية ينتمون أيضا إلى قوميتهم العربية ولا ولاء لهم إلا للأوطان التي نشأوا عليها في أرض الجزيرة العربية وفي اليمن والعراق ودول المغرب العربي ومصر ، وَجاء بعضهم إلى الخليج العربي من الدول الأخرى القريبة ، وكانوا يتحدثون العربية ويتعلمون بها ولا يعرفون من العبرية إلا ما هو في نطاق ضيق لصلواتهم وشعائرهم ويتداولونها في منازلهم ومعابدهم فقط .

وبقي الحال على ذلك حتى نشطت الحركة العالمية الصهيونية ففتحت لهم المدارس ، ووثقت بينهم الروابط الروحية وصرفتهم عن انتماءاتهم القومية العربية ، فجعلتهم يتطلعون إلى أرض الميعاد في فلسطين وأخذت تحيي لهم اللغة العبرية بعد انحسارها عبر التاريخ ، وقام مؤسس الحركة الصهيونية في ٤/ ٦/ ١٩٠٣ باسم الصهيونية العالمية بطلب الموافقة من السلطة العثمانية لتوطين يهود أجانب في العراق ، ليكونوا بجانب اليهود العراقيين العرب ولكن هذه المحاولة فشلت لعدم استجابة السلطة العثمانية لذلك الطلب . وسعت بعد ذلك إلى كسب اليهود العراقيين نحو الفكرة الصهيونية ، وإبلاغ اليهود أنهم في أي بلد في العالم ما هم إلا في أرض الشتات والمنفى ولا بد أن يأتي يوم العودة إلى الوطن الأم ، وكان يهود العراق أبعد من كل الطوائف اليهودية في العالم رغبة في مغادرة وطنهم ، ومع اتساع المدارس اليهودية ، وإقامة دولة اسرائيل ، وهزائم العرب واختلاف كلمتهم زادت الرغبة عند الكثير منهم في مغادرة العراق فهاجروا بأعداد كبيرة إلى فلسطين المحتلة ، وبعد هذه الهجرة الكبيرة اضطربت الأسواق وأغلقت محلات كثيرة في بغداد إثر رحيلهم ، وكانوا طوال

تاريخهم الطويل يديرون معظم التجارة . وقد انصرف يهود العراق منذ مئات السنين إلى جمع المال وتسخيره لتأمين سيطرتهم الاقتصادية والسياسية في العراق ومعظم البلاد التي يعيشون فيها . وقبل ذلك بآلاف السنين أنشأت الجالية اليهودية في بابل بيتا عالميا للمال كما هو الآن في سيطرتهم على البنك الدولي في أميركا ، وكان العراق مركز العالم القديم وله تأثير استراتيجي منذ ذلك التاريخ .

مضت العهود حتى جاء عصر البعث الصهيوني في أوائل هذا القرن فاندسوا في أوطان الدولة العثمانية دون إذن رسمي ، حتى احتل البريطانيون العراق : البصرة في ١٩١٤ وبغداد ١٩١٧ ولما دخل الإنجليز وجدوا اليهود في طليعة الطوائف الأخرى وعيا ، وأكثرها إلماما بالثقافة والتعليم وخاصة علم الإدارة والاقتصاد ، فكانت لهم الصدارة في تولي المهام القيادية الاقتصادية ولإحاطتهم باللغة الإنجليزية ، وعندما احتل الإنجليز بغداد في سنة ١٩١٧ أقام اليهود حفلا رائعا في مدرسة «الإليناس الإسرائيلية» وبرزت علامات الثراء الاجتماعي في هذا الاحتفال ورحبوا بالفاتح الجنرال مود ، وحضرت هذا الاحتفال الصحفية الأميركية الكبيرة «اليانو رايفان» التي عبرت عن هذا الفتح الحربي قائلة «الحرب في مهد العالم» . وحضر الحفل كما ذكر الدكتور فاضل البراك في كتابه المدارس اليهودية والإيرانية في العراق قائلا : لقد احتشد الناس من مختلف الأقوام والطوائف ، ودل على ذلك ما يلبسونه على رؤوسهم من الطرابيش والكوفيات وعمائم وكلاوات فارسية ، ونساء كشفن عن وجوههن وقال معلقا على عبارة ترددت «نساؤنا لسن بحاجة إلى حجاب أبدا تحت الحكم البريطاني» ص٢٢ ، وقد تولى اليهود معظم التجارة وإذا استثنينا تجارة اللحوم والأطعمة فلا نبعد عن الحقيقة إذا قلنا إن التجارة كلها في أيديهم وأعمال الصيرفة والربا ،وصار بيدهم ٩٥٪ من واردات العراق قبل الحرب العالمية الثانية و٨٠٪ خلال الحرب و٥٠٪ بعدها ، وكان اليهود من ١٩٣٥ إلى ١٩٥٠ يشكلون الأغلبية في غرفة تجارة بغداد ولهم نفوذ في الدولة ويملكون أحسن العقار وأغلاه . ولهم مدخرات مالية ضخمة في المصارف ولهم مدارس كثيرة تدار بأموالهم . وكانت الحكومة العراقية في

وضع مالي مزدهر أخذت تقدم المساعدات إلى المدارس الأهلية بما فيها الأجنبية وخاصة تلك التي تدار من «الأليانس» الفرنسية العالمية .

وفي العشرينيات كان ساطع الحصري معاونا لوزير المعارف فأصدر قرارا بقطع المساعدات عن المدارس الأجنبية وحصر المساعدات بالأهلية الوطنية ، غير أن الطائفة اليهودية اعترضت وطالبت أن تعامل معاملة الأهلية الوطنية ، وعندها تدخل وزير المالية اليهودي «ساسون حسقيل» في الأمر لاعتبار أن المدارس اليهودية أهلية وطنية ، وتدخل المندوب السامي فبعث بكتاب لمجلس الوزراء بهذا الخصوص ، وقام بعد ذلك «ساسون حسقيل» بإجراء مالي خطير قصد به حصر المصروفات المالية في الدولة. فألغى بعض المناصب الرسمية في الدولة حتى شملت منصب «معاون الوزير» كوسيلة إجرائية لإبعاد نائب وزير المعارف ساطع الحصري ، وتم ذلك وأقصي الحصري عن منصبه ، وإن دل ذلك على شيء فإنه يدل على أن «ساسو حسقيل» وزير المالية كان هو الأقوى في مجلس الوزراء وصاحب الكلمة ، ومن ورائه الشخصيات البارزة والمال اليهودي الذي يعد عاملا فاعلا في الضغط على سياسة الدولة الداخلية والخارجية ،هذه هي العراق في أيام اليهود وقبل أن يرحلوا في منتصف الخمسينيات ، وكيف كان أثرهم في الاقتصاد الوطني وسياسة الدولة .

***

العراق وإسرائيل

قد تتسع رقعة السلام مع إسرائيل وتعترف بها دول عربية أخرى بعد أن ألقت منظمة التحرير عصاها واستقر بها النوى وقبلت بأقل القليل من الأرض المغتصبة . كان الإعلام العراقي إلى وقت قريب يخدع وطنه وأمته في تشنجه وتوتره حتى تبين أن القوادم من المتفاوضين يسندهم الخوافي ، وخوافي أجنحة حمامة السلام أقوى من قوادمها ، وهذا ما يذكرنا بتهديد أنور السادات عندما أسكت الجميع بمقولته «إذا لم تكفوا رغيا فإني سوف أظهر وأكشف الجميع» .

من الأخبار التي ظهرت ما تحدث عن بعضها أحد أقطاب المعارضة العراقية السيد أحمد الجبوري : أن النظام العراقي عازم على مد خطوط اتصالات مباشرة مع اسرائيل لنقل النفط عبر الأردن . وقال إن النظام العراقي قبل شرطا اسرائيليا لتوطين مليون فلسطيني في العراق ، وذلك في إطار محاولات ترمي إلى إقامة علاقات مع اسرائيل على حساب القضايا القومية .

ومن الأخبار التي تسربت ونفاها رئيس الوزراء الاسرائيلي أنباء عن الرئيس العراقي حيث قدم مقترحات السلام لإسرائيل .

وجاء تصريح رابين تعقيبا على نبأ لتلفزيون اسرائيل في منتصف أغسطس مفاده أن العراق أعرب عن استعداده لمناقشة السلام مع اسرائيل ، وفي يوم ١٤/ ٨/ ١٩٩٤ قال وزير الشرطة الإسرائيلي موشى شاحال ـ العراقي الأصل ـ إن الحكومة الاسرائيلية ينبغي أن تدرس احتمال إقامة السلام مع العراق كإجراء مضاد لإحباط خطر نووي من إيران في المستقبل .

عدم كشف الاتصالات

علق «بول ماريه دولاجويس» من إذاعة مونت كارلو مساء ١٤/ ٨/ ١٩٩٤ في حديث مطول بين فيه سبب إخفاء اسحق رابين حدوث الاتصالات العراقية الاسرائيلية

فقال : على الرغم من نفي رابين فإن الاتصالات بين المندوبين العراقيين والاسرائيليين في نيويورك قد جرت بهدف قلب صفحة في تاريخ العلاقات بين البلدين وفق التعبير المستخدم في بغداد ، والدبلوماسيون العراقيون يوضحون ببساطة بأنه ومنذ اتفاق «أوسلو» الإسرائيلي الفلسطيني لم يعد هناك سبب لأن يكونا عدوين ، أي العراق وإسرائيل ، ويمضي بعد ذلك في شرح أسباب الاندفاع العراقي فيقول : إنه إظهار لكل المجتمع الدولي وفي المقدمة الولايات المتحدة بأنه لم يعد في المستطاع اتهام العراق بتشجيع الصراع في المنطقة بل على عكس ذلك ، فإن الحكومة العراقية سوف تؤيد عملية السلام ، لتتوصل إلى رفع الحصار وهو أقصر السبل .

أما النفي المباشر لرابين فإنه لا يمنع تلك الأخبار التي أعلنت من أجهزة الإعلام الاسرائيلية لمسؤولين حول الخطوة العراقية .

وزير الإسكان الإسرائيلي بن عازر أعلن ان اسرائيل لا يمكن أن تسمح لنفسها بأن لا تأخذ بالاعتبار قوة العراق الإقليمية المؤثرة .

وقيل إن الرئيس وايزمان أخذ يعلن عن موافقته ، ولكن التريث جاء من أميركا ، مما عرقل اندفاع العربة العراقية المتجهة غربا نحو اسرائيل ، ولكن هناك توجهات في واشنطن لوضع العراق وإيران في سلة واحدة ومعاملتهما كعدوين ، ورغم الاتصالات العراقية الاسرائيلية فإن رابين رأى أن يؤجل إعلان الاتصالات حتى تتبين له الإضاءة الأميركية .

المصادر الفرنسية

أكدت صحيفة لوفيغارو الفرنسية في ١٥/ ٨/ ١٩٩٤ أن اتصالات قد جرت بين العراق واسرائيل في مقر الأمم المتحدة في نيويورك وقالت إن العراق يهدف إلى استغلال اللوبي الاسرائيلي لإقناع واشنطن برفع العقوبات الدولية عنه . ونقلت «اللوفيغارو» عن التلفزيون الاسرائيلي قوله إن هذه الاتصالات تعود إلى شهرين حيث أعلنت بغداد أنها تتمنى طي صفحة العداء مؤكدة أن صدام حسين لا يعتبر إسرائيل

بمثابة عدو وذلك منذ توقيع الاتفاق مع منظمة التحرير الفلسطينية حول الحكم الذاتي الفلسطيني . ونقلت الصحيفة عن «ها آرتس» الاسرائيلية قولها إن واشنطن سبق أن اعترضت على لقاء جرى في بداية العام بين (أوري لوبراني) وهو موظف كبير في وزارة الحرب الاسرائيلية وعدد من رجال أعمال يمثلون المصالح العراقية .

فإذا العراق المتصلب إعلاميا الذي احتج على الكويت عندما استجارت بالدول الشقيقة والصديقة لتحريرها ، وادعى أن الكويت أدخلت أميركا إلى المنطقة لتمس حرية هذه المنطقة ، وأيدته في ذلك دول عربية عديدة ، وخفي عليهم التاريخ والتحالفات التي قلبت وقائع التاريخ لمصلحة الأوطان وحرياتها ، فهذه بريطانيا تضع في الحرب العالمية الثانية يدها بيد ألد أعدائها لمصلحة الوطن وحريته ، وعابوا على الكويت أنها بذلت المال لتحرير وطنها ، وهذا أمر طبيعي فإن لم تنفع الأموال لاسترجاع الوطن فلا خير فيها .

العراق أفلست خزائنه من أجل المكائد والدسائس في دول إفريقية وآسيوية ، بل سخر ذلك المال لكي يبني إمبراطورية يتوج عليها صدام ـ فلو كانت هزيمته نصرا في إيران واحتلها أو احتل بعض أقاليمها لاستدار على دول الخليج العربية وضمها لمملكته ، هذا ما سولت له نفسه وآزره الملك حسين ليتقاسما دول شبه الجزيرة العربية . صدام على حقول النفط والآخر على أرض الحجاز ، وأعطى نفسه لقب الشريف حسين وكاد يلبس عمامة الشريف حسين الأول لولا سقوط تلك الآمال ، وانتصار الحلفاء في تحرير الكويت وإبعاد الخطر عن دول شبه الجزيرة العربية ، والآن يسقط العراق بقية شعاراته القومية والثورية بعد أن ركع لمن قال عنهم : دول الإمبريالية والصهيونية والاستعمار .

***

ماذا بعد سحب جنسية أدباء العراق

حملت أجهزة الإعلام العراقية على ثلاثة من أدبائها الكبار لحضورهم مهرجان(الجنادرية) في المملكة العربية السعودية وقاد الحملة عدي صدام حسين في جريدته «بابل» ، وجاء في تحقيق مفصل من عمان «الأردن» إلى جريدة الشرق الأوسط ونشر في العدد رقم ٥٩٧٥ يوم السبت الموافق ٨/ ٤/ ٩٥ مفصلا ، والأدباء الثلاثة اختاروا لأنفسهم الهجرة والفرار من الحكم البعثي ، وتأتيهم الدعوات دائما من المحافل الأدبية للمشاركة فيها وخاصة الجواهري قمة الشعر العربي والعلم الكبير الباقي في البلاد العربية ، لقد اختار الهجرة الطوعية لنفسه فهجر البلاد والأهل والوطن عندما صار الأدب إلزاما سياسيا ، وتأليها للفرد وعبودية للأديب ، الجواهري وليس غيره القمة الصامدة التي لم تسقط في مستنقع النفاق والتزلف والارتزاق أمام الأبواب ، عندما أله صدام وصار رمزا يعبد في الشعر العربي وتهافت عليه العرب من كل صوب خاصة من بلادنا كان الجواهري يختار الآفاق البعيدة ليفر من العراق ونظامه ، كان الجواهري فوق قمته لم ينحدر منها ، فتح له بعض الرؤساء بلادهم لكي يأوي إليها حتى تهدأ بغداد من عواصفها الحزبية ، فخصص له أحد القادة قصرا ومكانا آمنا لكي لا يبعد عن الجو العربي حيث الغربة القاتلة ، وأحيط بهالة من الاهتمام والرعاية فحمل عصاه وارتحل إلى أرض الشتات والحياة الصعبة ، الجواهري مازال قمة أبية شامخة فوق كل المفاهيم الإقليمية . إنه ذهب إلى المملكة العربية السعودية وشارك في «الجنادرية» ليكسر الحاجز الذي تغرسه العراق أمام كل حد من حدودها ، أمام سوريا والكويت والمملكة العربية السعودية ، ويتظاهر أمام الملأ أنه هو الساعي «أي العراق» إلى التقارب العربي والوحدة وكسب الأشقاء .

النظام العراقي الحالي منذ أن جاء إلى السلطة وهو في نزاع وخلاف مع أمته ، قد يكسب البعداء الذين لا تتضح لديهم رؤية الحركات القريبة والذين مازالوا متعلقين

بوهم الإعلام المتشنج والمتصلب ، والذي يحمل الشعارات الهاوية .

لقد تصدى عدد كبير من الأدباء والكتاب الأردنيين لهذه الحملة العراقية القاسية . التي قادها عدي صدام حسين ضد الشاعرين الكبيرين الجواهري والبياتي والكاتب سعد البزاز[1] .

الأستاذ ضياء الدين الرفاعي رئيس اتحاد الكتاب والأدباء استنكر هذه الحملة ، وبارك مشاركة الوفد العراقي وتوجهه إلى المملكة العربية السعودية مؤكدا أن البلاد العربية كلها وطن واحد والمواطن العربي له الحق في التنقل من أي بلد عربي إلى أي بلد آخر دون عوائق ، واستنكر مطالبة النظام العراقي بإسقاط الجنسية عن الأدباء والكتاب ، فالجنسية حق مكتسب كالولادة وهوية الوطن لا يمكن نزعها من أحد :

كما استنكر الكاتب الأردني الأستاذ معن البياري هذه الحملة وقال : إن هذا السلوك يبقى غير مقنع وغير مقبول ومدانا ويستحق الاستنكار والإدانة والجنسية العراقية حق من الحقوق الطبيعية . لا يمنح حتى يسحب ، وقال : وأرى ذلك ليس غريبا على الحكم في العراق أن يمارس مثل هذه التصرفات وهو الذي قام بالكثير من الممارسات التي أرهقت شعب العراق ومبدعيه ومفكريه ، وحضور الثلاثة إلى مهرجان الجنادرية مسألة طبيعية جدا .

واستنكر الموقف العراقي هذا الناقد الأدبي الأستاذ محمد المشارقة الذي بين أن هذه الحملة العراقية لا تمثل الثقافة العراقية والمثقف العراقي الذي حطمته المغامرات والخراب السياسي للحكام . والمثقف العراقي طوال عمره منفتح باتجاه أمته ولا يمكن تصور الثقافة العربية دون إنجازات الثقافة العراقية وطالب أن يستمر هذا التواصل بين الأدباء ، واستنكر الكاتب الصحفي الأستاذ مازن حجازي تلك الحملة الظالمة التي تعرض لها الجواهري والبياتي والبزاز لمجرد زيارتهم لبلد عربي كبير .

---

(١) سعد البزاز له مواقف متخاذلة ومنحازة للنظام العراقي ، وموقفه المعادي للسعودية والكويت معروف في كتابه المنحاز (حرب تلد أخرى) .

وهكذا حمل العديد من أدباء الأردن والكتاب البارزين على قرار الحكومة العراقية المتمثل بإرادة من عدي صدام حسين في جريدته (بابل) لكي تنتزع الجنسية العراقية من الجواهري والبياتي والبزاز . هكذا يقيم المواطن والأديب ويكون عرضة لهذا الحكم الديكتاتوري الذي يتصرف فيه الحاكم كفرد ويحكم على الناس بالعقاب والحرمان والتهديد والوعيد ، ويورث هذا الحق لأبنائه ولهم أن يحكموا في أي أمر من أمور الدولة ، السياسية والعسكرية وفي شؤون الفكر والأدب إلى درجة سلب الحقوق المكتسبة الوطنية والإنسانية .

دول الخليج العربي وما فيها من مسيرة حضارية وحرية وديمقراطية ، إن لم تكن ديمقراطية العدالة القانونية الحديثة فإنها تحتضن عدالة الشرع والأعراف والخلق الذي جبل عليها أهل شبه الجزيرة وعدم قبولهم الضيم والظلم لا من المستعمر قديما ، ولا من الأجناس التي حكمت بالقوة والقهر ، هؤلاء هم أهل دول شبه الجزيرة ، ومع هذا فهم في نظر الأنظمة العراقية السابقة واللاحقة متخلفون بعيدون كل البعد عن الحضارة ، ويعرف جيدا القاصي والداني أنه لا يوجد ابن حاكم في دول مجلس التعاون يخرج إلى الشعب ويستعرض عضلاته ، ويتجاوز الأنظمة والقوانين وليس لنا أقرباء حكام يعيثون في البلاد فسادا ، فيسحبون الجنسية من الأدباء ويمنعون تحركهم ـ ولم يمنع في يوم من الأيام أديب من حضور عمل فكري أو أدبي ،هذا هو العراق ، الآن يتصدى لحملة واسعة من مفكري الأردن وكتابها وغدا يعرفها البعيدون في البلاد المغاربية التي مازالت تفتتن بشعارات الأحزاب كما كان المشرق يعشقها قبل نصف قرن .

وسوف تعم الحقيقة أن العراق يحكم بسلطة فرد واحد وعائلته ولا حقيقة للديمقراطية أو المجلس الوطني المنتخب ولا مكان للشعب على أرضه .

وليكن الله في عون الشعب العراقي وآخر التطورات أن النظام العراقي طالب فرات بن الجواهري أن يستنكر موقف أبيه في ذهابه إلى المملكة العربية السعودية وحضور مهرجان (الجنادرية) ، وهل سيقبض بعد ذلك على عائلات الأدباء كما يعمل في أي إرهاب آخر ؟ !

***

روابط جغرافية في كيان سياسي

من حق الأمم المتحضرة أن تفرض مسمياتها الحضارية على بقية الشعوب ، وهذا أمر طبيعي فهذه المسميات العربية مازالت في متناول الشعوب كالجبر والكيمياء والكحول والصفر ، ومواقع الأبطال التاريخية كجبل طارق ، وأسماء المدن في اسبانيا وجنوب فرنسا وغير ذلك ، كما هو في أسماء المخترعات الحديثة ،هناك أسماء واصطلاحات وضعت لأغراض سياسية فقط لطمس بعض الهويات القومية ، وإعلاء أخرى ، فالشرق الأدنى ، والأوسط من الأسماء الحديثة التي لا علاقة لسكان الشرق بها ، فمصر وسوريا ولبنان والأردن ، هي مجموعة شرقية قريبة للبلاد الغربية وخاصة إنجلترا وفرنسا وعندما توجهت جنود البلدين لفتحها أطلقوا على هذه المجموعة الشرق الأدنى ، وتغلغل بها الاستعمار فصارت سبلا مطروقة وبقيت التسمية راسخة للسياسيين والسياح ورجال العلم ، إنه الشرق الأقرب إلى الغرب ،إذن هو الشرق الأدنى ، أما الشرق الأوسط فهو ما بعد الأدنى بالنسبة إلى دول الغرب ، وليس فيه رسم ثابت ، لأنه يتغير مع السياسة وأزمنتها . فالتحديد الأول كان يطلق على منطقة آسيوية تشمل العراق وإيران وأفغانستان وباكستان والهند ، ولم تكن المجموعة الأولى ضمنها حتى أرادت سياسة الغرب أن تذيب اسرائيل في إطار سياسي واحد مع جيرانها ، ولكي يتوقف القول عند المثقفين إن اسرائيل عضو غريب زرع في جسد آخر ، وشيئا فشيئا حتى أهمل الغرب تسميته الأولى «الأدنى» .

نطاق الشرق الأوسط الجديد

اتسع مصطلح الشرق الأوسط فأخذ معه المجموعة الأولى وزاد عليها العراق وإيران وتركيا وأفغانستان والحبشة وفي وسط هذه المجموعة اسرائيل ، وأخذ اسمها يتردد سياسيا مع نطاق جديد فيه العرب وغيرهم إذن لم تعد اسرائيل هي الغريبة بين هذه

الأمة ، هذا ما أراده الغرب . وصارت هذه الدول تحت الأضواء العالمية الساطعة ، وبقيت دول شمال افريقيا والسودان بعيدة عن هذه الأضواء وتوقف ترديد اسم العالم العربي والكيان العربي ، وصار المشرق كإقليم داخل المسمى الجديد «الشرق الأوسط» . مثال الدول الأخرى غير العربية ليكون الرابط الجغرافي هو الكيان المتحرك إعلاميا في السياسة والاستراتيجية العسكرية بل وفي الفكر الثقافي والعلمي ، وفي الصحافة العالمية والمنشورات والمناهج العلمية الرفيعة ، وإن ذكرت لبنان فهي دولة شرق أوسطية ومصر مع عظمتها التاريخية والعلمية والحضارية هي دولة شرق أوسطية مثل الحبشة التي ضمت إلى هذا النطاق وأفغانستان والأردن على سبيل المثال ، وقد تتوحد كيانات عربية ولكنها تبقى أوصالا شرق أوسطية .

هكذا أراد الغرب أن تذوب بعض أجزاء الأمة العربية مع أمم أخرى وتحمل تسمية في رابطة السياسة الجغرافية الجديدة .

وظهرت هذه التسمية مع نداءات السلام وتحركاته الدولية في عبارات أدبية وإنسانية ، فقالوا لكي يعم السلام بين أبناء الشرق الأوسط ، وتشرق شمس السلام كما أشرقت عليه الشمس الدافئة طوال التاريخ لتعود حضارة الشرق في وسط العالم القديم كما كانت ، وهكذا حتى تغلغلت التسمية في نفوس المشارقة وابتعد المغرب العربي وكأنه اسم من أسماء التاريخ السالف كالأندلس وكالدول التي كانت في نطاق الأمة العربية وانفصلت عنها . هذه تسميات تشغل الإعلام أولا ثم تدخل السياسة والتاريخ وتستوعبها الثقافات ، وتدخل المجالات العلمية حتى ترغم عليها النفوس وتكون حقيقة ثابتة .

الحقائق الآن كالنباتات الصناعية توضع بدل النباتات الطبيعية وتلقى الرعاية والاهتمام حتى تفضل على الأخرى ، وهكذا هي السياسة والدول تدخل في إيحاءات نفسية وتنقلب الصداقات إلى عداوات وينقلب العدو إلى صديق حميم ،

حتى يتذكر الكثيرون قول الشاعر :

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى

عدوا له ما من صداقته بد

زراعة في الجسم المزروع

ويذهب الدهاء الغربي بعد ذلك إلى ما يذهل العرب ودول العالم المتطلعة إلينا ، إلى عملية الغرس الجديد المدعو بالسلام ،بعد توطن العضو المزروع الذي عادت إليه الحياة حتى أخذ يتنفس من هواء «الشرق الأوسط» زرعوا فيه عضوا صغيرا ، كما يزاول الطب الآن أعمال التجميل والترقيع بأن يؤخذ من الفخذ إلى الساعد ومن الكتف إلى الوجه ،هكذا تم السلام كعملية تجميلية ترقيعية هلل العرب لها قبل أن ينبئهم الطبيب المعالج بنجاح العملية .

هكذا تسير الأمور السياسية بإيحاء نفسي يوحي إلى هذه الشعوب التي تدعى بالعالم الثالث وتعامل معاملة العالم الأخير بين أمم الأرض .

***

مهلا ، أستاذ حسن العلوي

استمعنا إليك في جمعية الصحافيين الكويتية مساء الثلاثاء ٥/ ٩ وعرفتنا أن مكوثك في الحزب والسلطة ١٥ سنة وفي المعارضة خمس عشرة سنة أخرى ، وأن اسمك في السجن «٢٦» أعطوك حبة في الدخول فانهارت صحتك ولما عرف أحد حراس السجن ان اسمك الحقيقي الأستاذ حسن علوي أعطاك حبة مضادة أعادت إليك صحتك ووعيك ، ولو عملها صاحب السجن حقا لهمَّ صدام بقتل جميع السجناء والمسجونين .

تقدم إليك ابن خالد مسعود الفهيد بسؤال عن كتابك «أسوار الطين» حيث قلت فيه إن خالد المسعود كان ينوي أن يقود معارضة تطيح بحكم الصباح ليضم الكويت إلى العراق ، فقاطعته قبل أن يتم سؤاله لتوقعك لما يريد أن يقول لعلك تحجب بعض ما يقول وقبل أن يسترسل ،فقلت إنك منذ فترة لا تكتب وتتولى (أم علي) زوجتكم الكريمة الكتابة نيابة عنك ليس من الآن ولكن منذ صدور الكتب الأخيرة ، وقلت إنك تركت لها وثائق وأوراقا مختلفة فقامت هي بجمعها وإصدارها في كتب وآخرها «أسوار الطين» ، وهذا خطأ اعتذرت عنه للسائل .

مهلا ، أستاذ علوي ما هكذا تورد الإبل ، أنت لو ألفت كتابا في العراق وقلت إن حسين كامل كان ينوي القيام بانقلاب «لضم العراق إلى الأردن هل كان يقبل منك صدام حسين هذا العذر ويكتفي أن يزج بك في غياهب السجن ويطلق عليك اسم «٢٦» وتغيبك حبة وتعيد أخرى لك وعيك» هل تعتقد أن الحاضرين اقتنعوا بردك ؟

ومهلا لأقول لك إن العذر أقبح من الذنب ، وقلت أمام الحاضرين إن طبعة لبنان هي التي احتوت الإشارة إلى خالد المسعود ، لأن الناشر تحمس لهذا الادعاء وقال لزوجتك إن هذا القول سوف يكسبكم الملايين . فجاءت موافقتكم على طباعة

الكتـاب ، ولـم يسـحب هذا الكتـاب الـذي طبع في لبنان لأنه سـوف يكسب المدام الملايين ، وقلت للسائل اشتر طبعة لندن التي حذفت منها هذه المقولة وهذا الاتهام بوطنية خالد المسعود ونزعت ولاءه للكويت ، نعم لم يقتنع الحاضرون حيث جاملك الصحفيون وغضت الطرف إدارة الندوة التي لم تتدخل بل ولم تشارك إلا في الإشارة إلى من يريد الأسئلة ، وتركتك لكي تقول ما تشاء ، وتعاطف الحاضرون مع السائل ابن خالد المسعود عندما قال إن أبي وطني وله خدماته ، منها إنشاء جامعة الكويت ، فصفقوا له ولم يتعاطف معك أحد وصمتت القاعة لإجابتك وكأنك لم تقل شيئا غير اعتذار هزيل .

مهلا ، أقولها لكي لا تندفع وراء الـ ١٥ كتابا التي أدخلتك سوق الخليج التجارية فغرك مبلغ المليون عندما تنبأ لكم الناشر اللبناني .

الكتاب مسؤول عنه صاحبه وإنك توثقه بعبارة جميع الحقوق محفوظة للناشر وليس لزوجة المؤلف ، ولو تعرضت لمساءلة قانونية فأنت الذي ستواجه العقاب وليس «أم علي» ، إلا إذا انطبقت على أهل الخليج وخاصة أهل الكويت مقولة إنهم بلا ذاكرة كما كان الاعتقاد السائد في العراق والذي أشرت إليه ، وللسائل الحق كل الحق أن يقيم عليكم دعوى ليكسب بها براءة أبيه من تهمتك . وإن كان قضاء خالد المسعود مدة في العراق مقاولا ومقربا من السلطة العراقية ومتحركا بحراسة ، قد لفت نظرك ، فإن أحد المغنين الكويتيين كان يسير بشوارع بغداد بحراسة وحماية مدججة بسلاح ، وهناك عدة أشخاص كانت تستقطبهم وتحيطهم الدولة بهالة إعلامية وأمنية . فإما أن تكون عندك معلومة فتوثقها وتوضحها وأنت الكاتب المعروف أو تغفلها إن كانت واهية ، ثم تحذفها من كتاب آخر وتبقي الأول فهذا هو ما يطلق عليه الكيل بمكيالين مختلفين .

قلت في المحاضرة إن حسين كامل في جلسة غداء خاصة لك مع صدام حسين وأنتما تأكلان السمك تناول حسين كامل (الخاولي) وأخذ يهف على صدام ويهش الذباب المتكاثر عليكما ، وحول هذه الدولة أو دولة المنظمة السرية ، وقلت إنك

عملت في الحزب والدولة ١٥ سنة ، وتقول تعريفات كتبك إنك عملت ٤٠ سنة في الحزب ، أي من أوائل الخمسينيات ، وفي نفس المغلف لكتابك (دولة المنظمة السرية) طباعة ١٩٩١ في العمود الذي يحمل صورتك قلت : دخلت الحزب في أوائل الخمسينيات وفي الجزء الآخر من نفس الغلاف تقول إنك دخلت الحزب في ١٩٥٥ أي في منتصف الخمسينيات .

ونعود إلى محاضرتك التي قلت فيها إن الشرايين الثلاثة التي تعطلت عندك تركت زوجتك تكتب عنك الكتب وهذا ليس بقول كاتب ملتزم يواجه الحقائق .

ثم ارجع معك إلى السنوات الطويلة التي كنت فيها كاتب الحزب ومستشار الرئيس صدام حسين بل ومدير الحملة الإعلامية لرئاسته كما جاء في تعريفك في كتاب دولة المنظمة ، فتحولت من كاتب ألحان وأنغام عزيز علي إلى منصب قربك من قمة السلطة ،ورأيت العراق الذي احتضن الحضارات العربية وترسخت جذوره في باطن الأرض العراقية كنت ترى فيه الخطأ وتسكت عليه ، قلت في مؤلفاتك إن الضابط العراقي صاحب سيف وكأس وأنثى بمن فيهم حردان التكريتي وقلت ذلك عن أكثر من واحد ولم تقله عن صدام وهو أحسن من يحمل هذه الصفة الثلاثية .

وعند حديثك عن ابن خالك عدنان الحمداني قلت إنه كان يركب سيارة دودج أميركية وهو ابن ١٥ سنة حين كان صدام حسين لا يجد دابة تنقله من قرية العوجة إلى مركز تكريت ، وعين عدنان في آخر حياته رئيسا لديوان رئاسة الجمهورية ثم بعثه صدام إلى سوريا عام ٧٨ وعند عودته اتهم انه يعمل مع السلطة السورية وأنه يقبض ٢٠٠ دينار من الرئيس حافظ الأسد شهريا فنفذ فيه حكم الإعدام ، وهنا حزن عليه الأستاذ حسن العلوي وكان السبب المباشر في تربصه للخروج من العراق عندما أحس أن النطع قد فرش لأهله وذويه وأن السيف مصلت عليه ، فصار المسمى رقم ٢٦ ثم أطلق ساقيه للريح فهرب وصار من المعارضة ، ويقول : إني صمتُّ خمس سنوات ثم أخذت في الكتابة والاتصال برموز المعارضة ، وتلمس من كل كتاباته أنه عندما يتحدث عن شخص قيادي يقول عنه ولو كان في سياق مدحه ، أنا أسبق منه في

الحزب ، متى عرف هذا الحزب أو أنا أدخلته الحزب وخاصة إذا كان هذا قد تخطاه منصبا ومكانة فإنه يميل بعد ذلك إلى ذمه وتجريحه . ولو أعطي منصبا كبيرا لنسي ابن خالته وأعمال البطش ، ويكثر الحديث عن سكر القياديين وسهرهم على الملذات واحتسائهم الوسكي والعرق العراقي ، ولا نعلم إن كان قد جالسهم وشاركهم في شعار السيف والأنثى والكأس ، قد تصرح بذلك المعارضة فيما بعد وخاصة المعارضة في بريطانيا .

يقول إنه في ليلة ساهرة في شتاء ١٩٧٩ وفي مطعم العاصمة التشيكية براغ وبدعوة من السفارة العراقية شاهد رئيس اتحاد العمال محمد عياش وهو يتصرف تصرفا مثيرا للاشمئزاز حيث تقدم لحلبة الرقص وفتح زجاجة وسكي وأدخل رأسه بين فخذي الراقصة على طريقة العجل بين ساقي أمه للرضاعة ، وأخذ يسكب الوسكي على جسد الراقصة ويجثو على ركبته لكي يتلقاه بفمه المفتوح ، بعد أن يمر الوسكي على جسدها العلوي والسفلي حتى اشمأزت هي ورفسته بعد أن شاركها دوش الوسكي .

لماذا سكت على هذه المخازي؟ ، كنت على أمل أن تكون الرجل الثاني أو الثالث حتى لاحت لك أداة القتل التي قصمت ظهر ابن خالك ثم أجهزت عليه .

ومع هذا مازالت الآمال معقودة على المعارضة العراقية لخلاص الشعب من محنته .

***

خالد المسعود في «أسوار الطين»

اعتذر الكاتب للسيد معاذ خالد المسعود أمام جمعية الصحافيين في ٥/ ٩/ ١٩٩٥ بحجة واهية لا يقبلها حتى الأطفال ، ولا يسكت عنها إلا رجال الصحافة في الكويت لغلوهم في المجاملات ، ورسوخهم في إكرام الضيف ، ولو كان المخطئ من أهل الدار لقذفوه بأقلامهم ورجموه بالحجارة ، عندما قال الكاتب الأستاذ حسن العلوي ، إني سلمت كل أوراقي لزوجتي وهي التي أخذت تصدر كتبي الأخيرة ، وموضوع خالد المسعود كان مع هذه الأوراق فتلقفها الناشر اللبناني بلهفة بعد أن قال لزوجته إن هذا الخبر سيدر عليهم مليون دولار ، أنت يا سيدي تأخذ في كل زيارة أكثر من مليون دولار فما أغراك بهذا المليون ، وقلت إن طبعة لبنان فقط هي التي احتواها هذا الخبر وعليكم بطبعة لندن ، ما جاء ليس بخبر ولا ذكر عابر إنه كلام موثق بتاريخه ومكانه ومرتبط بحادث إغلاق مجلس الأمة الكويتي بمرسوم أميري في ٢٩/ ٨/ ١٩٧٦ . وفيه كلام خطير حول خطة الغزو وجاء بعنوان «مشروع خالد المسعود» وفي سبع صفحات من ٢١٠ إلى ٢١٦ ، أين إذن الخبر العابر الذي اندس بين الأوراق ، وستر عليه المليون دولار وترحيب الزوجة الكريمة أم علي بذلك .

ولا حجة لكاتب يصدر كتبا ويقول إن زوجته هي التي تصدرها باسمه ، أو تشرف على أوراقه التي لا يعلم عنها منذ أن أصيب الكاتب بشرايينه الثلاثة ، نرجو من الله أن يتم عليه العافية والصحة الجيدة ، والإنسان مريضا كان أو سليما أو منتقلا إلى رحمته تعالى فلا يخرجه ذلك عن مسؤولية الكتاب إلا إذا كان باسم غيره ، زوجته أو الناشر اللبناني صاحب المليون إن صدقت رواية العلوي .

أعود إلى ما ذكره عن خالد المسعود : في مطلع أيلول سبتمبر ١٩٧٦ اتصل بي هاتفيا من دولة أوروبية راجيا إبلاغ من يهمه الأمر ـ طبعا صدام حسين ـ برغبته في التوجه إلى بغداد فورا ، علما أنه يستطيع ذلك دون أن يأخذ الإذن من أحد ، ولدى

وصول الضيف خالد المسعود الفهيد طلب عدم تأشيرة جوازه في الدخول والمغادرة وأن لا يقيم في فندق أو دار استراحة حكومية ، فاتفقنا على أن يحل ضيفا على «حسن العلوي» ،وضرب ستار من السرية على الزيارة .

لماذا كل هذه السرية وكانت بغداد قبلة السياسيين والأدباء والصحافيين ، ولم تكن هذه الإجراءات تتم إلا لمن قصد إسرائيل في الأزمنة السالفة وليس الآن ، حيث يذهب مراسلو المحطات الفضائية العربية كل يوم ويبثون إرسالهم دون أي تحفظ ، ويذهب آخرون للسياحة والعلاج ، ومع اتفاقيات السلام صار الذهاب إليها متعة وسلوة ، بعد أن صارت فلسطين إحدى قراها الداخلية وباب مصر في غربها وباب الأردن مشرعا في شرقها وأبواب أخر مازالت موصدة .

ويمضي واصفا ضيفه :

إن الرجل هذه المرة كان مضطربا ، فلم يوافق على الجلوس في صالة الشخصيات المهمة في المطار وكان كمن يضمر انفعالا لا هو قادر على التعبير عنه ولا هو قادر على السيطرة عليه .

وعندما دخل منزلي لفتت نظره بندقية كلاشنكوف فحملها وطفق قائلا :

هذا هو الحل الأخير ، الدولة التي تسلح شعبها بطريقتكم هي دولة لا خوف عليها ما دامت لا تخاف من شعبها المسلح .

وطلب إيصال واحدة منها عن أي طريق إلى بيته وأظنها قد وصلت (قول الكاتب) ، واعتراضي على ـ الدولة التي تسلح شعبها ـ ليس الشعب بل رؤوس النظام وزبانيته والمؤلف حزبي من أول ولادة الحزب في العراق في عام ١٩٥٥ وكان كاتب النظام ، ورئيس الدائرة الإعلامية لصدام حسين ، ومستشارا مقربا له ، فكيف يقول خالد المسعود مستغربا إن السلاح عند كل الشعب العراقي .

ويقول الكاتب : لم أكن قد استوعبت شيئا من حركته سوى أنها تعبير عن اعتزاز القوميين العرب بالمظاهر العسكرية وميلهم إلى عسكرة المجتمع المدني .

ثم قارن منزله المتواضع بمنزل ضيفه الضخم في الكويت/ وطلب منه أن يكتب ما يمليه فاعتذر المضيف فقام هو بتسويد أوراقه بيد مضطربة وكان كلما انتهى من سطر دفع كرسيه جانبا ونهض وكأنه يخطب في مجلس الأمة الكويتي قائلا :

أسألك كسياسي وككاتب ماذا علينا أن نتصرف بعد أن حلت الحكومة مجلس الأمة المنتخب انتخابا شرعيا لا يخلو من تزوير ، قلت (الكاتب) هذا يعني ما تقوله أدبياتنا الحزبية في هشاشة النظام البرلماني العربي ، وميلها الجامح نحو نظام جذري يأخذ بمبدأ الديمقراطية .

هكذا كان الاعتقاد السائد لدى السياسيين ورجال المعرفة في الكويت يعتقدون أن الديمقراطية في العراق ويغضون النظر عن الظلم والبطش والدكتاتورية ، وعقب المؤلف : إن الانتخابات على الطريقة الغربية تخدم بالدرجة الأولى أصحاب رأس المال وشيوخ القبائل والمتنفذين فعسى أن تقتنع بحلنا بدلا من (تجربتكم التعبانة) ثم لماذا تتصور وكأن مصير العالم متوقف على قرني مجلسكم؟

هذا رأي حسن العلوي خادم النظام العراقي وليس المعارض كما هو الآن .

وعبارة أخرى يبدو أنها وضعت في عهد المعارضة الثاني :

قلت للمسعود وكيف ستكون المساعدة ونحن لا نعرف النظام البرلماني وليس لنا مجلس أمة؟

والفرق بين العبارتين أربعة أسطر فقط في أول صفحة (٢١٢) . وكانت إجابة المسعود :

جئتكم بحل جذري وليكن على طريقتكم وطفق الرجل يعرض تفاصيل مخطط لانقلاب عسكري ، قلت ومن سيقوم به؟ ! هل تعتقد أن الجيش العراقي سيدخل قصر السيف ، كما دخل القصر الجمهوري خلسة؟

قال : لا إن مائة ضابط كويتي يتمنى كل منهم أن يكون جمال عبد الناصر ولدينا

أكثر من ضابط سيرقى إلى مقدم خلال مدة قريبة وقد تحدثت مع من أثق به وعرضت عليه أن يكون هو عبد الناصر الخليج .

الكاتب ـ قلت وهل هو مخطط فعلي؟

أجاب المسعود بانفعال :

وهل جئت هنا لأزور طاق كسرى؟

إن وحدة عسكرية صغيرة يمكن أن تنهي كل شيء ، فالوضع في الكويت يشبه الوضع في مصر قبل الثورة كما يشبه أيضا وضع العراق قبل ثورة ١٤ تموز ، وقلت ومتى تعتقد أن الحركة ستكون مجدية؟ المسعود : في العيد القادم حيث يجتمع المسؤولون جميعهم في دسمان على أي يقدم لنا العراق ما يلي :

١ـ أن يرتدي عدد من الشباب العراقي الحزبي الموجود الآن في الكويت ملابس الجيش الكويتي على أن يكونوا من المدربين وأن يلازموا في الفجر الموعود أبواب المسؤولين الكبار لا سيما في الجيش الكويتي للانقضاض عليهم وهم على أبواب منازلهم كما فعلتم في ثورة ١٤ رمضان وبهذا سنحول بين أي عسكري والتحاقه بوحدته لنجدة الحكم .

٢ـ أن تكون قوة برية وبحرية مناسبة في حالة تأهب .

٣ـ أن تسبق العملية حملة إعلامية منظمة عن صراعات داخل أسرة الصباح واحتمال أن يقوم أحد أفراد الأسرة بتغيير مفاجىء متعاونا مع القوة العراقية الغازية .

٤ـ أن يتم اختيار أحد أفراد أسرة الصباح ليكون أميرا وتشكل حكومة وطنية على أن يكون الأمير مصنوعا غير مسؤول .

خطة خالد المسعود شبيهة بخطة صدام في ٢/ ٨ هكذا يقول الكاتب والكتاب :

وبعد أن سرد خالد المسعود خطته قال له صاحبه :

وماذا عن حصة العراق ما دام كل شيء سيبقى على حاله؟ .

المسعود : وماذا أكثر من مساعدة حركة وطنية ستقف إلى جانبكم؟ .

قلت : يعني إنكم لا تتحدون معنا .

المسعود : يمكن أن يكون هناك تعاون على أعلى الدرجات دون وحدة .

قال الكاتب : وكيف توفق بين تفكيرك الوحدوي كقومي عربي واستعانتك بقطر عربي على القيام بانقلاب عسكري وبين إصرارك على عدم إقامة شكل من أشكال الوحدة مع العراق؟ .

قال المسعود : إن حساسيتي من ابتلاع العراق لنا لا تقل عن حساسية أي شيخ من شيوخ الصباح لكننا سنقدم مساعدات مجزية وستكون للعراق الأولوية في التعامل ثم أردف قائلا :

ما الذي أخذه جمال عبد الناصر من مساعدة دول المغرب على تحريرها من الاستعمار؟ وما الذي أخذه من الأفارقة؟ وما الذي أخذه منكم بعد ثورة ١٤ تموز والتي ما كانت لتتفجر لولا جهوده ؟ !

قلت : لكنك مع بعض المعارضين كنتم تحذرون جماعتنا من أن يقدموا على ترسيم الحدود .

قال : لأننا كما تعلم لم نكن نريد أن نعطي هذا المكسب الكبير لهذه الحكومة .

فقلت للمسعود : إن صورتك الآن تشبه صورة كامل الجادرجي الذي كان داعية البرلمان والوحدة وهو غير وحدوي ومثلك مثل جعفر أبو التّمن مع القوميين وضدهم .

كلام ككلام الذي يهذي وهو في غير وعيه وقد وضع له مسجل فسجل كل هذيانه ، كي لا ينقضه في ساعة صحوة ،كلام لا يقبله العاقل ، وأشك أن يكون ذلك لخالد المسعود أطلب من لجنة تقصي الحقائق في مجلس الأمة الكويتي أن تفتح ملفا خاصا لهذا الموضوع الخطير ، لقد كتبه المؤلف في «أسوار الطين ، في عقدة الكويت وأيديولوجية الضم» الطبعة الأولى ١٩٩٥ دار الكنوز الأدبية - بيروت - لبنان ، واعتذر

عنه مشافهة في جمعية الصحافيين في ٥/ ٩/ ٩٥ أمام صمت الصحافيين وغلوهم في المجاملة وتصفيقهم المتخبط وإعجابهم ، أين الأقلام الحادة التي تشهر بيننا وتجرح وزراءنا ومسؤولينا وتتقارع بعضها مع بعض وكأنهم في ساح الوغى ، أو نحن كالأطفال نكره بعضنا داخل البيت ونحب الآخرين ، فعلى لجنة تقصي الحقائق أن تطلب من الكاتب الوثائق والدلائل إن كانت مكتوبة بخط خالد المسعود أو مسجلة له بالخفاء ، لكي يكون الشعب وأهل المسعود على بينة ، فالعذر الشفهي لا يكفي ، بعد أن ظهر الكتاب وكأنه يتحدث عن واقعة حدثت ، ولا يمكن أن يكون ذلك أمرا عابرا وهو يقع في سبع صفحات من الكتاب ، ويبين من هم الجماعات الذين كانوا يحضرون إلى العراق ويطلبون عدم الإصغاء لحكومة الكويت لترسيم الحدود ومن هم الضباط المائة الذين ورد ذكرهم في المخطط .

خالد المسعود مازالت صفحاته الوطنية مشرقة ونظيفة وعلى لجنة تقصي الحقائق أن تؤكد ذلك ويكون لها رأي في الموضوع الخطير المطروح لأنه جاء في كتاب يباع في كل مكان .

ولا يكفي أن يوزع الكاتب الطبعة الثانية في الكويت والتي خلت من هذا الموضوع في طباعة لندن .

إن كارثة الكويت في الغزو الذي ابتليت به سيبقى مجالا للكتابة والبحث وتقصي الحقائق إلى أزمنة طويلة في المستقبل .

***

هل هو مخطط لتشويه سيرة
عبد الله السالم وبعض الرموز الوطنية؟!

جاء في كتاب تاريخ الوزارات العراقية ج٥/ ط٦ . أن السيد نوري السعيد عرض على الشيخ عبد الله السالم مشروع توسيع الاتحاد العراقي الأردني بحيث تنضم الكويت له في اتحاد فيدرالي وترقى الإمارة فيه إلى مملكة ويكون الشيخ عبد الله ملكا ، في مخطط دولي جديد ومن صنع بريطاني ، فرفض الشيخ عبد الله وقال : إن الأمر ليس بيدي ولا بد من الرجوع للشعب وأخذ موافقته ، هنا علق نوري السعيد فقال كنت أظن أن الشيخ عبد الله يعمل بأمر الإنجليز فاتضح لي أنه يعمل بغير ذلك .

وقد أطلق الكويتيون عليه «أبو الديمقراطية والدستور» ، لارتباطه بالشعب منذ أن أرست الكويت قواعد الديمقراطية في تاريخها الاجتماعي حيث المجلس التشريعي الأول سنة ١٩٣٨ والثاني إلى المجلس التأسيسي في ١٩٦٢ وإلى العهد الدستوري منذ ١٩٦٣ .

ومضى الشيخ عبد الله السالم في بناء الصرح الديمقراطي غير عابئ بالمحاولات المشبوهة للنظام السياسي القائم في العراق ، وبقي محتضنا شعبه ويحيطه بكل الأمور الداخلية والخارجية فلم يعمل في يوم خارج دائرة الشعب ولم يكن له تحرك خارجي دون مصارحة شعبه .

جاء في كتاب (أسوار الطين) للأستاذ حسن العلوي حسب الرواية العراقية أن الشيخ عبد الله السالم عرض خطة فيدرالية على العراق خلال الأزمة التي أثارها الزعيم عبد الكريم قاسم إثر مطالبته بالكويت ، وكما يقول المؤلف إنها أكثر المفاجآت التي ظلت مطوية في الملفات الكويتية العراقية والشاهد الوحيد عليها العميد إسماعيل العارف وزير الإعلام في حكومة قاسم . ووردت في مذكراته عام ١٩٨٦ عند

صدورها في لندن . والشاهد الثاني من الطرف الكويتي الأستاذ جاسم القطامي ، ويقول المؤلف إن القطامي لم يعقب على هذا لا سلبا ولا إيجابا .

وأشار السفير البريطاني في العراق «همفري تريفيليان» في مذكراته أن الاقتراح تقدم به الأردن إلى عبد الكريم قاسم لتشكيل اتحاد فيدرالي بين العراق والأردن والكويت . وللأمانة فإن المؤلف الأستاذ العلوي أوردها دون أي تعقيب منه كما جاء في صفحة ٨٩ من الكتاب .

وتأتي بعد ذلك قصة هي أقرب إلى الأسطورة والخيال :

طرح السيد أحمد العمر وكيل وزارة المالية (أحمد السيد عمر) على الشيخ عبد الله فكرة الاتصال سرا بعبد الكريم قاسم لإيجاد حل سلمي للمشكلة ، على ألا يشعر عبد الكريم قاسم بأن التكليف صادر من الشيخ عبد الله رسميا .

فجاء أحمد السيد عمر إلى لبنان يفتش عن رسول لهذه المهمة ووسيط يصل به إلى قاسم ، فتبرع موسى علاوي وصرح بأن له صديقا يعمل ضابطا في الجيش العراقي ومقرب من أحد وزراء قاسم .

ثم سافر علاوي إلى بغداد واتصل بالمقدم صبري عزيز آمر موقع (معسكر الحبانية) فأسر له الأمر وطلب منه أن يجمعه بابن أخته الوزير حسن رفعت ، وفي حفلة عشاء على بحيرة الحبانية أقامها صبري عزيز وحضرها رفعت وكان وزيرا للأشغال والإسكان .

فقام موسى علاوي بطرح رغبة أمير الكويت .

هناك قال إن الاتفاق هو ألا يعلم أحد أن التكليف صادر من الشيخ عبد الله السالم ، وهذا تصريح بالاسم ، وهناك أمر بالتحفظ عليه سرا ، وعرض الأمر كحل يرضي الطرفين وسأل علاوي الوزير أن يطرح الأمر على عبد الكريم قاسم وأكد له المصدر وهو السيد أحمد العمر (أحمد السيد عمر) . قام الوزير بمفاتحة عبد الكريم قاسم فطلب شروط الكويت .

سافر علاوي إلى بيروت واتصل بالسيد أحمد السيد عمر فوصلها في أواخر نيسان «ابريل» ١٩٦٢ ،وجاء بالرد التالي :

أن يعلن اتحاد فيدرالي بين البلدين ويحتفظ العراق والكويت باستقلالهما الذاتي ضمن الاتحاد . على أن يحترم العراق اتفاقيات النفط بين الكويت وشركات النفط ، وعدم التدخل في شؤون التجارة الخارجية .

و«اقترحوا» أي الكويتيون ولا أعرف كيف انتقل من عبد الله السالم بصيغة المفرد إلى صيغة الجمع وهو لم يشرك غيره ولا شعبه ، على غير عادته واكتفى بعلاوي الذي اختاره أحمد السيد عمر ، ونمضي معه هكذا ، اقترحوا توحيد التعليم والجيش والتمثيل الخارجي على أن تبقى ميزات البلدين وشؤونهما مستقلتين وأن تدفع الكويت إتاوة بمبلغ (٥٠) مليون دينار سنويا للميزانية العراقية ، و١٥٠ مليون دينار للخطة الخمسية فيها ، ويسمح للكويتيين بمزاولة التجارة والاستثمار في العراق وتملك العقارات والأراضي الزراعية .

علما بأن التجارة والاستثمار وتملك الأراضي والنخيل في المنطقة كان قائما منذ قرنين بلا شروط ، كان للكويتيين استثمارات خارجية في العراق والهند كأفراد دون أن تتدخل حكومتهم في هذه المطالب . ويمضي صاحب الكتاب قائلا : هذه الأمور قد جرت دون علم وزير الخارجية العراقي هاشم جواد حسب رغبة الشيخ عبد الله لتكون الخطة سرية دون إدخال الدبلوماسيين ، وتقدم عبد الكريم قاسم بمبلغ ٣٠٠٠ دينار لعلاوي بدل نفقات سفره بين الكويت وبيروت وبغداد فرفض استلامها .

ثم قرر عبد الكريم قاسم تشكيل وفد رسمي برئاسة قاسم حسن سفير العراق في تشيكوسلوفاكيا ، إذ أن منصبه لا يثير الشكوك ، كما يقول المثل الكويتي (روح بعيد تعال سالم) وتشكل وفد الكويت برئاسة أحمد السيد عمر والسيد جاسم القطامي والسيد عادل جراح «فلسطيني الجنسية» على أن يكون الاجتماع في زيورخ لأنها بعيدة عن أنظار المراقبين وأجهزة الإعلام فعقد في مايو ١٩٦٢ ، ومراحل المفاوضات ترسل

بالشيفرة إلى بغداد ، واتفق الوفدان على صيغة إعلان اتحاد فيدرالي بين القطرين على أن يحتفظ كل قطر بعلمه ويتولى العراق شؤون الدفاع وتدريب الجيشين معا والتعليم والخارجية .

وطلب الوفد الكويتي إمداد الكويت بالماء ، وعاد قاسم حسن إلى بغداد من زيورخ وقدم الاتفاق لعبد الكريم قاسم .

فوافق الزعيم قاسم على الأسس وتقرر إرسال الوفد العراقي هذه المرة إلى أثينا في اليونان وتم الاجتماع في الثاني من يناير ١٩٦٣ . وعندما أوشك الطرفان على التوقيع أراد قاسم استدعاء وفده ليكون برئاسة أحد الوزراء ليتخذ صورة رسمية ، ويبقى وفد الكويت معتمدا على (علاوي) .

وهذه الرواية الطويلة العريضة هي على لسان إسماعيل العارف وزير الإعلام في حكومة قاسم حيث نشرها في لندن سنة ١٩٨٦ .

ويقول صاحب المذكرات برواية الأستاذ العلوي :

«عندما بدأت المفاوضات في نيسان ١٩٦٢ أشرت على أجهزة الإعلام ورجوت المسؤولين في الصحف المحلية التوقف عن مهاجمة الكويت وحكامها حتى إشعار آخر» .

أي نية مزاولة الهجوم والشتائم موجودة والطلب مجرد إرجاء الحملة .

والكويت مستمرة في رد الهجوم بتعليقات بصوت الأستاذ عبد العزيز جعفر ، وتمثيليات بطلها الدكتور نجم عبد الكريم والأغاني الوطنية الحماسية ونجمها الأستاذ عبد العزيز المفرج (شادي الخليج) والفنان أحمد باقر والصوت المؤثر الشجي للمرحوم حمد المؤمن ، والأستاذ رضا الفيلي الذي سلك طريقة أحمد سعيد في الأداء الصوتي ، وبمشاركة الأستاذ عبد الرزاق السيد وبعض الزملاء ، وامتنع الإخوة المتدربين الذي يشغلون أجهزة التسجيل لا نزيد على ١٥ شخصا ، من ٣٠٠ فلسطيني ، وامتنعوا من المشاركة في العلن فلم تظهر لهم صورة ولا صوت ، حتى

الذين نالوا الجنسية الكويتية فيما بعد ، ومجموعة منهم كانوا يحملون الجنسية الإنجليزية حيث عملوا في إذاعة الشرق الأوسط البريطانية بعد ذلك ظهروا بحماس منقطع النظير إثر مقتل قاسم وانتهاء الأزمة .

هذه إضافة عابرة أردت أن أوضح موقف الجانب الإعلامي الكويتي ولو كان ذلك الاتصال صحيحا لتوقف الإعلام الكويتي عن حملته ضد عبد الكريم قاسم .

ونعود إلى رواية إسماعيل عارف : «حضرنا الحفلة الكبرى في ٦ كانون الثاني التي يقيمها القائد العام للقوات المسلحة الزعيم عبد الكريم قاسم بهذه المناسبة ، فوقف وألقى خطابا مطولا فوجئت به إذ هاجم أمير الكويت الشيخ عبد الله السالم واتهمه بالعمالة فاستغربت من هذا التحول ، بينما كان الوفد العراقي والكويتي يجتمعان في أثينا لوضع اللمسات الأخيرة على اتفاق الاتحاد بين القطرين ، وبعد الحفل عدت مع عبد الكريم قاسم إلى وزارة الدفاع ولما سألته عن سبب مهاجمته أمير الكويت ونحن على وشك توقيع الاتفاق ، أجاب مبتسما «لا بد أن أريهم بعض الشدة» وأكد ما قاله لي أي (العلوي) وزير الإسكان حسن رفعت ، وعلى أثر ذلك أرسل الوفد العراقي يخبر وزارة الخارجية بأن الوفد الكويتي قد عاد إلى الكويت بناء على تعليمات حكومته .

وبعد أسبوع على هذا أعيد الاتصال بالكويتيين وأبلغوا اعتذار عبد الكريم قاسم ورغبته بتجاوز ما حدث وإنجاز الاتفاق فوافق شيخ الكويت على عودة المباحثات واتفق على الاجتماع ، وأثناء الإعداد له وقع انقلاب ١٤ رمضان ضد حكومة الثورة وقتل الزعيم قاسم واندثر معه مشروع الاتحاد بين العراق والكويت .

وأثناء جهود حكومة الكويت بشكل سلمي تعاونوا في الخفاء مع المعارضة العراقية لإسقاط قاسم ، ويقول العلوي في هامش الصفحة ٩٤ :

«لو أخذنا بهذه الرواية فسيكون الجانب العراقي هو المقصر في عدم الاستفادة من هذا المشروع لتلكؤه في البت إلى أن انتهى الحكم الجمهوري في حركة ٨ شباط ١٩٦٣» .

أعود إلى الشيخ عبد الله السالم الذي أوردت مقولته في أول المقال نقلا عن تاريخ الوزارات العراقية وسط ذهول نوري السعيد واستغرابه من شخصية الأمير ورفضه البت في الأمر دون مشورة شعبه ، هذا الإنسان لا يعرف المناورة والطريق الملتوي ، فإن كانت قد طرأت في هذه الأيام حملة لتشويه سيرته وإبعاده عن الدائرة الدستورية ، ورفع هالة الضوء عن شخصه ، وزجه في أتون الإشاعات وتزوير التاريخ فعلينا كشعب أن نتصدى لذلك بقوة .

ولو كان الأمر صحيحا لطبل به الإعلام العراقي قبل الغزو وبعده كوثيقة كبرى تساند مزاعمهم واستعانتهم بالوثائق المكتوبة والمصورة التي تثبت حججهم بعد أن جاءوا بكل الدلائل الواهية ، والتمسوا التأييد من عامة الشارع الكويتي ، ولو صدقت هذه المزاعم لأظهروا ما قالوه عن خالد المسعود الفهيد ، وأظهروا كتاباته وصوره ووثقوا أقواله المسجلة ، وما قيل عن الأستاذ القطامي دون دليل والأستاذ أحمد سيد عمر ، فإن كانت الغاية تشويه صورهم الوطنية فذاك جزء من أعماله العدوانية الكثيرة ،وعلينا أن نتصدى لكل مقولة تروى دون حجج وإثبات قاطع كالحكايات والروايات الخيالية .

قال الله تعالى :**﴿ يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين﴾** (الحجرات :٦) . صدق الله العظيم .

***

ضيفنا لجأ إلى التهديد بعد أن رحل

رسالة تهديد أرسلها حسن العلوي في هامشها الأعلى «شخصية وخاصة» مع عبارة أرسل في الساعة العاشرة صباح يوم ٢٦/ ٩/ ١٩٩٥ .

أرسل نسخة إلى الأستاذ وكيل وزارة الإعلام وبعض الرموز الصحفية . ثم وصلتني نسختي بالفاكس يوم ٣٠ سبتمبر ٩٥ ، لم يرد على ما كتبته تحت عنوان «مهلا حسن العلوي» في ٧/ ٩/ ٩٥ .

ولا على مقالي «هل هو مخطط لتشويه سيرة عبد الله السالم وبعض الرموز الوطنية» في ٢١/ ٩/ ٩٥ .

لن يجد ما يبرر مقولته «إن كتبه الأخيرة لا يعلم عنها شيئا بعد أن ترك كل أوراقه إلى السيدة أم علي زوجته وبعد أن غررها الناشر اللبناني وقال لها إن موضوع خالد المسعود سوف يدر عليها مليونا ،»

ولم يجد مبررا صادقا للخطة الفيدرالية التي عزم عليها الشيخ عبد الله السالم في أوج خلافه مع عبد الكريم قاسم بعد أن أرسل له مسؤولا في وزارة المالية وآخر من الرموز الوطنية ومسؤولا في الخارجية الكويتية ، حتى اهتدى الأول إلى وسيط يدعى موسى علاوي ، وهذه ليست بطريقة الشيخ عبد الله السالم الذي لا يخفي شيئا عن الشعب الكويتي ومجلس الأمة وإنه لا يرد الإهانة بالتذلل والسير في الطرقات الملتوية .

لم يجد ما يرد على مقالاتي فاتبع أسلوب المخابرات العراقية الدنيء الذي يخلو من الأخلاق والرجولة والكرامة ، هدد بنشر ملف أخي خالد خلف الذي هو في حوزته مع ملفات أخرى ، ويتضمن صورا ومجالس خاصة ورمزا حركيا هو مؤيد عبد الجليل» ، أستاذ العلوي لقد ذكرت أن الرسالة ذات التهديد شخصية وخاصة فلماذا

وزعتها على المسؤولين في وزارة الإعلام وفي مكاتب بعض المسؤولين في الصحافة ليكن في علمك أني متقاعد من الإعلام منذ ٢٧/ ٤/ ١٩٨٨ . ولا تربطني بالوزارة إلا علاقة حب ومودة مع المسؤولين والزملاء فطريقتك لا ترهبني ولا تحرك ساكنا ، إننا نعيش في حياة آمنة لا يكيد المسؤول الوزاري لموظفيه ولا يغدر المواطن بأخيه كما هو الحال في بلدكم المنكوب .

ثم أنت هربت من العراق «بطرق هدومك» فكيف حملت ملفات ثقيلة تحتوي على مئات الصفحات والصور والوثائق لخالد المسعود وخالد خلف ولجاسم القطامي ، وأحمد السيد عمر وموسى علوان وأوراق الاتصالات السرية بين الكويت والعراق .

هذا الحمل الثقيل ينوء به كاهلك فكيف حملتها بعد أن كانت تابعة للنظام العراقي في أجهزة مخابراته ، حيث يقوم بعمل ملف لكل زائر له سواء كان رئيسا لدولة أو ضيفا مميزا ، وتزوده بصور مختلفة لمجالسه وحركاته حتى إذا ما أرادت استخدام هذا الشخص لغرضها ورفض هددته بملفه ، أو في أي منعطف سياسي ولأي خلاف يظهر الملف السري وأوراقه السوداء .

هذا أنت تهددنا في بلدنا بإظهار الملفات وكأنك مازلت في أحضان النظام الذي هربت منه وبعدت عن ملفاته وأرشيفه المخابراتي ، إذن من أين لك كل هذه الملفات ، وأنت معارض تجوب بلاد الشرق والغرب ولم تلق عصا الترحال عن كاهلك .

لقد كتبت وكتبنا ولما ضاقت بك الحجة وعجزت عن الرد بالصحافة هددت باستعمال الملفات ، وتعلم أني لا أملك ملفا في النظام العراقي ، لم أتهافت مع المتدفقين لأحضان صدام حسين لا في المجال الإعلامي ولا الأدبي ، لأني كرهت الطاغية من الأول ولم أشارك في حفلات التبجيل والنفاق السياسي ولم أطبل ولم أصفق له وغبت عن محافله الثقافية والأدبية والإعلامية .

عندها التفت حضرتك وعرفت أن خالد خلف هو أخي فهددتني به ، هذا أسلوب المخابرات في النظام الشيوعي وبعض الأنظمة الدكتاتورية التي تجسست على شعوبها وجعل لكل فرد ملفا فيه ما تبديه عين السخط وعين الرضا .

فمهلا إنك لست في بغداد ، وأذكرك أنك انفصمت عن ذلك النظام وجهازه الأمني كما نعلم فلا تتصور أنك مازلت فيه وتهدد بملفات مخابراته وأمنه الذي يبطش ويظلم ويعتدي .

أعرض رسالتك ليطلع عليها وزير الداخلية ، ومن يهمه الأمر .

فابعث ما شئت من رسائل التهديد بالفاكس ليعرفك أهل الكويت من تكون وإلى أي جهة تنتمي ، وبأي نظام تتعلق ليأخذوا حذرهم منك .

وحجمك عند أهل العراق هو حجمك في الكويت والفكر الحزبي لا يزيد منك وزنا ولا يرفع لك شأنا ، وغرك تحركك في الكويت بقوة مدججة بالسلاح وحرس الحمايات الشخصية ويرافقك موكب ، إن الشعب الكويتي لا يضع لذلك وزنا فإن سمو ولي العهد يجوب البلاد ويزور الدواوين بمفرده أو مع سائقه وسمو أمير البلاد لا أحد يتبعه حتى غدر به نظامكم ،وكذلك رئيس مجلس الأمة والوزراء لا يقبلون لأنفسهم حراسة ولا حماية فهون عليك اندفاعك ، انشر رسالتك ربما يفهم أحد عباراتك الأخيرة ومغزى تهديدك ، ومن هما أعظم زعيمين عراقيين في العراق الحديث هل هما عبد الكريم قاسم وصدام؟

***

تهشيم معادلة القوة

كثرت الكتب عن حرب الخليج ، منها المتشابه الذي يعتمد على السرد التقليدي لأحداث الغزو والوقائع اليومية حتى تحرير الكويت وخاصة الكتب التي ظهرت بعد حرب تحرير الكويت مباشرة ، أما الكتب المتأنية فلازمت الموضوعية والتحليل وتوثقت بمراجع عديدة .

الأستاذ زهير محمد جميل كتبي وهو كاتب سعودي شاب يعرف كيف يستخدم المراجع العربية والعالمية ، ويتحدث عن المؤتمرات العالمية السرية التي جعلت الشرق الأوسط هدفا للعبة كبرى ، ويفند الإعلام الخاطئ والمخادع الذي رسمه العراق للتأثير على العامة في امتطاء الخيل القومية ، والعمامة الصوفية ، والقوة التي حطم بها أكبر مؤسستين عسكريتين في الشرق الأوسط ، بتخطيط تآمري دولي فتحطمت المؤسسة العسكرية العراقية والإيرانية وجاءت لعبة رقعة الشطرنج .

الكتاب هو «حرب الخليج تهشيم معادلة القوة وهتك التوازنات» .

وحول ما دار في الشرق الأوسط وحرب الاستنزاف المالي والعسكري والجسدي إلى الوصول إلى محاربة العربي للعربي ، وتحطيم القوة الضاربة ، لتبقى إسرائيل قوة الشرق دون منافس ، تساقطت رؤوس الجنرالات في إيران وسلم الجيش إلى قيادات غير متجانسة ، وتحطمت الرؤوس الأخرى في الجيش العراقي عندما تسلق على قيادته مدنيون ارتدوا الملابس العسكرية ، كصدام الذي لم يؤد الخدمة العسكرية ، فدجن الجيش بالفتن والمعتقلات والاغتيالات والإغراءات المادية ، ولغم الجيش كما يقول الأستاذ حسن العلوي في «العراق دولة المنظمة السرية» بألوف الطلبة الفاشلين في الدراسة الثانوية لقبولهم في المدارس العسكرية ، وجعل المدنيين من الحزبيين والاستخبارات مسؤولين عن المكتب العسكري ، وما حدث في العراق حدث ما هو

شبيه له في إيران حيث جاء رجال الدين في مواكب استعراضية في شوارع العاصمة يحملون السيوف ويمتطون الخيول بأجسامهم الثقيلة وأرجلهم تسحب فوق الأرض ، واثخنوا في الناس تقتيلا خاصة الوزراء المحنكين وقادة الجيش ، كل ذلك لتتفرج الصهيونية العالمية على تطبيق مخططها ، الذي لم يعد سرا في لوح محفوظ .

النص الثاني للبروتوكول يقول :

«نجاح مخططنا وقف على ألا ينجم عن الحروب أي تغيير في الحدود أو توسيع في الأرض ويجب الاحتفاظ بهذا المبدأ ما وسعنا ذلك حتى يتيسر نقل الحروب من ميدانها القتالي إلى منافسة اقتصادية ، وعندئذ تضطر الأمم إلى الاعتراف بقوة سلطاننا وتفوقنا في هذا المضمار ، وتبعا لذلك يضطر الفريقان المتحاربان إلى أن يضعا نفسيهما تحت إمرة عملائنا الدوليين الذين لهم ملايين الأعين . .» .

ويقول الأستاذ زهير كتبي :

من أهم القضايا التي شغلت بال اللوبي الصهيوني منطقة الخليج العربي ، حيث هي أسخن منطقة لتنفيذ طموحاتهم ، فرسم لصراع طرفين ، وأورد هذه الخطة الرئيس ريتشارد نيكسون في كتابه «الفرصة السانحة» ، واستعرض التنظيمات والمخططات الغربية الأوروبية والأميركية ،بعد الحرب العالمية الثانية ، من مجلس الدفاع للشرق الأوسط ١٩٥١ إلى حلف بغداد الإنجليزي في ١٩٥٥ ليضم بغداد وإيران وتركيا وباكستان والولايات المتحدة .

ثم مشروع ايزنهاور ١٩٥٧ ومشروع كارتر ١٩٨٠ . والمجلس الاستراتيجي الذي شكله الرئيس ريغان في ١٩٨١ .

ويقول بعد ذلك حول تهشيم معادلة القوة :

«إن الأمن اليهودي لا يمكن له أن يهدأ حتى يختل توازن هذه المعادلة السياسية الصعبة والسعي الدؤوب في إضعاف القوى السياسية والعسكرية والاقتصادية في المنطقة» .

ويتناول الكتاب المنشورات والوثائق التي ترمي إلى إضرام الحرب الأهلية في مصر مع الاعتماد على التوراة في الإصحاح رقم ٤٣ من سفر «أشعيا» .

«أهيج مصريين على مصريين فيحارب كل واحد أخاه وكل واحد صاحبه ، مدينة مدينة ومملكة مملكة وتراق روح مصر داخلها وتضيع مشورتها فيسأل كل واحد العرافين والتوابع والجن ، وتغلق على المصريين الأبواب في يد حاكم فيتسلط عليهم ، وتجف الحياة من البحر ويجف النهر ، في ذلك اليوم تكون مصر كالنساء ترتعد وترتجف من رب الجنود وهو يهزها . .» .

وعبر الاسرائيليون في عدة مناسبات أن السلام مع مصر هو مصدر تهديد لاسرائيل وأنه من الأولى معالجة الأمر في أقرب وقت وتدمير مصر بثقلها السكاني بدلا من الانتظار حتى تجد اسرائيل نفسها في مواجهة ١٠٠ مليون قنبلة كناية عن عدد السكان في مصر عام ٢٠٠٦م .

وتلعب الصهيونية ورقة رابحة هي تحريك الأصوليين وضرب الحكومة المصرية بالشعب ثم ضرب الأقباط بالمسلمين ، وسوف يأتي الإمداد الأممي الغربي للأقباط ولا يلقى المسلمون أي إمداد كما هو الحال في البوسنة والهرسك ـ مستغلين الفراغات المصطنعة التي يمكن أن تهدد بالانفجار في أي لحظة ، الفجوة الكبيرة بين الحكومة والشعب وفجوة الحكومة والمعارضة ، وبين المسلمين والأقباط ، والفجوة الكبيرة بين الطوائف وبين العلمانيين والمتدينين وفجوة التدهور الاقتصادي والزراعي ، والكتاب فيه وثائق وشواهد على ما يجري الآن في الساحة المصرية والقنابل الموقوتة التي يمكن أن تحركها الصهيونية العالمية . بوساطة عملائها وأصدقائها من الدول والأمم والأفراد التي لها التأثير القوي عليها في رسم الانتخابات وتشكيل الحكومات في الغرب والشرق .

هذه ألاعيب الصهيونية ومؤثراتها التي خلقت التغييرات السياسية والعسكرية في دول الشرق الأوسط ، والألاعيب القادمة التي ستشعل ألغام الحدود على الأراضي المختلف عليها في كل حدود عربية تقريبا ، وحيث منابع الحدود النفطية والاستراتيجية . والحروب الإقليمية التي تشتعل دون أن تنتهي موضوعات الحدود» .

* * *

الحقيقة الضائعة بين فدية بأربعة ملايين وأخرى بأربعة مليارات

هل هي أرقام سياسية ، أم استهلاك إعلامي ، وإن خرجت من الخيال إلى الواقع فهي أموال تستنزف من الشعبين الأميركي والليبي . سلطت الأضواء على ليبيا معظم الوقت ، وخرجت التهمة لتنال أردنيين ، ثم خرجت لتتهم إيران لفترة أخرى ، ثم عادت إلى ليبيا وصعدت إلى فدية مالية فقررت الولايات المتحدة أخيرا أن ترفع المبلغ إلى أربعة ملايين دولار لقاء من يهدي إلى القبض على اثنين من المواطنين الليبيين بتفجير طائرة تابعة لبان آم فوق لوكيربي وراح ضحيتها ٢٧٠ قتيلا في عام ١٩٨٨ .

وأعلن بسام أبو شريف المستشار السياسي السابق لمنظمة التحرير عن امتلاكه لملف شامل يتضمن معلومات أكيدة عن حادثة الطائرة تبرئ تماما المواطنين الليبيين المشتبه فيهما وذلك في حديث صحفي تناولته وسائل الإعلام في ٢٤/ ٣/ ٩٥ . ماذا لو تسابق الراغبون في كسب الفدية وخرج نطاق الاتهام من ليبيا .

وتطورت الأمور بعد ذلك لكي تصعد ليبيا حملتها وتطالب هي بتقديم فدية مقدارها أربعة مليارات دولار لمن يسلمها رأسي رونالد ريغان الرئيس الأميركي الأسبق ، ورئيسة الوزراء البريطانية السابقة مارغريت تاتشر ويحضرهما للمحاكمة في ليبيا ، وتحت عنوان مطلوب مقابل أربعة مليارات دولار نشرت صحيفة «الأخضر» هذا الإعلان مرفقا بصورتين لكل من ريغان وتاتشر وكأن المتهمين لا يعرفان إلا بنشر صورتيهما أمام الملأ ، ولم تحدد الصحيفة الجهة التي ستتولى دفع المكافأة ولا مصدر هذا المبلغ ، وماذا لو تقدم المتهمان وكسبا هذه الفدية أو المكافأة لتكون أطرف محاكمة في التاريخ ، ريغان وقد بلغ من العمر عتيا وتوغل في أرذل العمر وهو يخوض عباب التسعين ، وتاتشر بعد أن ألقت عصاها واستقر بها النوى وتضع في خزينة العائلة

ملياري دولار ، حقا إنه مبلغ مغر سوف يدر عليهما ربحا كبيرا ، وكتبت الصحيفة الليبية «الأخضر» في ٣١/ ٣/ ١٩٩٥ نقلته الوكالة الفرنسية في حينه نص الاتهام التالي : إن ريغان قام دون بحث أو تحر في عام ١٩٨٦ بإعطاء الأوامر بقصف طرابلس وبنغازي لمجرد تهمة باطلة وكانت مارغريت تاتشر شريكته في ذلك ، الآن لا أحد يعي الحقيقة وأي بقعة تضرب في الشرق الأوسط ليس لها مدافع وهذا لبنان محاصر من البر والبحر والعالم يتفرج .

وسوف يتعاظم السؤال إن ظهرت جهات أخرى حول اتهام الطائرة في ١٩٨٨ وقبلها مبررات للهجوم الأميركي في ١٩٨٦ ، وهذه سوريا هي في دائرة الاتهام مع المخربين والإرهابيين وإن أدارت ظهرها لهم ، وإن اقتربت نحو السلام المنشود فهي دولة ذكية مفكرة محبة للسلم والسلام ،والرأي العالمي يهزه الإعلام ويطرب له ، وأما الحقيقة فتحجب وتظهر حسب العرض والطلب السياسي . حقائق كبيرة قد تجهض أمام الإعلام السياسي ، وتنسى جرائم وكوارث عندما تحجب وكأنها لم تكن بالأمس .

وبخصوص جريمة العراق الكبرى على الكويت ولكي لا تطوى وتغتفر من شهود الإدانة العالمية قال «موريس شميت» رئيس هيئة أركان القوات المسلحة الفرنسية ، والقائد الفرنسي في حملة تحرير الكويت «وينبغي ألا ننسى ذلك مع مضي الوقت ومع المناورات الإعلامية ، التي تجد لها أرضا خصبة في البلاد التي لا يملك فيها الناس حرية التعبير ، وحتى في بلاد أخرى حيث تقود إمبريالية ثقافية إلى تحليل موجه مسبقا للقضايا الكبرى الدولية ، ولا تندر الأمثلة على المحاولات من هذا القبيل وهكذا كان في الولايات المتحدة في أواخر الستينيات حين اعتدى سلاح الجو الأميركي بمهاجمة قواعد فيتنام الشمالية وقواتها واحتلت قبلها قسما مهما من كومبوديا ، ولم تظهر حقيقة المعتدي إلا بعد عشر سنوات عندما أفصح الرأي العام الأميركي من خلال صحافته ، كتاب «من ديان بيان فو إلى الكويت» صفحة ١٤٧ .

وسترت حقيقة المعتدي في الحرب العراقية الإيرانية إلى أن جاءت حرب أخرى

باحتلال الكويت فعرف أن العراق هو المعتدي في حربيه الأولى ، والثانية .

ووجه الزعيم الليبي معمر القذافي أخيرا في آخر الشهر المنصرم «٣٠/ ٣/ ٩٥» انتقادات لاذعة للغرب عموما وأظهر منذ الثمانينيات حساسية خاصة ضد الرئيس ريغان الذي تولى الرئاسة الأميركية من ١٩٨٠ ـ ١٩٨٨ والذي اتهم الرئيس كارتر في حملته الانتخابية الأولى أنه هو المتسبب في إشعال الحرب العراقية الإيرانية ، ومارغريت تاتشر التي مكثت في رئاسة الوزارة البريطانية من ٧٩ـ١٩٩٠ . رفعت الولايات المتحدة المكافأة إلى أربعة ملايين دولار لقاء القبض على الليبيين وضربها الرئيس القذافي في ألف لتكون أربعة آلاف مليون لمن يقبض على الرئيس والرئيسة ليحاكما في بنغازي .

لو سلمنا بالأمر وحضر الاثنان بعد ضمان المكافأة لهما ، فإن العالم سوف يتمتع بأغرب محاكمة وأطرفها ، وقد تطول وتطول ويتهافت الشهود بين شاهد وشهيد أما الشعب فلا يسأل عن الأربعة مليارات كما تذهب المليارات الشرقية في كل اتجاه .

***

نزوح العائلة بأيديها الملطخة بالدماء

قالت صحيفة «الانديبندنت» البريطانية إن فرار اثنتين من بنات الرئيس العراقي صدام حسين وزوجيهما الفريق أول حسين كامل حسن وصدام كامل إلى الأردن يشبه مسرحية شكسبير (الملك لير) ،دون أن تشير إلى كاتب السيناريو والمخرج .

والفاينتشال تايمز قالت إن السبب هو خلاف مع عدي صدام بشأن حجم المعلومات التي يجب الكشف عنها لمفتشي الأمم المتحدة عن أسلحة الدمار .

أما الغارديان فترى في أحد مقالاتها أن الرئيس صدام حسين يبدو وكأنه قد خطط لعملية فرار ابنتيه وزوجيهما خشية من أن ابنه عدي سيقتل وزير الصناعة ، وتقول الجريدة : إن صراعات سابقة في صفوف أسرة الرئيس أدت في الماضي إلى اغتيالات لكن العائلة لم تشهد شيئا علنيا وضارا مثل هذا الشيء .

وإشارة أخرى للإذاعة البريطانية في لقاء مع وزير الداخلية الأردني كان فيه علامة استفهام خطرة تقول هل هذه الرسالة إلى دول الخليج؟ .

وشاهدنا المؤتمر الصحفي في الأردن للفريق حسين كامل وكان إلى حد ما مهذب العبارة حول صدام حسين ، ومحاذرا في ذكر اسم الكويت ومعبرا عن حدثها بحرب الخليج الثانية في سياق اشتراكه بالقوة العسكرية في سلاح الحرس الجمهوري الذي كونه من أفراد قلائل حتى صار جيشا ضاريا ، وهذا الجيش هو رأس الحربة التي طعنت الكويت ثم عاث الحرس الجمهوري فسادا ودمارا في الكويت ، وكان الجندي من هذا الحرس يفوق خطورة أفراد الجيش النظامي .

إذن هل هذا الحدث هو تمثيلية كما أشارت الأنديبندنت البريطانية ، وخبر آخر قال إن حسين كامل خشي التصادم مع عدي ، فأشار عليه صدام حسين بالمغادرة لإنقاذ بعض عائلته وخاصة ابنتيه .

بينما قال ممثل المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق جبر علي لوكالة كونا الكويتية إن وزير الصناعة والمعادن ورئيس هيئة التصنيع العسكري هرب دون علم صدام حسين ودون المرور عبر الحدود الرسمية ورافقته وحدة حماية مسلحة من أتباعه ، ولم يتسرع في تصديق العملية عندما سألته الوكالة قائلة : هل ستجري المعارضة اتصالات مع الفريق حسين كامل للانضمام إلى صفوفها . فقال جبر علي : سننتظر حتى تتضح مدى مصداقيته في معارضة النظام .

والفريق حسين كامل قد أقصي من منصب وزارة الدفاع قبل شهر واحد وتم تعيينه في منصب وزير الصناعة ورئيس هيئة التصنيع العسكري ، وهو أحد قادة الحرس الجمهوري الذي بث الرعب ، وقام بالتقتيل والإجرام حتى اهتز كرسي سيده فخاف من انتقام الشعب العراقي ، كما ارتكب الجرائم في الكويت وكانت قوته هي المسيطرة بالإرهاب والبطش والإجرام ، والكويت عليها ألا تتناسى إجرامه وإن رفع لواء المعارضة على سيده ، إنه مجرم حرب ، وعلى الكويت أن تعقد محكمة لتحاكم مجرمي احتلالها وتدميرها سواء بقوا على قيد الحياة أم طوتهم عجلة الصراع في العراق .

وقد توصل الأردن جسرها المنقطع نحو الخليج وتمده ثانية ولكن لا يعني ذلك أن الكويت ستفتح أبوابها لكل معارض ومنشق يهرب من أتون الفتن والصراع القائم على السلطة في العراق لكي ينجو بنفسه من المصير المحتوم ، وليس كل من ينجو بنفسه هربا هو منا ، ونخفض له جناح الرحمة ونسدل الستار على أعماله السابقة وإجرامه ، مازالت الدماء الكويتية ندية لم تجف ، ومازالت الرهائن بيد الطاغية ومن اعتبر هم أسرى رغم أنهم مواطنون مدنيون لم يؤسروا في ميادين القتال بل أخذوا عنوة من المساجد والأسواق والطرقات ، ها نحن نرى الأسرة الحاكمة في العراق تتداعى وتعلق النار بها ، وكل ينتظر الهروب من نقمة الشعب ، وطبان التكريتي أخو صدام من أمه قد أزيح من منصبه في شهر مايو السابق وتلقى طلقة نارية من عدي أعاقته وهو جريح ينتظر الانتقام أو الهروب .

علي حسن المجيد من كبار المجرمين الذين نشروا الظلم والهوان في العراق والكويت وهو ركن من أركان الأسرة الحاكمة طلب الخروج للعلاج بعد أن أجريت له عملية في الدماغ .

وتعرضت هذه العائلة لصراع قديم أخذ ينهش بها ، فاغتيل حردان التكريتي قائد القوات الجوية ونائب رئيس الجمهورية وقتل الحاكم العسكري لانقلاب ١٤ رمضان رشيد مصلح التكريتي ،ومروان التكريتي ، وعدنان خير الله وظهرت رموز معارضة في مساء ١٢/٨/ ٩٥ في محطة الـام .بي .سي تشير إلى هذه التمثيلية لكي يستبدل وجها بوجه وكلاهما تكريتي والصراع الدائر في القصر الحاكم يتركز حول تكريس الحكم في خلف صدام ،وإن يكن التغيير فبعدي لأنه أخذ يتحرك أخيرا تحرك المسؤول ، وتخطى رقاب رئيس الوزراء ونائبه ووزيري الخارجية والداخلية فصار هو همزة الوصل مع المسؤولين في الخارج رغم أنه لم يستلم أي منصب رسمي يخوله ذلك ، وكل صفته أنه الابن الأكبر للرئيس وأخذ يقتل ويبطش كأبيه وآخر ضحاياه وطبان الجريح الذي يطلب الفرار خارج العراق ، وتبقى كلمة ،ألا ينسى الكويتيون أن حسين كامل أحد أربعة من مجرمي الحرب صدام وعلي حسن المجيد وسبعاوي وهذا الهارب إن لم يكن ترتيبه الثاني في الإجرام ،وعلى وسائل الإعلام في الكويت ألا تندفع مع المندفعين في المقابلات الإعلامية ، وخاصة الإذاعة والتلفزيون فإن نصل الرمح جاء في صدر الكويت أولا ، وقد تغافل حسين كامل عن كارثة الكويت بمراوغة إعلامية ،وطرب من ترشيحه للرئاسة بدل صدام حسين ، إن الإجرام هو فلسفة هذه الأسرة الحقيرة التي تربعت على عرش العراق ، وتسلق معظم أفرادها المؤسسة العسكرية دون الدخول فيها دراسة أو ممارسة ، ونقل الحرفيون شبه الأميين إلى استلام مناصب الدولة العسكرية العالية والدبلوماسية والإدارية الرفيعة ، رحم الله عهود العراق السابقة للانقلابات حيث كان القادة من خريجي أرقى الجامعات والكليات العسكرية المتقدمة .

***

وقفة مع حديث «حسين كامل» لإذاعة مونت كارلو

لقاء مطول أجرته معه رندا حبيب لإذاعة مونت كارلو ووكالة الصحافة الفرنسية وكان ذلك في ٢٥/ ٨/ ١٩٩٥ .

أول الأسئلة كان حول ما بثه تلفزيون العراق حول رغبته الشديدة وتحريضه لغزو الكويت ، وشتمه لممثل الأمم المتحدة السيد رولف إيكيوس .

قال حسين كامل مجيبا إن الوضع بالعراق والنظام الحالي معروف بكذبه وتزويره ليس على المستوى الداخلي بل على المستوى الدولي .

الوضع والنظام الحالي هو وضعه ، والنظام الحالي هو النظام نفسه الذي كان فيه منذ أن كان مستخدما يسوق موترسيكل المراسلة ، ثم حارسا خاصا يحمل الأمتعة لزوجة صدام ، هذا هو نظامه الذي رصّع على كتفه النياشين والرتب حتى جعلوه «فريق أول ركن» ، دون أن يدخل مدرسة بعد الابتدائية ولم يدخل الكلية العسكرية ، هذا التخطي وتنصيب نفسه في أعلى الرتب جناية كبرى يجب أن يحاكم عليها ، هذا النظام الفاسد الذي صيره عملاقا في ارتدائه الزي العسكري الذي اغتصبه ،نعم هذا النظام معروف بكذبه ، هذا النظام الذي صنعه مع العصابة التكريتية يتهمه هو بالكذب بعد هروبه منه بأسبوعين فقط ، لم يحدث انقلاب على حكومته ليقول هذا الكلام ، ثم ادعى ان الدوبلاج أو المونتاج هو الذي غير كلامه ، في خطابه خطاب مسترسل وفيه موضوع واحد لم تتغير مشاهده وحماسه الطاغي الذي يطلب الاستيلاء على الكويت وغزوها عنوة ، كيف يكون ذلك ممنتجا؟ وعبارات السب والشتم لإيكيوس وفي حديث طويل متصل ومتشنج ، كيف تكون هذه الشتائم بنفس الصوت والنبرة والمستوى السماعي ممنتجة ، ولا يحتاج ذلك إلى خبير ليحكم على ذلك ، الفيلم القديم الذي مضى عليه نصف قرن تتضح مداخل المونتاج فيه حسب

المقاطع والمشاهد أما كلامه المصور المتواصل لا يعقل أن يكون مزيفا ، ثم ابتعد عن الجواب وتحدث عن اجتماع مطول مع المسؤولين ، واقتراحه بأن تعود فرقة من الحرس الجمهوري من الجنوب إلى الشمال بعد أن كانت هناك من قبل ، وحاول أن ينسب الشتائم إلى وزير الخارجية العراقي بينما الحديث هو بصوته :

«إنه ملعون وغير متفهم ويحاور ويناور» وبعد إطالة ودوران قال أنا قلت : هل إيكيوس هو أميركا ، هل هو بريطانيا ، ما هو إلا ممثل لمجلس الأمن .

ويأتي بعد ذلك هجومه على الأردن ، فيقول : أنا قلت كل أعدائنا إلا الأردن ودبلج الحديث ليكون هكذا إن كل أعدائنا حتى الأردن .

لا أعرف من يكلم أو من يعتقد أنه قادر على إقناعه ، لو كانت له حصيلة علمية بسيطة من المتوسطة أو الثانوية أو أي معهد علمي لعرف أن العبارة اللغوية لا تكون هكذا كل أعدائنا إلا الأردن ، إنه هنا لا ينفي العداوة عن الأردن بل يجعلها في صف الأعداء في سياق حديثه ، ويكون المعنى اللغوي هكذا كما لو أراد أن يقول لقد هاجمنا كل الأعداء إلا عدوا واحدا سكت في ذلك الوقت ، ويمكن أن يواصل عداءه بعد حين ، هذه مهزلة في مهزلة ينطبق عليها المثل الشعبي «جا يطببها عماها» .

وحول سؤال عن جو عائلة صدام؟

قال : أصبح صعبا بالنسبة لهم كعائلة .

وكأنه انسلخ عن هذه العائلة في ظرف أسبوعين ، وذكر أن الجديد في هذا الوضع أنه أخذ يقوم بالاعتقالات بين الرجال والنساء .

الاعتقالات هي سمة هذا النظام من ٢٧ سنة وكان هو على رأس المطبقين للاعتقالات والقتل والتعذيب واستعمال الأسلحة المحرمة الفتاكة ، وعدّد مساوئ سبعاوي وقصي ومدير الأمن وبلغة ركيكة غير مترابطة حاول أن يجعل بين شخصيته وتلك الشخوص حاجزا منيعا كأنه شيد قبل أعوام طويلة .

وعملية الاعتداء على وطبان جرت وهو في السلطة فذكر أن هذا الحدث قد جرى وهو في طريقه لدخول عمان ، وهاجم بعد ذلك برزان فوصفه بأنه طماع ويحاول التدخل في السلطة مع أنه معروف بإجرامه وتفاهته من أجل مصلحته الشخصية واعتدائه على أي إنسان لديه أموال يريد الحصول عليها ، صفات برزان هي صفات حسين كامل يعتدي على أصحاب الأموال ويقتل ويقوم بالأعمال التي ذكرها ، ويطمع في السلطة ، يا سبحان الله !! ثم خرج بعد ذلك ليقدم منهجا لمستقبل العراق بعد تغييره ، استغلال الثروات وتصحيح العلاقات مع جيران العراق العرب وغيرهم ، وإشاعة الأمن والاستقرار .

إنه كان في قمة السلطة ، لماذا لم يعمل كل ذلك ، ولماذا طالب بغزو الكويت؟ لماذا نهب مع الناهبين؟ ! فبعد أن كان مستخدما ومعدما وشريدا كصدام صار من أغنى أغنياء العراق ، إنه أخذ عمولة على الأسلحة التي كان يصادق على شرائها بمبالغ ذكرت نسبها في أجهزة الإعلام العالمية ، إن الملايين لم يرثها من عائلته الفقيرة بل استولى عليها .

وبعد ذلك ذكر معلومة جديدة لم يسبق أن ذكرها من قبل .

كان لدينا عدد كبير من الحماية العسكرية وفور أن أوصلتنا إلى الحدود الأردنية أمرناهم بالرجوع إلى العراق .

ولم يتوقع أن المذيعة قد أدركت هذه اللعبة ، فسألته : هل رجعوا دون اعتقال؟ .

فناور وراوغ وادعى بعدم تأكده من مصيرهم .

وقالت له كم كان عدد أفراد الحامية التي أوصلتهم وكان هذا الجواب :

«حوالي والله على ما أعتقد بحدود ربما لا أعرف بس عدد كبير حتى لا أكون غير

دقيق عـدد كبيـر كان مـعنا وسيـارات دخلت إلى الحـدود وبعـضـهم حـتى بدون جوازات» .

كلام مذبذب ليس فيه جملة صحيحة أو كلمة توافق الأخرى ارتباك حتى يأتيه الفرج في الإجابة ولكنه تلعثم في الكلام ، وارتج عليه الموقف دون إجابة» .

***

تغيير الأدوار ليس لغزا

عندما تتضارب الوقائع وتتناقض لا يعني أن لغزا قد دخل في الساحة السياسية ، الأحاجي والألغاز ألعاب للتسلية والترفيه ، أما التمويه والتمثيل في الأدوار السياسية فإنها حركات تتم على عجل ، وقد تفقد حبكة الإتقان ومهارة اللعبة السياسية .

مازلنا نتذكر مهارة الإنجليز المتقنة وكيف كانت تنتقي الأدوار والشخصيات المحنكة ذات العبقرية حتى تعظم الشعوب رجالها ، وقد لا تنكشف ألاعيبها السياسية إلا بعد أمد من الدهر أو تطوى مع الزمن دون أن تكشف .

الأدوار التي تؤدى الآن في غاية الضعف وتكشف عن أسرارها قبل وقوعها ، حسين كامل الذي حمل أرفع الرتب العسكرية وهو سائق سيكل ، يعمل مستخدما ثم حارسا على باب الحريم عند أهل صدام ، هذا الشخص لمع بالبدل المدنية ، ثم العسكرية دون أن يدخل المتوسطة أو الثانوية ولا العسكرية ولكنه تخرج من دار العائلة المتسلطة على العراق في تكريت فصار فريق أول ركن .

هذا الذي أطلق عليه بعد نزوحه ، بالمنشق والفار والهارب والمعارض من يكون؟ .

دول الخليج متخلفة في نظر العراق ، هل يستطيع مستخدم وسائق سايكل فيها أن يخترق كل الصفوف العسكرية ويتخطى رتبة ديغول ومونتغمري وروميل لا يحدث ذلك إلا في العراق .

وإن كانت الإيحاءات السياسية تشير إلى أميركا أنها هي التي أخرجته ووضعته في أحضان الملك حسين .

فهذا الاختيار لا يتفق وعظمة أميركا ، الدولة العظمى الجبارة ، بل سيدة الدنيا ، وتكاد أن تسود العالم وتهيمن عليه ، والأحداث قد تتجاوز الوقائع السالفة في التاريخ

ولا تجد لها مثيلا إلى درجة الغرابة واللامعقـول ويحتار المرء في تصـديقـها ، فيحسبها لغزا .

في مقابلة لحسين كامل مع إذاعة مونت كارلو مساء ٢٥/ ٨/ ٩٥ ، قال إنه دخل الأردن فجرا في الساعة الرابعة صباحا بتاريخ ٨/ ٨ ، وحادثة وطبان صارت على حد قوله في نفس الوقت الذي دخل فيه الأردن ، كما قال : إن عدي هو الذي أطلق النار والعيارات النارية مباشرة على وطبان وابن أخيه وابن عمه الآخر وصديق وطبان وإصابة ست بنات حسب ما قيل لي بأنهن توفين ، الوصف كأنه وصف شاهد عيان مع توافق الزمن واختلاف المكان .

يوم ١١/٨/ ٩٥ بعد هرب حسين كامل بثلاثة أيام بعث صدام حسين ببرقية رقيقة إلى الملك حسين بن طلال بمناسبة ذكرى عيد جلوسه على عرش الأردن تناقض شدة الهجوم الذي يشنه الإعلام العراقي ، قال في البرقية : بمناسبة ذكرى عيد جلوسكم على العرش ، يسعدنا أن نبعث لجلالتكم بأطيب التهاني وأصدق الأماني داعين المولى تبارك وتعالى أن يمن عليكم بالصحة والسعادة وعلى شعب المملكة بالتقدم والازدهار .

ومن ناحية أخرى أشارت بعض المصادر العراقية إلى احتمال وجود علاقة خليجية لهذا الانشقاق إذ قال حسن العلوي للإذاعة البريطانية في ١١/ ٨/ ٩٥ وهو مستشار سابق للرئيس صدام :

أعتقد أن الدبلوماسية الأردنية واستنادا إلى عميدها الحالي السيد عبد الكريم الكباريتي ، كانت تنتظر فرصة أو حدثا لإشعار الخليج بانتهاج سياسة خارج المحور العراقي ؛ ولهذا نلاحظ أن الإعلان صدر عن وجود صهر الرئيس وابنتيه في عمان مع باقي الهاربين ، صدر هذا النبأ عن وزير الخارجية وليس عن وزير الداخلية ، وعادة قضايا اللجوء السياسي تصدر من وزارات الداخلية ولا علاقة للخارجية بها على الإطلاق .

وهكذا رفعت الخارجية الأردنية راية إفشاء النبأ ؛ لتبشر به دول الخليج ولتعلن أن الأردن في طريقه إلى فك ارتباطه مع العراق .

الأردن الذي كان يغلق أبوابه عند أي حدث ولا يأوي أحدا حتى من أهله عندما نكبوا في ثورة ١٩٥٨ في بغداد وهجوم الغوغاء من الشارع عليهم لم يؤو الأردن الناجين والهاربين ، لاذ بعضهم إلى دول الخليج العربي وآخرون فروا إلى لندن ومنهم إلى البلاد الأوروبية ، وكذلك شاه إيران أغلقت أمامه أبواب عمان وكان هدفه الأول أن يذهب إلى صديقه الحميم ملك الأردن .

ولا أعرف كيف تختار بعض الرموز السياسية الدولية هذا البديل وهو مجرم حرب نكب أمته وشعبه والكويت في محنتها الكبرى .

ولقد وزع مركز البحوث والدراسات الكويتية معلومات ووثائق مهمة تدين حسين كامل المجيد وزير الدفاع الأسبق ودوره الأساسي في غزو الكويت وبث الرعب والإجرام وحرق الآبار ، وله رسالة مؤرخة في ١٩/ ٢/ ١٩٩١ يأمر فيها بنقل كل ما يمكن نقله من الكويت من مواد ومعدات والأجهزة التي تساعد في إعادة بناء شبكات الخدمات العامة ، وكوّن حسب الوثيقة فرق عمل لهذا النهب والسلب .

وأكد وزير الإعلام الشيخ سعود ناصر الصباح أن هذا الشخص ما هو إلا مجرم حرب ومطلوب للعدالة .

وبقي على أجهزة الأمن والخارجية أن ترتب مع المنظمات الدولية للقبض على مجرمي الحرب الذين سعروا الحرب وقاموا بغزو الكويت وإن هربوا ، هذه دول الحلفاء مازالت تتعقب المتسببين في الحرب العالمية الثانية ، والذين عذبوا وقتلوا الأبرياء ، وعلى الكويت أن تسعى لذلك ولا تقتصر على البرامج الإعلامية كما هو في الإذاعة (محكمة الأمم) . إن هذا يطرح علما ويعرض بعض المشاهد ، أما الذي هو أهم من ذلك تعقب المجرمين أمثال صدام وزبانيته وإن طال الأمد ؛ ليكونوا بيد العدالة الدولية سواء في العراق أو خارجه ، وبعد ذلك قد يكون خلاف العصابة رحمة

لخصومهم ، ولكن كيف يكون رحمة لأصدقائهم ، وحلفائهم الذين أمدوهم بالسلاح وشاركوهم العداء ، وهل تقتضي الأدوار السياسية العليا لقاء الضدين واستمرار نزف الأموال بالتخويف كما يقول المثل الشعبي (جاك الذيب ، وجاك ولده) وفي مقابلة صحفية لحسين كامل في يوم ٢٤/ ٨ قال إن له الرغبة في زيارة المملكة العربية السعودية والكويت .

هذا هو أمله ، وماذا عن الشعوب التي جرحت وأعطت الشهداء والجرحى ، والأسرى ، والأموال التي نهبت وسلبت ، والأعراض التي انتهكت مشاهد من عصور بائدة ووحشية لا تتفق وهذا العصر الحضاري ، حتى ترحم الناس على الأعداء بالمقارنة بأعمال الأشقاء والجيران ذوي القربى ، وأهلينا في الدين واللغة .

* * *

صدام اعتذر لشعبه عن قدم

موديل البدلة وربطة العنق

قال صدام حسين بعد الاستفتاء :

نحتفل اليوم معكم بتلك المعاني والقيم الإنسانية ونحضر هنا كما تعرفوننا من غير تجميل الذي يسمى المكياج في مصطلح ولغة الغرب .

وإنني عندما أرتدي هذه البدلة المدنية بدلا من العسكرية ، أرجو أن تعذروني إذا كان موديلها قديما هي وربطة العنق التي أضعها ولا يلائمان ما حصل من تطور عليهما خلال السنوات المنصرمة ، حيث نعيش في حصار كما تعرفون «ويواصل دون أي انتقال» ولم يضف صدام حسين هكذا يقول عن نفسه على مراكز الاستفتاء أو في يومه لأنه مكتف ومليء بالفخر والاعتزاز ولم يؤجر شركة خاصة للإعلان والدعاية ، كلام غير مترابط من حيث الموضوع والسياق الكلامي والمنطق .

قفز هنا وهناك لكي يصل إلى موديل البدلة القديم وربطة العنق التي تقادمت بسبب الحصار ، وجاء دون مكياج لأنه جاء من مراكز الاستفتاء مباشرة .

وبالنسبة إلى المكياج كتب قبل يومين في جريدة الشرق الأوسط أحد الأساتذة معلقا على المكياج الصارخ الذي ظهر على وجه حسين كامل الهارب من أرض الحصار حيث ظهر بلمعان يعكس الأضواء المحمولة مع كاميرات التلفزيون ، هؤلاء الذين عشقوا الأزياء العسكرية والمدنية «المنشاة» ووضعوا التيجان والنجوم من الذهب الخالص على أكتافهم وجاءوا بخبراء الأزياء الفرنسية بعد كل الذي كان في أريافهم وقراهم ، وآخر الصور التي نشرت لذات الأزواج ، «صبحة» رغم الإصلاحات التي لحقتها بقي شكلها المنفر وملامح النشاز مرتسمة على مظهرها .

إن المكياج الذي تحدث عنه صدام دخل على هذه الأسرة بغتة ليأتي على وجوههم

طلاء وترسيما إنه من مظاهر المادة الطارئة والذوق الرديء ،اعتذر صدام عن قدم البدلة وربطة العنق وقدومه بلا مكياج أمام الكاميرات .

يقول إنه لم يستعن بوكالات الإعلان بل إنه استعان بأجهزة الدولة كلها ، من إذن هو الذي وضع الملصقات والصور الجدارية العملاقة والصور المحمولة في كل يد؟ من دفع أسعار هذه الحملة من قوت الشعب الفقير الذي جوعه نظامه وأهانه وحقره؟ . إن رئيسه سخر أموال الدولة وأوقف الأجهزة الرسمية لخدمته والشعب بالإكراه ليصوت بالعلن في أغرب انتخاب في تاريخ البشرية .

هكذا آلت حضارة العراق القديمة إلى مهزلة تاريخية شهد لها العالم .

وفي الوقت الذي احتسب رأس النظام أن هذه التظاهرة الرسمية ستكون لصالحه ، لقد اعتبرها الرأي العام الداخلي والخارجي انها أحد المعاول الثقيلة التي ستهدم صرح النظام بعد أن أذن للدول أن تقتحم حدوده وترى ماذا يحدث لهذا الشعب من قهر وظلم ، وإجباره أن يقول نعم في ورقة مكشوفة وسط فوضى الشارع وقوة التهديد .

هنا تذكرت الشعب الكويتي أثناء الغزو ، لقد طلب منه أن يزاول أعماله فيمنح الأمان لكنه أعلن العصيان المدني وخلت الوزارات إلا من بعض العملاء المقيمين بيننا ، منع التجول في الليل فنشطت الشوارع وعمرت المساجد في المغرب والعشاء والفجر ، وزادت تجمعات الديوانيات ، ولم تنقطع حركة المرور حتى في أحلك الأيام ، في النهار نجوب كل مناطق الكويت وفي الليل نتحرك علانية للسؤال عن الأسر الأخرى والأهل والأقارب ، كان الشعب يرفض كل أمر صادر من حكومة الاحتلال رغم الأسلحة التي تتربص بالمواطن في كل مكان ، ورغم انتشار الظلم وشيوع السرقة المنظمة بالسلاح ودخولهم المنازل في حملات عسكرية ، وسرقة السيارات وسلب كل ما تقع عليه العين وعقدت محاكم شكلية للجباية وأخذ المال بطرق التهديد ، أخذ الناس يوفدون أبناءهم بالأموال والسيارات والموجودات الأخرى ، ورغم ذلك لم يذهب أحد لتأييد النظام ولم يخضع هذا الشعب .

ارتفع عدد الشهداء والجرحى ووقع الكثير في مستنقع الهوان والضيم ولم يستسلم هذا الشعب .

فلم يرغم على إجراء سياسي ولم يشارك الكويتيون في مظاهرة تأييد كما شارك بعض المقيمين في المدارس ، وظهرت صورهم في التلفزيون وعقدت حملات الرقص والدبكة في مجمع الرحاب وحدائق البلاد وفي مدينة الأحمدي ، وظهر الآخرون يرتدون الملابس الكويتية فلبسوا الملابس البيضاء في الشتاء وخفي عليهم أن الشعب له ملابس موسمية فلا يرتدي ملابس الشتاء في الصيف وملابس الصيف في الشتاء .

الآن نرى كل ذلك الخنوع يتم للشعب العراقي وحجته في الإذعان أن الحكومة ترغمه وتقهره فيطيع صاغرا ويستجيب مكرها ، حتى مثل دور التأييد السياسي الكبير في استمرارية بقاء صدام ليس لسبع سنوات فقط بل لمدى الحياة .

***

صديقنا سليمان يصل الثالثة صباحا

آخر طرق لباب السلام كان في ٩ يناير ١٩٩١ في جنيف عندما عقد بيكر اجتماعا على مدى ست ساعات ونصف مع طارق عزيز في «الانتركونتيننتال» .

قدم وزير الدولة رسالة بوش ذات الثماني فقرات بشأن الحرب أو اللاحرب ، قرأ عزيز الرسالة ورماها على الطاولة ، وبوقاحة لا مثيل لها رفض حملها ، رغم أنها لسيده صدام ، هل معنى ذلك أنه هو المسير لصدام وما صدام إلا ثور حلبة النظام الشرس المجهز لكل منازلة فألبسوه زيا عسكريا وأثقلوه بالنياشين البراقة ، وخرج بيكر منهكا منفعلا وهو الذي اعتاد أن يرى أخطر الاجتماعات التي تعقد بدقائق وتقرر أخطر الأعمال ، وهذا الاجتماع طال ست ساعات ونصف ، دون أي جدوى ، طارق عزيز لم يدفع قرار الحرب بل تقبله بعنجهية وتحد أحمق ، طار بيكر لمقابلة رجل المنطقة الكبير الملك فهد بن عبد العزيز بناء على التفاهم المشترك عند تعذر فتح باب السلام الأخير في جنيف ، وأراد أن يأذن الملك بعملية «الكي» وهو العلاج الأخير كما يقال ، والموافقة على انطلاقة الهجوم لتحرير الكويت ،فقدم الملك فهد موافقته مطالبا فقط إعلامه بساعة الصفر .

وعد بيكر أن ذلك سيكون عن طريق الأمير بندر في واشنطن في الحال .

اتفقا على أن تكون ترتيبات الاتصال بين فهد في السعودية وبندر في واشنطن شديدة الحذر حتى تمنع أي تسرب من أجهزة الاتصال .

واتفق بندر والملك فهد على كلمة السر وهي «سليمان» إن ذكر هذا الاسم في الحديث التلفوني فهذا يعني الحرب .

يوم السبت ١٢ يناير منح الكونغرس الرئيس بوش سلطة شن الحرب والقرار الذي صدر حوى تعبير «كل الوسائل الممكنة» الذي تضمنه قرار الأمم المتحدة وأيضا حول

سلطات «استخدام القوة العسكرية» ، وانتهى التصويت في مجلس الشيوخ باثنين وخمسين صوتا مقابل سبعة وأربعين ووافق الكونغرس بتأييد مائتين وخمسين مقابل مائة وثلاثة وثمانين معارضا ، واعترف تشيني بخطئة لموقفه السلبي وقال للرئيس إنك أعرف مني بالكونغرس وقال بوش ،«هذا التصريح من الكونغرس آخر وأفضل فرصة للسلام» ولم يقفل باب فرص السلام بعد ، ولكن النظام العراقي مازال راكبا رأسه ، إنه يريد أن يحارب العالم على سرقته «الكويت» .

واتخذ بوش تحديد ساعة الصفر ، الثالثة بتوقيت السعودية ، وحدد شوارزكوف موعد العمل العسكري من أجل التحرير في ١٧ يناير ومتى وكيف يتم إعلام الحلفاء والكونغرس؟

مبكرا ، ولكن ليس مبكرا جدا .

بساعة أو ساعتين قبل العملية .

تشيني يراجع الأوراق الأخيرة مع الرئيس للتأكد من حسم النقاط ، كان بوده أن يكون بوش راضيا عنها جميعها ، كان بوش مهتما بقائمة إسقاط تماثيل صدام وجدارياته وأقواس النصر ،فطلب الرئس إهمالها ، يوم ١٤ يناير تشيني وباول يبحثان أهداف الضربة الجوية .

ودعا بوش رئيس فريق القوات الجوية ماك بك وتشيني وسكوكروفت إلى الغداء بالبيت الأبيض وكان الأول عائدا لتوه من المملكة العربية السعودية ، وأخبر الرئيس أنه اطمأن على القواعد الـ ١٦ بالخليج وخرج من مناورات حية في الخليج .

بوش : علينا أن ننتظر انتهاء مهلة ١٥ يناير لعل وعسى أن يطرق باب السلام من العراق .

ماك بك : إن الطيارين لن يقدروا على تحمل مزيد من الانتظار .

دعا الكونغرس لاجتماع عاجل وطرح سؤال الحرب .

بوش : «مبكرا خير من التأخير» .

يوم ١٥ يناير استدعى بوش اثنين من القساوسة أحدهما كان رئيسا لكنيسة أدمون برين والثاني رئيسا لكنيسة «أبيكونال» .

أقاما صلوات المساء ، واتصل بوش ببعض نواب الكونغرس لمشاركتهم الصلاة من أجل الوطن ، في الساعة ٣٠ ,١٠ صباحا اجتمع مع دائرته الخاصة في المكتب البيضاوي ،ساعات بل لحظات رهيبة ، والأيدي تتحسس القلوب في الصدور لأي مدى سيكون الدمار والخراب هل ستعود فيتنام في الشرق الأوسط ؟ .

العراق : يواصل تعزيزاته في مسرح العمليات في الكويت .

بوش : وقع المرسوم غير ممهور بتاريخ وإشارته NSD .

تشيني : مخول بالتوقيع والتاريخ .

تشيني : يذهب إلى الشيوخ الجمهوريين والديمقراطيين وخوّل شوارزكوف بتنفيذ عملية «عاصفة الصحراء» .

تشيني وباول : يوقعان الوثيقة للتاريخ .

إرسال نسخة من الوثيقة لشوارزكوف على دائرة الفاكس العالية السرية خلال ٢٦ ساعة سوف تتحول عملية «درع الصحراء» إلى «عاصفة الصحراء» ،

باول : مازال القرار في مكمن السر

ـ سوف تبدأ الحرب غدا مساء .

كيلي : مندهشا لرهبة الهدوء ، إن عملية «بنما» كانت أكثر فوضى وأقل سرية .

الأمير بندر : جاء لزيارة تشيني

ـ هل هناك جديد؟ هل نحن على بعد أيام أم أسابيع ؟ .

تشيني : مبتسما «إنه يبدو كأسبوع طيب» .

شوارزكوف : يتأكد من نظام J. STARS وهو نظام الإشراف على نقاط الوصول

للأهداف المحددة راداريا ، نظام جديد تماما لم يختبر في المعارك من قبل ويختبر النظام دبيب الذبذبات للتحركات العراقية .

١٦ يناير : قبل الذهاب إلى البنتاغون تشيني يحزم حقيبته لقضاء عدة ليال في مكتبه ولكي لا ينتبه سائقه ورجال أمنه أبقى الشنطة في المنزل وترك آخر لجلبها بطريق غير مباشر .

استدعى بيكر الأمير بندر بن سلطان .

حضر بندر للإدارة الأميركية ليخبره أن الحرب ستبدأ في السابعة مساء بتوقيت واشنطن والثالثة صباحا بتوقيت المملكة السعودية .

وكان الاتصال بالملك فهد على هذا النحو : تحدث إلى الملك وحاول أن يظهر كما لو كان يعرض خاطرا مر بذهنه قائلا : «صديقنا سليمان سوف يصل في الثالثة صباحا بتوقيت المملكة يا سيدي ، وهو مريض وسيصل عندكم في الثالثة صباحا ـ إن شاء الله تعالى» .

ـ على خيرة الله يا ولدي .

وفي الرابعة وخمسين دقيقة أوائل النسور F١٥ تنطلق لأهدافها .

تشيني يتفقد حتى لا تقوم أية وكالة أنباء برصد التحركات . في الخامسة والنصف أطلقت قذيفة هوك من «بنكر هيل» العبارة العملاقة بالخليج ووجهت القذيفة لهدف في العراق و ٢٠ قذيفة مبرمجة «توم هوك» لقذف القصر الرئاسي لصدام ، ولخطوط التلفون ومحطات توليد الكهرباء .

تسع سفن تقذف بحممها ١٠٦ توم هوك في الـ ٢٤ ساعة الأولى ، وقوات الجو تقصف وفي ٣١ ,٥ السفينة ويسكنسون تطلق أول قذائفها عبر نظام طوارئ CRITIC .

قوات الولايات المتحدة في العالم في أقصى حالات الاستنفار فهي تطلق صفارات أوتوماتيكية في أجهزة لاسلكية في آلاف المراكز في العالم ، وإنها سيصلها التحذير المبكر لإمكانية العدوان خاصة إذا قام الاتحاد السوفييتي بأية ضربة غير متوقعة .

نظام الطوارىء CRITIC أظهر بالخطأ إشارة العدوان المعاكس ، وأرعب القادة ثم أمر باول أن يفصل هذا النظام مؤقتا وكان يحاول الوصول إلى الغبي الذي شغل هذا النظام .

وعندما دارت ساعة الصفر أمر تشيني بإحضارحقيبته وتوقع أن تستمر عمليات الجو ثلاثة أسابيع .

لايزال باول وحيدا يفكر في عدد الأميركان الذين سوف يسقطون قتلى ، في تقديره سيكون عددهم الألف ولم تأته التقديرات الصحيحة بعد ، وتشيني يفكر متسائلا : كم عدد الذين لن يعودوا؟ .

في البيت الأبيض اجتمع بوش ، بوين ، كويل ، سكوكروفت ، سنونو في الحجرة الصغيرة الخاصة الملحقة بالمكتب البيضاوي يشاهدون CNN وحين استمعوا إلى أصوات القذائف خلف أصوات المراسلين الذين لا يزالون في حجرات فنادق بغداد بدا بوش مستريحا وقال «تماما كما قدرنا» .

واستمرت الحرب ٤٢ يوما أخذت المراحل الجوية ٣٨ يوما والبرية ٤ أيام قبل أن توقف النيران ، سيطرت القوات الأميركية وقوات التحالف على الكويت وخلصتها من براثن المعتدين وتحطمت جيوش صدام ، وسحق الحرس الجمهوري ، وأفل نجم أم المعارك ، واختفت صورة المذيع «فليخسأ الخاسئون» ، وأشرق الصباح الذي فقدناه في بلادنا سبعة شهور ، شهور عجاف أحرق لهيبها الزرع والضرع ، وكان ذلك الفجر ، خرجنا من بيوتنا نتعانق بالبكاء والغناء ، دمعة قد احتبستها المآقي سبعة شهور لم تظهر آناء التعذيب والقتل والإرهاب والسلب والنهب ، لم تظهر أيام الحزن .

بل تقاطرت همالة باردة لتقر عين الكويت ، لتقر عين أم الشهيدة ، سيدة الكويت الأولى ، وأختها أم الأسير ، وارتفعت الأعلام في ساعد كل طفل وامرأة ، علم المملكة العربية السعودية وأميركا وأعلام الحلفاء .

وغرسنا علمنا أمام منزلنا في السرة ، العلم الذي كانت عقوبته الإعدام بالأمس ،

وعادت الكويت الغائبة في السادس والعشرين من فبراير ، وعاد الشعب يحتضن موطنه من جديد . وكان عيدا ، وأي عيد هل حقا عادت الكويت؟ ! نعم عادت وستكون أكثر استقلالا ، بعد اليوم ستستقل إرادة الكويت ،سياسته ، أمنه ، فكره ، أدبه ، ذلك التغلغل الذي تسرب في أجهزة الدولة كي يذيب الاستقلال ذهب دون رجعة ،الآن عادت الكويت حرة حقا ، بعد عهد ضائع سيطرت فيه المخابرات العراقية فزعزعت هيبته وأمنه وكلمته ،عادت الكويت حرة بأرضها وسمائها .

***

«الشاهد والشهيد» وأسئلة حائرة (١)

العنوان هو «الشاهد والشهيد» أما الأسئلة الحائرة فهي أسئلة طرحها المؤلف الأستاذ خليل إبراهيم بين طيات الكتاب ، والمؤلف أحد أصدقاء الشهيد الشيخ فهد الأحمد ، فقد ارتبط معه في إدارات رياضية وجلسات اجتماعية ، وجمعت بينهما أواصر (أخوية) ، لذا فكلما طال به السرد الموضوعي عن الغزو والغدر والانقضاض ، والأهوال التي تعرضت لها البلاد ، فإنه يعود ليفتح حوارا مع الشهيد ، وكأنه معه في جلساته الماضية ، فيلومه ويعاتبه ويخطئه ، حتى يقول له ان مواقفك البطولية المتعددة ما كانت تنسجم مع ذهابك ومداهمتك للخطر لتقف أمام أسلحتهم الفتاكة وجها لوجه ، واحتار إلى من يوجه اللوم؟ ، ألصديقه البطل الشهيد؟ أم إلى صحبه؟ في وقت فائت ماض لا جدوى من أي سؤال يطرح بعد فوات الأوان .

ولكن تبقى أسئلة حائرة تردد للتاريخ ، للمقاومة ، للصمود ، سؤال صامت حول روايات وإجابات عديدة ، فيها اجتهادات وافتراضات ، ونصيب من المبالغة المغلفة بالخيال هكذا بدأ مؤلف الكتاب بأسئلة مضطربة حائرة ، كما أدرك بعض ما كتب وقيل إن هناك شيئا من الانتقاص والتشكيك المبطن ، وربما الادعاء بمعرفة بواطن الأمور وخباياها ، يقول في أول الكتاب (ص٩) :

(في لقاء صحفي مع ثلاثة جنود من الحرس الجمهوري العراقي الفارين إلى تركيا كان الحوار حول دورهم في محاصرة قصر دسمان حيث دارت هناك معركة التحام ثم اقتحام بمساندة أحدث الطائرات وأقوى أنواع الدبابات وآخر ابتكار في عالم المدرعات وحشد من بشر مدججين بالأسلحة ويروي الثلاثة إنهم قد شاهدوا (الشهيد) يصول ويجول يكر ويفر . ويضرب ويهرب حتى نفدت ذخيرته عندها سهل قنصه بثلاث رصاصات ، وملازم أول في القوات الخاصة شهد بما يقارب هذه الرواية . .) .

وسيدة فاضلة هي «صديقة يعقوب يوسف» الموظفة في قسم العلاقات العامة في المستشفى الأميري ، وهذا جانب من روايتها :

«عمت الفوضى أرجاء المستشفى حيث الهرج والمرج ودخول جرحى وخروج مرضى ، وعند الساعة التاسعة والربع من صباح ذلك اليوم المشؤوم جاء من يهمس في أذني قائلا : لقد قتلوا الشيخ فهد وجثمانه مسجى في أحد رفوف المشرحة» .

هذه رواية لا تحمل إلا الخبر ولا جديد فيها عن طريقة الاستشهاد ، خبر كباقي الأخبار التي نقلت واقعة الوفاة ونبأ الاستشهاد .

«أنا جليل ، أحد أفراد القوة الخاصة المكلفة باقتحام قصر دسمان ، لقد أصابني الشيخ فهد برصاصة استقرت في وسط فخذي بعد أن تبادلنا إطلاق النار بيننا وبينه رغم أن التعليمات لدينا توصي بأن نقتاده حيا ، طلبت منه من مكبر الصوت أن يستسلم ولكنه رفض واستمر في منازلتنا وعندها اضطررت إلى أن أوجه إليه طلقاتي ، فجاءت احداها في موضع قاتل ، خر على أثرها صريعا ، بعدها نقلت إلى هنا ، وبقي هو هناك يسبح في دمائه داخل القصر ، «رغم أن التعليمات لدينا توصي بأن نقتاده حيا وطلبت منه في مكبر الصوت أن يستسلم ولكنه رفض» دعونا نفكر في هذه المقولة ، فإن خبر قدوم الشيخ فهد لم يكن عند علم أحد ، لقد جاءهم فجأة في سيارة عادية ، ولو صدرت الأوامر إلى أحد من الجيش العراقي لكي لا يطلق أحد النار ، لما خالف ذلك أحد ولو تصدى له متصد وأفتى منهم المئات بل الآلاف فلا أحد بمقدوره مخالفة الأوامر العليا ، هذا عرف الجيش العراقي إنه يأخذ التعليمات وإن تلقى أمر إلقاء نفسه في النار فلا أحد يخالف ذلك ، وكيف نصدق بعدها رواية (جليل) إنه أطلق النار على الشيخ فهد لمجرد أن جاءته منه رصاصة ، ويقول إنه كان في داخل القصر والرواية الصحيحة أنه لم يدخل القصر وأطلق على سيارته النار لمجرد أنه اخترق حراستهم دون تمييز ولمجرد أن هذه السيارة تحدت الموقف الخطر ، ولم يتبين لأحد أن الذي داخل السيارة هو الشيخ فهد مطلقا .

والجنود الثلاثة الفارون إلى تركيا ، فإن روايتهم متضاربة مع الواقع وإن الشيخ فهد لم يدخل إلى داخل القصر لوجود سيارته مضروبة وهي خارج القصر بعد أن جاءت طلقات أردت الشهيد قبل أن يتمكن من الدخول للقصر أو الترجل من السيارة .

ورواية أخرى قدمها المذيع حسين ملا علي للكاتب يقول فيها : إنه في يوم الغزو ذهب إلى الإذاعة وحسب القوة التي على الباب قوة من الجيش الكويتي ، فأنزلوه بالقوة مع الضرب والركل حتى سقط على الأرض ، ثم أخذه أحد المارة بسيارته إلى منزله ، ثم عاد ليرى الهرج والمرج في الشوارع وعند الساعة ٤٠ ,٧ كان في تقاطع الدائري الثاني بشارع الخليج العربي ، والمشهد حول جمع من الناس وسيارة عسكرية عراقية ، ويقول :

الكل كان بانتظار ما سيحدث وما هي إلا ثوان قليلة حتى ركل أحد الجنود رجلا ملطخا بالدماء يرتدي دشداشة بيضاء وقد وضع داخل السيارة الجيب ، سقط الرجل على أثرها بلا حراك ، وبحركة لا إرادية هرول حسين قاصدا إسعافه ، وما أن وقعت نظرته على ملامح الرجل حتى انطلقت من أعماق حسين صرخة مدوية معلنة نبأ الشهادة ، البطل فهد الأحمد ، قتلوا فهد الأحمد ، ويرد عليه الكاتب قائلا :

«ولكن حالتك النفسية وتشتت أفكارك جعلتك في حالة من اللاتركزية» (ص ٢٠) .

وفي موضع آخر من الكتاب يقول : «أما زميلي حسين ملا علي فأنا لا ألومه أبدا لأن من رآه كان أحد الأبطال الذين استشهدوا عند وزارة الخارجية ، ومن هول ما تعرض له من إصابات اختفت ملامح وجهه وبقيت اللحية ، ولأن زميلي كان في حالة نفسية يرثى لها اختلطت عنده الصور وإن الغازين القادمين بهذا الشهيد قد جاءوا من اتجاه قصر دسمان» .

هذا وإني هنا لا أضيف أكثر مما قاله الكاتب إنه كان في حالة نفسية صعبة ، أقول : لماذا يقف الجنود العسكريون ومعهم فهد الأحمد وهو رهينة كبرى عندهم ليجعلوا

هذا الحشد شاهدا عليهم؟ ثم هذه رواية مضطربة ، الجندي ركله برجله فسقط الشهيد بلا حراك ، وهرول حسين قاصدا إسعافه ثم أطلق صيحة مدوية معلنا نبأ استشهاد فهد الأحمد ، فإن كانوا هم قد عرفوه فلا يمكن أن يقفوا به عند هذا التجمع .

وهل كان من السهل أن يهتف باسم الشهيد ويسكت العسكريون؟ ، ويتركون حسين طليقا دون أن يتحققوا من الضحية التي عندهم وتصريح الأخ حسين ، لا شك إن هذه الرواية كما أنكرها الكاتب في أكثر من موقع ، وبرر ذلك أن الراوي كان في حالة نفسية صعبة فاختلطت عنده الرؤية والرواية ، ولنا عودة مع هذا الكتاب والرواية الصحيحة والموقف الصعب الذي وقفه الشهيد فهد الأحمد رحمه الله .

***

«الشاهد والشهيد»وأسئلة حائرة (٢)

لقد ترك استشهاد البطل فهد الأحمد أمام قصر دسمان صباح يوم الغزو ، حيرة ارتسمت على ملامح الكثير من السائلين ، وتعددت الروايات في طريقة تلقيه لمصرعه هل كان خلال مقاومته داخل القصر؟ هل واجه هجوما من عدة جهات؟ هل قاوم لمدة طويلة؟ هل سانده أحد في قتاله؟ ، نعم هكذا روى البعض واختلفت الروايات وكل رواية لها ما يسندها ولها ما يناقضها ، هل ذهب الرجل بغموض الرؤية واختلاف الرواية ،؟ والذي حير الكثير أنه ذلك الرجل المقدام والشجاع الذي كان يقحم نفسه في أهوال عديدة في الأردن ، في العراق ، في معسكرات التدريب المختلفة الوعرة الخطرة ، هذا الإنسان الذي خاض تلك المخاطر هل ينتظر الليل كله لكي يذهب في الصباح ويقذف بنفسه كي يصطاده أحد الجنود كهدف سهل دون أن يستخدم سلاحه وهو داخل سيارته؟

فهد الأحمد لم يعهده أحد بالهدف السهل ، وفوق هذا كان ذكيا وفطنا لا يلقي بنفسه إلى التهلكة أعزل سهلا ، كيف تسدل الستارة على بطل في مشهد لم يحرك به ساكنا !! ، إنه الغموض الذي يكتنف طريق الكاتب ، والأسئلة الحائرة التي جاءت في حنايا سطور هذا الكتاب الجديد .

هذا هو في موضع آخر من الكتاب وأمام منعطف للحدث نراه يقول : «معا نكمل مشوار الاقتحام بعد الحصار لقصر دسمان لقد أسر العراقيون بعض المدافعين عن القصر من عسكريين ومدنيين وكان منهم الشيخ راشد ، حيث أبعدوهم هناك عند السفارة البريطانية بعد أن عزلوهم إلى مجموعتين عسكرية ومدنية» .

ويقع حامد في يد المقدم ركن الشيخ أحمد الخالد في أثناء مقاومته للغزاة ، فسأله المقدم : من أنت؟

ـ أنا جامد ، وراح يحكي حكاية الشيخ فهد وهو يلهث مجهدا وتعبا ، وينزف دما من بعض الشظايا التي اخترقت ساقيه وفخذه ، وطلب منه أن يذهب إلى عيادة القصر .

لقد تم تبليغ المقدم ركن الشيخ أحمد الخالد قائد قوة دسمان بإصابة الشيخ فهد بواسطة الملازم أول فهد الزيد ، بعد إصابته بربع ساعة فقط ، ولكن وقتها ماذا عساه أن يفعل؟ لقد سألهم هل هناك شيء يمكن عمله لإنقاذ حياة فهد؟ فجاءته الإجابة بأن الموقف صعب للغاية فما كان منه إلا أن فوض أمره إلى الله ، فإن كان فهد الأحمد خاله فإن الوطن أغلى من الخال والعم ، وكذلك أرواح الآخرين الموجودين داخل القصر وسلامتهم أمانة في عنقه ، وإذا ما سقط فهد فهناك فهود أخرى يجب ألا تسقط غدرا وعلى حين غرة ، مقاطع وردت في ص ١١٧ ـ ١١٨ ، ومقطع آخر يقول :

«عندما استطاع الشيخ راشد الحمود أن يتحرر ويفك قيده ليطلق ساقيه للريح باتجاه سيارة الشيخ فهد ، وما أن اقترب منها حتى وجدها خالية دون صاحبها فتركها خلفه وأكمل مشواره ، ومقطع آخر يقول فيه :

«وحين اقتحام القصر كانت أناته ومنازعة الموت على مرأى ومسمع الملازم (سعد) ، وهذا يعني أنه منذ الإصابة وبعد مرور خمس وأربعين دقيقة عند استسلام الملازم ، وهو ما زال على قيد الحياة ، ولا نعلم كم من الدقائق تلتها حتى فاضت روحه إلى بارئها ، إن بقاء جثمانه داخل السيارة استمر زهاء مائة وخمس عشرة دقيقة من الساعة ٢٠ ,٦ إلى ١٥ ,٨ .

ويورد هذه الرواية لما حدث بعد الثامنة صباحا : لقد قامت القوة الرئيسية من مدرعات الحرس الأميري بفك الحصار عن القصر والدخول فيه لتطهيره من الشرذمة المقتحمة وأخبر المقدم ركن علي محمد الخميس قائد قوة القصر المقدم ركن الشيخ أحمد الخالد إنه قد تم تدمير القوة العراقية الموجودة عند البوابة وسوف نلاحق من تسلل إلى داخل القصر ، وهنا أخبر الشيخ أحمد الخالد المقدم ركن علي الخميس إن الشيخ فهد قد استشهد وإنه مازال في سيارته .

وصعد مدرعته وأمر الملازم نواف فليطح والملازم فهد الزيد بأن يتبعاه بسيارة الجيب ، وعند البوابة ترجل واتجه إلى الجثة يتبعه مساعده الملازم عبد السلام الرومي ، فحمل الاثنان الشهيد ووضعاه في سيارة الجيب التي انطلقت إلى عيادة القصر (ص ١٢٠) ، أما المشهد الذي كان به الشهيد فيقول صاحب الكتاب :

«كان رحمه الله مستلقيا على ظهره نصف استلقاء وكأنه جالس ، والرواية هنا للمقدم الركن الشيخ أحمد الخالد ، ويستطرد قائلا : لم ألاحظ أي نقطة دم على دشداشته ، إنه فهد الأحمد بكل هيبته وشموخه ،إن وضعيته توحي لناظره انه في استراحة بل استراحة المحارب ،» إذن هذه هي أصدق رواية خلافا للروايات الأخرى الكثيرة التي قالت إن وجه الشهيد كان ملطخا بالدماء ، ودشداشته مصبوغة بالدماء ، ورأسه مهشما من مدفع قد أصابه ! ! حضرت السيارة إلى قصر دسمان من الباب الجانبي حيث مدخل العيادة ، الإسعافي محمد عبد العال وبجانبه حسين عباس مسؤول الكراج ، حملا الجثمان وأدخلاه من الباب الفرعي للعيادة المؤدية إلى الغرفة الخاصة لصاحب السمو أمير البلاد ، حيث سجي على السرير للفحص والتأكد من الحالة إن كانت فيها بقية من حياة ، لقد فارق الحياة قبل نصف ساعة تقريبا ، وتعددت البطولات في هذا الظرف الحرج ، الدكتور محمد الشرهان ، يجاهد لأجل اختراق الحصار على القصر ويبعث المسعفين ، بطل آخر وهو مواطن مصري وعامل للتنظيف يخترق الحصار ويتسلق السور ويساعد المسعف ويعرض حياته بدافع إحساسه الطيب ووفائه للأرض التي أحبها ، وبطل آخر هو إسعافي مصري خرج من مجمع الدعية الصحي وتوجه إلى قصر دسمان لنقل المصابين رغم اشتداد الحصار وخطورة الحركة ، واستوقفه عند باب القصر الملازم أول طلال أبو رحمة ليصعد معه إلى العيادة داخل القصر ، وسأل الإسعافي صابر ثابت أحمد عن سر وجود سيارة الشيخ فهد عند مدخل البوابة فأجابه إنه قد استشهد ، وفي العيادة شارك زميله محمد عبد العال في فحص الجثمان ولكن إرادة الله قد تمت وانتهت علامات الحياة من الجسد الطاهر .

وهكذا تلقفته رصاصة غادرة عند باب القصر قبل أن يترجل من سيارته ، أمام هذا

المشهد المذهل ، ومع مواجهة الغدر ونكران الجميل ، أحاطت به الدهشة من كل صوب ، ! ! هل يتصور أن ذلك كله هو ثمن الجميل الذي قدمته الكويت وشعبها ، هل هو هذا الثمن ، هل حقا هذا الغدر وهذا الغزو قادمان من العراق؟ هل هذا هو الجندي العراقي الذي يتكالب لذبح كل مواطن لأنه كويتي؟ ، ونهب كل من كان في الطريق من الجنسيات الأخرى ، إنهم استهدفوا المواطن الكويتي من أول لحظة حسب مخطط مسبق لإشاعة الذعر والأهوال في داخل المدينة وفي كل طريق وشارع هذا هو الغزو الغادر الجديد ! ! .

* * *

الشاهد والشهيد وأسئلة حائرة (٣)

الساعة هي الواحدة والنصف ، صباح الخميس يوم من أيام الصيف الساكنة ، الحرارة تمتد إلى ساعات الليل ، ولا جديد حتى الآن ، الهاتف يرن ويرفع فهد الأحمد السماعة ، الهاتف هو العقيد الركن القائد العسكري للقوات البرية عبد العزيز البرقش .

ـ لقد بدأوا بتحرشاتهم العسكرية ، هدفهم اجتياح المنطقة الشمالية والله يستر ،

ـ أفا !! .

وتعالت الدهشة ، وارتسمت علامات الغضب فلاحظ صديقه إبراهيم الكاظمي ذلك ، وأراد الاستيضاح ، فتلقى الخبر الأكيد من الشيخ فهد :

ـ العراقيون بدأوا تحركاتهم العسكرية .

ـ إبراهيم يغادر المكان .

ـ حامد مازال يحتضن عوده .

ويستمر الكاتب بروايته ، يدنو أبو أحمد من حامد والاثنان يرددان الأغاني الوطنية ، وهذا الكلام ليس من المعقول ، هذه الدهشة بل هذه الصاعقة الكبرى تجعل حامد مستمرا في إمساكه العود ، ومواصلة الجلسة مع الشيخ فهد ويستأنفان جلسة الفن والطرب وإن كان الغناء وطنيا ، لا شك أن حبكة الرواية وأسلوب القصة قد طغيا على الموقف ، ولو أن الموقف الدرامي هذا لا يسمح بكلام مثل هذا ولكنه جاء هكذا في سطور الصفحتين رقم ٦٣ـ٦٤ من الكتاب ، ويمضي قائلا :

«ومع نغمات الوتر كانت هناك رنات جرس الهاتف ، البعض قد سرى مودعا والبعض الآخر افترش الأرض . .» .

«عقارب الساعة تقترب من الثانية والنصف صباحا ، لا وقت للغناء هذا يكفي ،

قم للنوم كلمات قالها الشيخ فهد لصاحبه حامد أما هو فقد اعتاد أن ينام بينهم فراشه وسط الصالة» هل الأسلوب الروائي قد سيطر على الموقف ، هل يعقل أن ينام أحد بعد سماعه لهذا النبأ المهول؟ هل يمكن لإنسان أن يغمض له جفن بعد سماعه الخبر السيىء لغزو بلاده وانتهاك حرمة الوطن والأهل والسعي للنيل من القوة السياسية؟ هل يستطيع أي إنسان أن يواصل جلسة الغناء بعد هذا؟ أو يرفض الرد على التلفون حتى الصباح ، والزلزال يهز عموم أرض الكويت ويبطش العدو بالأهل والمواطنين ، وآلة العدو تفتك عشوائيا بكل جسم؟ ، هل يعقل أن يكون الشيخ بهذه الصورة؟ لا شك أن الكاتب قد أفلت من يده زمام القلم وأخذ القلم يسطر رواية بلا إحساس ولا شعور بالزلزال الذي عصف بالبلاد ، ليس فهد الأحمد الذي يتلقى التلفون في الواحدة والنصف ثم يأمر بعدم الرد على التلفونات الأخرى ، وليس فهد هو الذي يفترش الأرض وينام حتى الصباح وهو الذي عرف بإقدامه في أخطر المواقف ، ذلك مقصود لسيرته ،إني لا أوافق الكاتب وألتمس له عذر الخطأ التعبيري ، أو أي هفوة في صياغة التصوير ، فهد الأحمد كيف يغيب عن نداء الموقف؟ ليس هذا بالمعقول ، ينام ويترك الزلزال أو يواصل جلسة الغناء لأن التلفون الأول أغاظه وغير كيانه ، هناك حلقة مفقودة وهناك نقص في الموقف ، ومازال الغموض يكتنف سيرة البطل في ساعاته الأخيرة ، هل يعقل أنه قد ترك كل شيء؟ وجاء في وقت متأخر ليكون صيدا سهلا أمام البوابة؟ ! ! ويوقع نفسه في الفخ وهو داخل سيارته دون أن يحمل السلاح ولا حتى يترجل من سيارته؟ ، هل هذه هي الحقيقة؟ أم هناك حدث كبير قام به البطل في الجانب المظلم الذي لم تستطع أضواء الملاحقة أن تسلط عليه؟ ، فسقط هذا الحدث من نهاية المشهد وبقي لغزا يساور الباحثين عن الحقيقة في الموقف الصعب .

إذن الروايات العديدة التي ترددت لم تكن إلا خيالات أحاطت بالبطل حسب ما يحمله الناس من تصور لمواقفه السابقة ، وشجاعته المعهودة ، الحقيقة إذن أنه انصدم بهذا الموقف ولزم داره وعندما ذهبت عنه تلك الصدمة فطن للحقيقة الهائلة بعد فوات الأوان في الصباح في الساعة السادسة والثلث ، عندما داهم القصر وجاءته رصاصة

لم تمهله وكما يقول المؤلف :

«نعم لقد نصب الأعداء الفخ لكل قادم ، ولكنهم لم يتوقعوا أن يكون القادم هو المقدام فهد ، لا أدري ، أسئلة كثيرة تدور في ذهني ، هل هي محاولة مني لوضع اللوم على الآخرين حتى لا ألومه؟ أم هو القدر المقدر الذي أغشى بصيرته فلم يحسن التصرف؟ . .» .

نعم هذه الحقيقة وكل الروايات إذن كانت خيالا في خيال ، إذن من هو ذلك البطل الذي كان يجول في القصر ويكر ويفر ويفرغ رصاصه في الغزاة الغادرين؟؟ ، إنه بملامح الفهد ، بجسمه وهيئته ولحيته وحركاته هل هناك خيال له يتحرك بإرادة بطل شجاع؟ ، ليس للخيال مجال وسط هذا الموقف الصعب ، إنه بطل آخر يحمل صورة الشبه ، إنه البطل حامد السعيد الذي أخذ يصول ويجول في القصر ، وحسبه الكثير من العراقيين والكويتيين أنه الشيخ فهد الأحمد ، لقد سحب رشاشا من يد جريح قد أصيب بساقه إنه البطل الذي أخذ يكر ويفر ويختفي ليظهر ويبادلهم إطلاق النار ويقتل ويجرح ، إنه حامد السعيد شديد الشبه بالشيخ فهد ، ومن هنا حدث اللبس .

واعتقد الكثير من القوة المهاجمة ، والقوة المدافعة أن هذا البطل الذي استبسل هو الشيخ فهد ، وهكذا هو العهد به وإن لم يتمكن من دخول القصر كما يقول الكاتب» ولو اقتحم القصر من الباب البحري دون أن يلاحظه أحد لأبلى بلاء حسنا ، ولكن رصاصة الغدر كانت بالمرصاد فاختزلت إرادة البطل وحجبت الاندفاع الكبير ، وهكذا سقط البطل وأخذ أبطال آخرون يذودون عن حرمة الوطن وموقعهم في القصر حتى كسروا طوق الحصار الكبير ، وهكذا تمكنوا من نقل الجرحى وأخذ الشهيد فهد إلى المستشفى الأميري ، حتى تكاثرت القوة المدججة بالسلاح الرهيب والأعداد الكثيرة فاحتلوا القصر كما احتلوا البلاد بأسرها ولحكمة إلهية أراد الله سبحانه ألا يصطدم الشعب والجيش دفعة واحدة أمام هذا الجيش الجرار كي لا تكون كارثة كبرى تقضي على هذا الشعب بجانبيه المدني والعسكري إلى أن مكن الله بهم قوة تبددهم من

شعوب العالم وقوته ، فتشتت جمعهم وتفرق شملهم ، وذهب من ذهب إلى سقر وبئس المقر .

وأخيرا ألفت النظر إلى هذا الكتاب «الشاهد والشهيد» للأستاذ خليل إبراهيم ، كتاب ابتعد عن المبالغة ، فرفض الروايات الكثيرة التي تحدثت عن الشهيد وجانبت الواقع ، وفي الوقت الذي يشهد بشجاعة فهد الأحمد ويشير إلى مواقفه الوطنية في البلاد وخارجها ، فإنه يقف عند الحقيقة أمام البطل وعند البوابة حيث ضرج بدمائه من طلقة غادرة دون أن يمهله القدر كي يقاتل ويشارك مواطنيه في الذود عن وطنه وداره بقدر الإمكان هذا هو قدره ، الذي قطع النهاية لسيرة البطل ، توقعات كثيرة تصورت أن تكتمل من جوانب السيرة المعهودة ، إن البطل لم يستسلم ولكن القدر هو الذي توقف لينهي سيرة البطل دون نزال ، فأسدلت الستارة قبل أن يكتمل المشهد الأخير ، وأتمه أبطال آخرون إلى أن شاء الله بحكمته وقدرته ، هكذا كان الغدر وكانت الفجيعة وكانت إرادة الله سبحانه والحمد لله على ما وقع ، والحمد لله لقدره وحكمه وإرادته ، والخير في ما وقع بمشيئة الله عز وجل .

***

خالد محمد خالد ونبل الموقف

لقد هجر الكتابة في السياسة ، وابتعد عنها منذ أكثر من أربعين عاما ، وانصرف إلى الكتابة فيما يخدم الدين الإسلامي من كتابة السير لرجال حول الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين ، وتجنب المؤثرات التي تحرك الرقيب السياسي ، والسياسي الديني بعد أن نشر كتابه من «هنا نبدأ» ، وعاش هذه السنوات عاكفا على التراث حتى استثاره الغزو العراقي الآثم ، والاعتداء على الكويت فمزق الستر الذي وضعه بينه وبين السياسة ، واندفع يحامي عن الكويت ويدافع عنها أثناء الغزو في الصحف المصرية والسعودية وضمها فيما بعد كتابه «أزمة الخليج وفداحة الجريمة» ورفض إلا أن تكون كتاباته صريحة واضحة غير محابية لأحد ، هذا الحدث المشين أقضّ مضجعه وآلمه كثيرا ، وهو البعيد عن الكويت ، ولم يعش فيها ولم يقض فيها جزءا من حياته ، وعندما حمل له بيان الاستنكار من الكتاب والأدباء رفض أن يقيد بعقبه «لكن» وفي منتصف الشهر الثامن وبعد الغزو بأيام اتصل به الأستاذ الكاتب فهمي هويدي عبر الهاتف حاملا رغبته في أن يشارك في التوقيع على بيان أصدرته ثلة من حملة الأقلام يشجبون فيه جريمة الاجتياح التي شغلت الناس والشعوب فيقول : تفضل فلخص في كلمات البيان فوخزتني نفس العبارة التي تستخدم في إلهاء الشعوب ولم يدر بخاطري لحظة أن أخي الأستاذ الهويدي خدعني ، فمثل هذا أبعد ما يكون عن أخلاقه .

لقد سار البيان في نفس الطريق الذي يتواثب فوقه المتعاطفون مع صدام ، وحاول إنقاذ العرب من توهم أن هناك أكثر من جريمة واحدة ، وهناك جريمتان ، الأولى غزو صدام الكويت ، والثانية تدخل القوات الأجنبية في المنطقة .

ويقول في تحليله إذن هناك جريمة مجرمها صدام ، وهناك جريمة أخرى مجرموها الذين سمحوا للقوات الأجنبية باقتحام بلادهم أملا في ردع قوات صدام وطردها .

هكذا استوى الماء والخشبة ، والمعتدي والمعتدَى عليه شريكان في الوزر والخطيئة ، وفي خيانة العروبة والإسلام .

هنالك لم يكن في وسعي إلا رفض البيان وسحب توقيعي وإعلان ذلك على الملأ .

هذه وجهة نظري في البيان وفي موقفي منه قد قلتها والآن نواجه القضية في أفقها الوسيع والعميم .

هناك يا سادة بلد عربي اسمه «الكويت» يعيش بين قومه العرب وديعا ، متعاونا غير صاخب ولا مشاكس ، أغار عليه ذات صباح بلا شروق زعيم عربي مهيب ، وإعصار رهيب من دولة عربية كبرى اسمها «العراق» خلع حكام البلد المهيض ، وقال لرعاعه وهو يشير إلى القصور والقبور هذا كله لكم ، ثم ولى وجهه شطر السعودية وراح يتلمظ ويعدها للوجبة الثانية ، وقبل ذلك أرسل زئيره ونذيره إلى دولة الإمارات ، هذه الدول الثلاث سبق أن سترت عوراته في حرب إيران فحق عليها المثل العربي «سمن كلبك يتبعك» فصار في طبعه «يأكلك» . الإعلام العراقي أخذ يستغيث بالآخرين من وجود القوى الأجنبية وتجاوبت معه بعض البلاد العربية ، وهنا قال الأستاذ خالد محمد خالد للأستاذ هويدي : إنني لا أستطيع التوقيع على البيان الذي يدين صداما أول النهار وينسى إدانته آخره ، فنفعل ما يفعله الآخرون حين يشجبون الجريمة على استحياء ، ثم بعد ذلك ببضع كلمات يشجبون الشجب مستخدمين «لكن» المنافقة ، فيقولون لكن القوات الأجنبية جريمة أكبر وشر أخطر » ، إنه الأسلوب الذي يتبعه صدام كل يوم حيث يغفل جريمته التي دعت إلى الاستعانة بهذه القوات» وقال لقد وعدني الأخ الفاضل هويدي بإجراء حذف أو تعديل بحيث يبقى جميع الضوء مسلطا على الجريمة ومجرمها .

قلت عندئذ يسعدني أن يكون لتوقيعي مكان بين توقيعاتكم ، بيد أني في صباح الثلاثاء ٢١/ ٨/ ١٩٩٠ طالعت البيان فوجدت المحظور قائما والمحذور جاثما .

لقد سار البيان في نفس الطريق الذي يتواثب فوقه المتعاطفون مع صدام .

والقوات العربية التي يتحدثون عنها لم تحرك ساكنا ولم يصدر لها إنذار ، وامتطت أمريكا ثبج البحر والجو وسارعت إلى السعودية لوقف خطر أبرهة لكيلا يتوغل نحو الجزيرة العربية .

نهبت الكويت وسرقت واستحل كل ما بها ولم يخف لها لنجدتها العرب المنادون بالحل العربي ، والزوبعة تثار على الدول الأجنبية التي جاءت للدفاع عن السعودية ودول الخليج ولتحرير الكويت .

العقل العربي قد صلبه أهله واستقر فوق صليبه ، غائبا ومغيبا عن حياته الهائجة والمائجة التي سيطر عليها الصراخ .

كيف كنا نتوقع من الجيوش العربية عونا بينما قادتها الأعلون وصدورهم مطوية على الرضا والبهجة بضربة صدام .

وأي الجيوش ستدافع عن الكويت؟ جيش علي صالح؟ أو جيش حسين؟ أو جيش زين العابدين ، أو جيش أبي عمار ، أو جيش القذافي؟ أين الحل العربي الذي به تتبجحون؟ إنهم وضعوا شروطا للإبقاء على احتلال الكويت وهي تتمثل في خروج إسرائيل من الضفة وغزة وخروج سوريا من لبنان ، وبعد هذين الخروجين يفكر العراق في خروج قواته من الكويت .

هكذا رفض المرحوم خالد محمد خالد الكاتب الحر أن يضع توقيعه على بيان مكبل وفيه أكثر من تأويل ، وقف مع الكويت وهو الرجل الذي لم يرتبط معها بمصلحة ولا بعمل ، وهو الذي هجر السياسة وأوصد بابها ، لقد عاد إليها من أجل

الكويت حيث رأى الحق وأمانة الكلمة بينما تردد الآخرون الذين كانوا على صلة بالكويت ، لكن الشرفاء والكتاب الأحرار في مصر قالوا الكلمة الفاصلة ورفعوا راية الحرية ، التي طالما ارتفعت من مصر لمناصرة الحق ، كما ظهرت من قبل لمناصرة الجزائر ، وفلسطين والعراق في أيام بل في سنوات حاجته ووقفت مع الدول الإفريقية ، وكانت العامل الموازي للاضطرابات الإقليمية والساعية إلى تهدئة الأمور وإرسائها إلى بر الأمان ، وكما كان لها دور مشرف في حماية الكويت من تهديدات عبد الكريم قاسم ، عندما وافقت أن تستعين الكويت بحماية أجنبية لعدم توافر الإمكانية العربية ، وبعد حين وفرت قوات عربية رابطت في البلاد إلى أن تبددت سحب الحقد والشر .



الفهرس

المؤلف في سطور

الاسم :عبدالله خلف حسين التيلجي .

المولد :الكويت في ١٣/ ١١/ ١٩٣٧ .

ـ عضو رابطة الأدباء في الكويت .

ـ العمل الوظيفي من ١٧/ ٧/ ١٩٦٠ إلى ٢٧/ ٤/ ١٩٨٨ في الإذاعة الكويتية .

ـ رئيس ثم مراقب للبرامج الأدبية والثقافية من ٦٣ ـ ١٩٨٨ .

ـ ليسانس آداب جامعة الكويت قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية ١٩٦٩ .

ـ دبلوم ماجستير ١٩٧٤ الجامعة اليسوعية بيروت .

الأعمال الإذاعية :

ـ كتابة وتقديم الأحاديث والبرامج الأدبية والثقافية .

ـ جولة في عالم الأدب ، المجلة الأدبية ، الموسم الثقافي .

ـ الشعر ديوان العرب (برنامج يومي) من ١/ ١٠/ ٨٥ إلى ٣١/ ٣/ ١٩٨٧ .

ـ معارضات يا ليل الصب (يومي) .

ـ لهجة الكويت بين اللغة والأدب (حديث يومي) ١٩٨٨ ـ ١٩٨٩ .

ـ مواقف من حياة الشعراء ـ أدبي ـ يذاع منذ سنة ١٩٩٦ حتى ١٩٩٨ .

الأعمال المطبوعة :

ـ رواية مدرية من المرقاب مطابع دار الكشاف بيروت ٢٦/ ١/ ١٩٦٢ .

ـ الشعر ديوان العرب ـ الشعراء الصعاليك ـ ط ١ المكتب العربي للطباعة في الاسكندرية ١٩٨٧ .

ـ الشعر ديوان العرب ـ شعراء المعلقات ـ ط ١ المكتب العربي للطباعة في الاسكندرية ١٩٨٧ .

ـ لهجة الكويت بين اللغة والأدب ج ١ ط ١ المكتب العربي للطباعة في الاسكندرية ١٩٨٨ .

ـ لهجة الكويت بين اللغة والأءب ج ٢ ط ١ مطبعة الخط ـ الكويت ، أكتوبر ١٩٨٩ .

ـ بحوث ومقالات في مجلة البيان والصحف الأخرى منذ سنة ١٩٦٠ .